رحلة البوسعيدي 1288هـ

رحلة السيد حمود بن أحمد البوسعيدي

بصحبة سلطان زنجبار برغش البوسعيدي

تحقيق:

د/ محمد محمود خليل

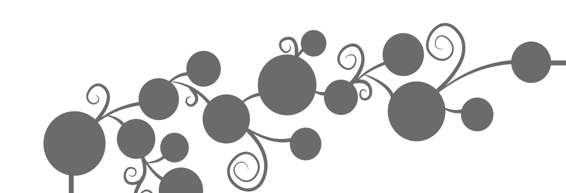
د/ أحمد الصيفي

الناشر

مركز الراية

للنشر والإعلام

2015



اسم الكتاب	رحلة البوسعيدي 1288هـ
تحقيق:	د / محمد محمود خليل د / أحمد الصيفى
رقم الإيداع:	2014 / 10214
الترقيم الدولي:	978 - 977 - 354 - 418 - 8

الناشر
مركز الراية للنشر والإعلام

أسسة المحاسب - أحمد فكرى عام 1992

المدير التنفيذى - كريم أحمد فكرى

البريد الالكترونى: alraya9357@yahoo.com

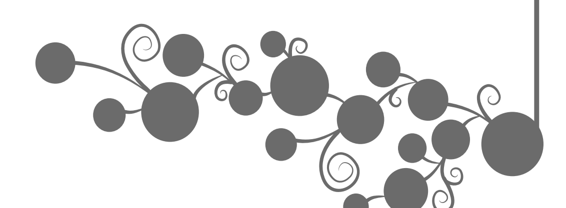
Markzelraya@Gmail.com

تلفاكس: 0020227870906

جوال: 00201119057200

ص.ب 258 العتبة الرمز البريدى 11511

القاهرة - جمهورية مصر العربية



رحلة البوسعيدي 1288هـ

- رحلة السيد حمود بن أحمد البوسعيدي
- بصحبة سلطان زنجبار برغش البوسعيدي

مقدمة الكتاب

هذه سيرة سيدنا وذخرنا وملاذنا السيد الورع النزيه الكامل الفاضل السيد حمود بن أحمد البوسعيدى، رحمة الله تعالى وغفر له، فإنه قد توجه للسياحة لإحياء دينه وعبرة في أخذ طريقه لما لاقاه من الفوائد والفضائل في سياحته حتى قيل إنه بلغ السقف المرفوع. رفع الله درجته وأعلى مرتقاه في الدراين جميعًا، إن شاء الله. نفع الله به عباده المسلمين والمؤمنين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدك اللهم يامن سمك السمك بناءً، وجعل الصعود إليها معراجا، وجعل فيها شمسًا وقمرًا منيرًا وسراجًا وهاجًا، وأودعها بروجًا وأنزل من المعصرات ماءً ثجاجًا، وجعل الأرض بساطًا لتسلكوا منها سبلًا فجاجا، وخلق شمس الليل والنهار آيتين وجعل في الأرض أزواجا، وأجرى فيها الأنهار فمنها العذاب الفرات، وجعل فيها بحرًا أجاجا، وقدر فيها السير أفواجًا. اللهم إني أشكرك شكرًا بعدد القطر وجريان البحر، ومثاقيل الجبال وعدد الحصى والثرى، وما كتب به القلم وما جرى، وعدد النجوم وورق الأشجار، والصلاة والسلام على سيدنا محمد[1] المبعوث من مضر، الذي قال أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وعلماء أمته الذين اتبعوا في الأثر. فيقول الفقير إلى الله تعالى حمود بن أحمد بن سيف البوسعيدى، إن السياحة

---

(1) سيدنا محمد: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فهو بن مالك بن النّضر بن كنانة ابن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان. ابن قتيبة الدينوري: المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992 م، ص 117.

من سنن الأنبياء، والسادة الأتقياء، وفيها تضرب الأمثال والعبر، وهي عبرة لمن اعتبر. وذكروا أنه أول من ساح في الأرض نبي الله دانيال [1] عليه الصلاة والسلام. وذكروا أنه هو الذى حفر الدجلة [2] وأوصلها بالفرات [3]، وكانت سابقًا مقطوعة، وكانت عنده الأسماء التي خرج بها آدم عليه الصلاة والسلام من الجنة، ثم من بعده توارثها أولاده.

(1) النبي دانيال: أحد الأنبياء الأربعة الكبار في التراث اليهودي المسيحي، والشخصية المركزية في سفر دانيال. ينتسب دانيال إلى سبط يهوذا. وفقًا للرواية التوراتيّة عندما كان دانيال شابًا، اقتيد إلى السبي البابلي حيث تلقى تعليمه هناك، وأُتي بأمر نبوخذ نصر إلى بابل مع ثلاثة فتيان من الأشراف: هم حننيا وميشائيل وعزريا سنة 605 ق.م. فتعلم هناك لغة الكلدانيين ورشح مع رفقائه الثلاثة للخدمة في القصر الملكي. وفقًا للرواية التوراتيّة تعلم دانيال ثلاث سنين وأعطاه الله فرصة لإظهار علمه وحكمته ففسر حلمًا لنبوخذ نصر كان قد أزعجه ومكافأة له على هذه الخدمة نصبه حاكمًا على بابل ورئيسًا على جميع حكمائها. وأصبح له قدرة على تفسير أحلام الملوك، وبذلك أصبح شخصية بارزة في بلاط بابل. وقد مرّ دانيال في تجارب ورؤى في الأسر البابلي، حيث نجا من وكر الأسد.

(2) الدجلة: نهر بغداد، ودجلة معرّبة على ديلد، ولها اسمان آخران وهما: آرنك روذ وكودك دريا أي البحر الصغير، و مخرج دجلة من موضع يقال له عين دجلة على مسيرة يومين ونصف من آمد من موضع يعرف بهلورس من كهف مظلم، وأول نهر ينصبّ إلى دجلة يخرج من فوق شمشاط بأرض الروم يقال له نهر الكلاب، ثم أول واد ينصبّ إليه وادي صلب،ثم ينصبّ إليه وادي ساتيدما وهو خارج من درب الكلاب، ثم وادي الزور الآخذ من الكلك، وينصبّ أيضا من وادي ساتيدما نهر ميّافارقين ثم ينصب إليه وادي السّربط،، ثم توافي دجلة موضعًا يعرف بتلّ فافان فينصب إليها وادي الرّزم، وروي عن ابن عباس، رضي الله عنه، أنه قال:أوحى الله تعالى إلى دانيال، عليه السلام، وهو دانيال الأكبر، أن احفر لعبادي نهرين واجعل مفيضهما البحر فقد أمرت الأرض أن تطيعك، فأخذ خشبة وجعل يجرها في الأرض والماء يتبعه وكلما مرّ بأرض يتيم أو أرملة أو شيخ كبير ناشدوه الله فيحيد عنهم، فعواقيل دجلة والفرات من ذلك، قال في هذه الرواية: ومبتدأ دجلة من أرمينية. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ط 2، دار صادر، بيروت، 1995 م، ص 440: 442.

(3) الفرات: والفرات في أصل كلام العرب أعذب المياه، قال عز وجل: هذا عَذْبٌ فُراتٌ وَهذا مِلْحٌ أُجاجٌ 25، ومخرج الفرات فيما زعموا من أرمينية ثم من قاليقلا قرب خلاط ويدور بتلك الجبال حتى يدخل أرض الروم ويجيء إلى كمخ ويخرج إلى ملطية ثم إلى سميساط ويصبّ إليه أنهار صغار نحو نهر سنجة ونهر كيسوم ونهر ديصان والبليخ حتى ينتهي إلى قلعة نجم مقابل منبج ثم يحاذي بالس إلى دوسر إلى الرّقة إلى رحبة مالك بن طوق ثم إلى عانة ثم إلى هيت فيصير أنهارا، منها: نهر سورا، ونهر الملك، ونهر عيسى بن علي، وكوثا، ونهر سوق أسد والصراة، ونهر الكوفة، والفرات العتيق، ونهر حلة بني مزيد، وللفرات فضائل كثيرة، روي أن أربعة أنهار من الجنة: النيل والفرات وسيحون وجيحون، وروي عن علي، كرّم الله وجهه، أنه قال: يا أهل الكوفة إن نهركم هذا يصبّ إليه ميزابان من الجنة، وعن عبد الملك بن عمير: أن الفرات من أنهار الجنة ولولا ما يخالطه من الأذى ما تداوى به مريض إلا أبرأه الله تعالى، وأن عليه ملكا يذود عنه الأدواء. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4 ، ص 241، 242.

وأكثر من ساح من الأنبياء عيسى [1] عليه الصلاة والسلام. ثم من هذه الأمة المحمدية الإمام البخاري رحمه الله وغيره من طلب الأحاديث وجمعها.

وفي الأسفار تفريج الهم وتعلم الأخبار وتذكرة الأولى الأبصار، وقد قال بعض الأفاضل شعرًا:

تنقل فلذات الهوى في التنقل ... ورد كل صاف لا تقف عند منهل
ففي الأرض أجناب وفيها منازل ... فلا تبك من ذكرى حبيب ومنزل
ولا تسمع قول أمرئ القيس إنه ... مضل، ومن ذا يهتدي بمضلل [2]

فعلى كل حال كانت أول سياحتي التوجه إلى بيت الله الحرام [3]، ومعاهد التجليات

(1) عيسى عليه السلام: لما ولدته هربت به من أحب صاحب أزبيل إلى مصر، وحمله وأمّه إلى هنالك يوسف النجار. وكان يوسف هذا خطب مريم وتزوّجها فيما يذكر في الإنجيل. فلما صارت إليه وجدها حبلى قبل أن يباشرها، وكان رجلا صالحا. فكره أن يفشي عليها، وأضمر أن يسرحها خفية. فتراءى له ملك في النوم، فقال: يا يوسف بن داود، إن امرأتك «مريم» سوف تلد ابنا يسمى: عيسى، وهو ينجي أمته من خطاياهم. وفي الإنجيل: إن الملك الّذي خافته مريم على عيسى هو هرادس، وكان عيسى ولد في بيت لحم يهوذا وهو بيت بالشام فلما مات هرادس رأى يوسف في النوم أن يذهب به وبأمه إلى أرض الخليل فانطلق فسكن في قرية تدعى: ناصرة، فلذلك قيل: نصارى. ابن قتيبة الدينوري: المعارف، ص 53.

(2) هذه قصيدة ابن المرصص وهو يوسف بن عبد العزيز بن إبراهيم الهمدانيّ، أبو المحاسن علم الدين ابن المرصص: من كبار الشعراء في عصره. مصري، من أهل " الفسطاط " مات في حلب عام (638 هـ/ 1240 م)، قيل: خنقه من كان يخدمه وأخذ بعض كتبه وهرب بها. الزركلي: الأعلام، ج8، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 2002 م، ص 238.

(3) الله تعالى " جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس " وهو البيت الذي قال الله سبحانه وتعالى فيه " إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً ". قال وهب بن منبه: لما أهبط الله تعالى آدم عليه السلام إلى الأرض حزن واشتد بكاؤه على الجنة، فعزاه الله تعالى بخيمة من خيام الجنة، فوضعها له بمكة في موضع الكعبة قبل أن تكون الكعبة، وكانت الخيمة ياقوتة حمراء من ياقوت الجنة، فيها قناديل من ذهب، ونزل معها الركن، وهو ياقوته بيضاء، وكان كرسياً لآدم عليه السلام يجلس عليه، فلما كان الغرق زمن نوح عليه السلام رفع ومكثت الكعبة خراباً ألفي سنة، حتى أمر الله إبراهيم عليه السلام أن يبني بيته فجاءته السكينة كأنها سحابة فيها رأس يتكلم له وجه كوجه الإنسان، فقالت: يا إبراهيم، خذ ظلي فابن عليه، فبنى هو وإسماعيل عليهما السلام البيت ولم يجعل له سقفاً، وحرس الله تعالى البيت بالملائكة، فالحرم مقام الملائكة يومئذ، ولم تزل خيمة آدم عليه السلام إلى أن قبض ثم رفعها الله إليه، وبنى بنو آدم بعده في موضعها بيتاً من الطين والحجارة ثم نسفه الغرق فعمي مكانه حتى بعث الله إبراهيم عليه السلام وحفر عن قواعده وبناه على ظل الغمامة، فهو

أول بيت وضع للناس وبنته قريش قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس سنين.قال أبو عبيدة: مما أراد الله عز وجل به تكرمة قريش أن الكعبة كانت وقعت حين غرق قوم نوح عليه السلام فأمر الله تعالى إبراهيم خليله وإسماعيل نبيه عليهما الصلاة والسلام أن يعيدا بناء الكعبة على أسه الأول، فأعادا بناءها لما أراد الله تعالى من تكرمة قريش، كما أنزل الله تعالى في القرآن فقال عز وجل " وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم "، ثم أمر الله سبحانه إبراهيم عليه السلام أن ينزل ابنه إسماعيل بالبيت لما أراد من كرامة قريش ففعل، فهو قوله " ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم " فكان إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام يبنيان البيت بعد عهد نوح عليه السلام، ومكة يومئذ بلاقع، كما قال تعالى " وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود "، فنكح إسماعيل امرأة من جرهم، وفي ذلك يقول عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي: وصاهرنا من أكرم الناس والداً... فأبناؤه منا ونحن الأصاهر فولي البيت بعد إبراهيم ابنه إسماعيل عليهما السلام، ثم وليه بعده ابنه نابت بن إسماعيل، أمه جرهمية، ثم وليه بعده مضاض بن عمرو، وفي ذلك قال:

وكنا ولاة البيت من بعد نابت... نطوف بذاك البيت والخير ظاهر وجرهم وقطورا يومئذ أهل مكة، وهما أخوان، ورئيس قطورا السميدع، ورئيس جرهم مضاض، ومنزل جرهم بأعلى مكة بقعيقعان فما حاز، ومنزل قطورا أسفل مكة بأجياد فما حاز، فكان السميدع يعشر من دخل مكة من أسفلها، ومضاض يعشر من دخلها من أعلاها، ثم بغى بعضهما على بعض وتنافسا الملك، ومع مضاض بنو اسماعيل، وإليه ولاية البيت دون السميدع، ثم اقتتلوا قتالاً شديداً فقتل السميدع وفضحت قطورا، ثم اصطلحوا وأسلموا الأمر إلى مضاض، فبقيت جرهم ولاة البيت نحو ثلثمائة سنة، ثم أنهم بغوا بمكة واستحلوا حرمتها وظلموا من دخلها، وأكلوا مال الكعبة الذي يهدى لها، ولم يتناهوا حتى جعل الرجل منهم إذا لم يجد مكاناً يزني فيه دخل الكعبة فزنى بها، فزعموا أن إسافاً بغى بنائلة في جوف الكعبة فمسخا حجرين، وهو اساف بن سهل ونائلة بنت عمرو بن ذؤيب. وكان ماء زمزم قد نضب لما أحدثت جرهم بمكة، حتى امحى مكان البئر ودرس، ثم جاء عمرو بن لحي فغير دين إبراهيم عليه السلام وبدله، وبعث العرب على عبادة التماثيل، وعمر خمساً وأربعين وثلثمائة سنة، وكان له من الولد وولد الولد ألف، ثم وليت البيت عبشان من خزاعة، وقريش إذ ذاك حلول وصرم وبيوت متفرقة في قومهم من بني كنانة.

وانهدم البيت بعد بناء إبراهيم عليه السلام، فبنته العمالقة، ثم انهدم فبنته جرهم، ثم انهدم فبناه قصي وهدمه هو وبناه بناء لم يبن أحد ممن بناه مثله، وسقف الكعبة بخشب الروم الجيد وجريد النخل، وبناها على خمس وعشرين ذراعاً.

قالوا: ومما رجت به قريش أن الله عز وجل قد رضي ما كانوا أجمعوا عليه من هدم الكعبة أن حية كانت في بئر الكعبة التي كانت تطرح فيها ما كان يهدى إليها، فجاءت عقاب فاختطفتها.

ولما احترقت الكعبة واحترق الركن الأسود فتصدع حتى شده ابن الزبير بالفضة، ضعفت جدران الكعبة، حتى إن الحمام ليقع عليها فتتناثر حجارتها، ففزع لذلك أهل مكة وأهل الشام جميعاً والحصين بن نمير معهم يحاصرها، فأرسل ابن الزبير رجالاً من أهل مكة إلى الحصين فكلموه وعظموا عليه ما أصاب الكعبة وقالوا: إنكم رميتموها بالنفط، فأنكر ذلك، وقالوا له: قد

توفي يزيد بن معاوية فعلام تقاتل؟ ارجع إلى الشام حتى تنظر هل يجتمع الناس على صاحبك، يعنون معاوية بن يزيد، فلم يزالوا به حتى لان لهم ورجع إلى الشام، ثم دعا ابن الزبير وجوه الناس فاستشارهم في هدم الكعبة، فأشار عليه أقلهم بهدمها وأبى أكثرهم وكان أشدهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وقال له: دعها على ما أقرها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإني أخشى أن يأتي بعدك من يهدمها، ولا تزال تبنى وتهدم فيتهاون بحرمتها، ولكن ارفعها فقال ابن الزبير رضي الله عنهما: والله ما يرضى أحدكم أن يرفع بيت أبيه وأمه، فكيف أرفع بيت الله، وأنا أنظر إليه ينقض من أعلاه إلى أسفله حتى إن الحمام يقع عليه فتتناثر حجارته؟! وكان ممن أشار عليه بهدمها جابر بن عبد الله وغيره رضي الله عنهم، وأقام أياماً يشاور وينظر، ثم أجمع على هدمها، وكان يحب أن يكون هو الذي يردها، على ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، على قواعد إبراهيم عليه السلام، وعلى ما وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها، وأراد أن يبنيها بالورس، ويرسل إلى اليمن في ورس يشترى له، فقيل له: إن الورس يذهب ولكن ابنها بالفضة، فأخبر أن فضة صنعاء أجود الفضة، فأرسل إلى صنعاء بأربعمائة دينار ليشترى له بها فضة ويكترى عليها، ثم سأل رجالاً من أهل العلم بمكة: من أين أخذت قريش حجارتها، فأخبروه بقلعتها فنقل له من الحجارة ما يحتاج إليه، فلما أراد هدمها خرج أهل مكة منها إلى منى فأقاموا بها ثلاثاً فرقاً أن ينزل عليهم عذاب، فأمر ابن الزبير بهدمها فما اجترأ على ذلك أحد، فلما رأى ذلك علاها بنفسه وأخذ المعول وجعل يهدمها ويرمي بحجارتها، فلما رأوا أنه لم يصب بشيء اجترءوا فصعدوا وهدموا، وأرقى ابن الزبير رضي الله عنهما عبيداً من الحبش يهدمون رجاء أن يكون فيهم صفة الحبشي الذي روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة.

وقال ابن الزبير رضي الله عنهما: أشهد لقد سمعت عائشة رضي الله عنها تقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن قومك استقصروا في بناء الكعبة وعجزت بهم النفقة فتركوا في الحجر أذرعاً، ولولا حداثة عهد قومك بالكفر لهدمت الكعبة وأعدت ما تركوا منها، ولجعلت لها بابين موضوعين بالأرض: باباً شرقياً يدخل منه الناس، وباباً غربياً يخرج منه الناس، وهل تدرين لم كان قومك رفعوا بابها "؟ قالت، قلت: لا، قال: " تعززاً لئلا يدخلها إلا من أرادوا، فكان الرجل إذا كرهوا أن يدخلها يدعوه يرتقي، حتى إذا كاد يدخل دفعوه فيسقط، فان بدا لقومك هدمها فهلمي لأريك ما تركوا من الحجر منها، فأراها قريباً من سبع أذرع ".

فلما هدمها ابن الزبير وسواها بالأرض وكشف عن أساس إبراهيم عليه السلام وجد داخلاً إلى الحجر نحواً من ست أذرع وشبر كأنها أعناق الإبل آخذ بعضها ببعض، كتشبيك الأصابع، يحرك الحجر من القواعد فتتحرك الأركان كلها، فدعا ابن الزبير خمسين رجلاً من وجوه الناس وأشرافهم فأشهدهم على ذلك الأساس، وأدخل رجل من القوم كان يقال له عبد الله بن مطيع العدوي عتلة كانت في يده في ركن من أركان البيت، فتزعزعت الأركان كلها جميعاً، ويقال إن مكة رجفت رجفة شديدة حين تزعزع الأساس، وخاف الناس خوفاً شديداً حتى ندم كل من أشار على ابن الزبير بهدمها وسقط في أيديهم، فقال لهم ابن الزبير: اشهدوا، ثم وضع البناء على ذلك الأساس، وكان البناة يبنون من وراء الستر، والناس يطوفون من خارج، فلما ارتفع البنيان إلى موضع الركن، وكان ابن الزبير حين هدم البيت جعل الركن في ديباجة في تابوت وأقفل عليه ووضعه عند دار الندوة، ووضع ما كان في الكعبة من حلية في خزانة الكعبة في دار شيبة بن عثمان، فلما بلغ البنيان موضع الركن أمر ابنه عباد بن عبد الله وجبير بن شيبة بن عثمان أن يجعلوا الركن في الثوب وقال: إني إذا دخلت في صلاة الظهر فاحملوه واجعلوه في موضعه، وأنا أطول الصلاة، فإذا فرغتم فكبروا حتى أخفف صلاتي، وذلك في حر شديد، فلما أقيمت الصلاة وصلى ابن الزبير ركعة خرج عباد بالركن من دار الندوة وهو يحمله، ومعه جبير بن شيبة، ودار الندوة يومئذ قريب من الكعبة، فخرقا به

طلبًا للغفران من الملك العلام. وكان أول توجهنا من بندر زنجبار [1] يوم ستة وعشرين من شوال سنة 1288 بعد صلاة الصبح، بصحبة السيد الهمام والأسد الضرغام، برغش

الصفوف حتى وضعه عباد في موضعه وأعانه عليه جبير بن شيبة، ثم كبرا، وخفف ابن الزبير صلاته، وتسامع الناس بذلك، وغضب رجال من قريش حين لم يحضرهم ابن الزبير لذلك وقالوا: والله لقد تنافست قريش في رفعه حين بنيت الكعبة حتى حكموا فيه أول من يدخل عليهم، فطلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعله في ردائه ودعا من كل قبيلة من قريش رجلاً واحداً، فأخذوا بأركان الثوب ثم وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم في موضعه، وكان الركن قد تصدع ثلاث فرق وتشظت منه شظية كانت عند بعض آل شيبة بعد ذلك دهراً طويلاً، فشده ابن الزبير بالفضة إلا تلك الشظية من أعلاه، فإن موضعها بين في أعلى الركن، وطول الركن ذراع. وكانت الكعبة يوم هدمها ابن الزبير ثمان عشرة ذراعاً فجعلها سبعاً وعشرين ذراعاً ثم خلقها من داخلها وخارجها وأعلاها وأسفلهاوكساها القباطي وقال: من كانت لي عليه طاعة فليخرج فليعتمر من التنعيم ومن قدر أن ينحر بدنة فليفعل، ومن لم يقدر على بدنة فليذبح شاة، وخرج الناس معه مشاة حتى اعتمروا من التنعيم شكراً لله عز وجل، قالوا: فلم ير يوم كان أكثر عتيقاً وعتيقة ولا أكثر بدنة منحورة ولا شاة مذبوحة ولا صدقة مبذولة من ذلك اليوم، ونحر ابن الزبير مائة بدنة، فلما طاف بالكعبة استلم الأركان الأربعة جميعاً وقال: إنما كان ترك استلام هذين الركنين الشامي والغربي لأن البيت لم يكن على قواعد إبراهيم، فلم يزل البيت على بناء ابن الزبير، إذا طاف الطائف استلم الأركان جميعاً، وأبواب البيت لاصقة بالأرض حتى قتل ابن الزبير ودخل الحجاج مكة، فكتب إليه عبد الملك بن مروان: إن ابن الزبير قد كان زاد في بيت الله تعالى ما ليس منه وأحدث باباً آخر، فكتب إليه الحجاج يستأذنه في أن يرده على ما كان عليه، فأمره بذلك، فهدم الحجاج منها ست أذرع وشبراً مما يلي الحجر، وبناها على أساس قريش، وسد الباب الذي في ظهرها، وترك سائرها فكل شيء فيها اليوم بناه ابن الزبير إلا الجدار الذي في الحجر فإنه بناه الحجاج. والمرتقى إلى الباب الشرقي الذي يدخل منه اليوم أربع أذرع وشبر والدرجة التي في جوف الكعبة اليوم والبابان اللذان عليها هما من عمل الحجاج أيضاً.وآخر من زاد في الكعبة المهدي أمير المؤمنين سنة أربع وستين ومائة، فهو على ذلك إلى الآن. الحِميرى: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط2، مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت، 1980 م، ص 497: 499.

(1) بندر زنجبار: هي بلدة ساحلية في وسط جنوب اليمن، وهي عاصمة محافظة أبين، تقع مدينة زنجبار إلى الشرق من عدن، على بعد نحو 60 كيلو متراً. مؤسس زنجبار هو السلطان حسين بن أحمد بن عبد الله، ولكن الذي سماها باسم زنجبار هو حفيده السلطان عبد القادر بن أحمد بن حسين في العشرينيات من القرن العشرين، وذلك أثناء زيارة قام بها سلطان جزيرة زنجبار العربي آنذاك، وهي تقع قبالة الساحل الشرقيلإفريقيا واليوم جزء من تنزانيا، وتم تآخي المدينة باسم الجزيرة وتسمية أحيائها باسم مدنها، فسميت المدينة بزنجبار نسبة للجزيرة وبعض أحيائها التي كانت قائمة أصلاً بمسميات المدن التي في الجزيرة مثل سواحل ودار السلام التي سميت فيما بعد بدار الأمير، وزنجبار ظهرت بعد خراب العصلة الثاني في نفس الفترة، وانتعشت بسبب ظهور مشروع دلتا أبين، هي وجعار، التي كانت تسمى خنفر. وزنجبار هو اسم جديد أدخله السلطان صالح بن عبد الله الفضلي بعد ما كان اسمها أبين وسبب تغييره للاسم أنه نفي خارج البلاد، وبعد عودته أطلق عليها هذا الاسم. وقد أزاح الاسم الجديد الاسم القديم بمرور الزمن.

بن سعيد بن سلطان ابن الإمام. فكان وصولنا إلى بندر جدة [1] ليلة أربع عشرة من شهر القعدة، وأقمنا يومنا بجدة، وبعد العصر ليلة خمس عشرة سرنا إلى مكة [2] فدخلناها ليلة ست عشرة في شهر القعدة. وليلة أربع عشرة من شهر الحج توجه السيد برغش ومن معه إلى المدينة المنورة [3]. ويوم حادي محرم حرام الساعة الثامنة من النهار سافروا من بندر جدة إلى زنجبار، وكان وصولهم من المدينة يوم سبعة وعشرين من شهر الحج سنة 1288. وكنت أنا قد بقيت بمكة المشرفة مجاورًا لبيت الله الحرام وزمزم والمقام، وأتطيب بمسك تراب تلك المشاعر العظام بمكة، قال الشاعر:

بمكة لي غناء ليس يفنى　　　جوار الله والبيت المعظم[٤]

(1) جد ة: سمّيت بذلك لأنها حاضرة البحر؛ والجدّة من البحر والنهر. ما ولى البرّ؛ وأصل الجدّة: الطريق الممتدة.بلد على ساحل بحر اليمن، وهي فرضة مكة، بينها وبين مكة ثلاث ليال، وهي في الإقليم الثاني، طولها من جهة المغرب أربع وستون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها إحدى وعشرون درجة وخمس وأربعون دقيقة قال أبو المنذر: وبجدّة ولد جدّة بن حزم بن ريّان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة فسمي جدّة باسم الموضع، وبين جدّة وعدن نحو شهر، وبينها وبين ساحل الجحفة خمس مراحل. البكري: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج2، ط3، عالم الكتب، بيروت، 1403 هـ، ص 371 ؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2، ص 114، 115.

(2) مكة: بيت الله الحرام، قال بطليموس: طولها من جهة المغرب ثمان وسبعون درجة، وعرضها ثلاث وعشرون درجة، وقيل إحدى وعشرون، تحت نقطة السرطان، طالعها الثريّا، بيت حياتها الثور، وهي في الإقليم الثاني، سميت بذلك الأسم لأنها تمكّ أعناق الجبابرة، أى تذهب نخوتهم.وتذلّهم. وقيل لتمكّك الناس بها، وهو ازدحامهم. وتسمّى بكّة أيضا – بالباء – لتبكّك الناس بها، وهو ازدحامهم. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج5، ص 181 ؛ البغدادي: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج3، ط 1، دار الجيل، بيروت، 1412 هـ، ص 1303.

(3) الْمَدِينَةُ الْمُنَوَّرَةُ هِيَ: مَدِينَةُ الرَّسُولِ الأَعْظَمِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ، وَقَدْ تَكَرَّرَتْ كَثِيرًا فِي السِّيرَةِ، وَهِيَ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ تُعْرَفَ هُنَا، وَلَهَا مِنْ التَّارِيخِ مَا مَلَأَ عَشَرَاتِ الْكُتُبِ الضِّخَامِ، كَانَتْ تُسَمَّى يَثْرِبَ فَسَمَّاهَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْمَدِينَةَ، وَكَرِهَ أَنْ تُسَمَّى يَثْرِبَ.كَانَتْ الْمَدِينَةُ عَاصِمَةَ الْإِسْلَامِ وَمِنْهَا انْطَلَقَتْ أَعْظَمُ فُتُوحَاتِهِ، وَبِهَا مَرْقَدُ خَيْرِ الْبَشَرِ، وَفِي الْحَدِيثِ: إنَّ الْإِسْلَامَ لَيَأْرِزُ إلَى الْمَدِينَةِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إلَى جُحْرِهَا.وَرَأَيْت أَنْ أُرْفِقَ مُخَطَّطًا لَهَا يُبَيِّنُ مَعَالِمَهَا، بَدَلَ الْحَدِيثِ عَنْهَا لِأَنَّهُ لَنْ يَفِيَهَا حَقَّهَا فِي هَذَا الْكِتَابِ الْمَحْدُودِ. عاتق بن غيث البلادي: معجم الْمَعَالِمِ الْجُغْرَافِيَّةِ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ، ط1، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، 1402 هـ – 1982 م، ص 284.

(4) قالها شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي (المتوفى: 1069هـ). الخفاجي: ريحانة الألبّا وزهرة الحياة الدنيا، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، ط1، مطبعة عيسى البابى الحلبى، 1386 هـ / 1967 م، ص 379.

ثم في اليوم التاسع في شهر ربيع الآخر وكان يوم الأحد سنة 1289 توجهت إلى الطائف [1]، وكانت الساعة الثامنة من النهار. وأصبحنا يوم الاثنين في سوله وأقلنا بها، ورحلنا في الساعة السابعة من النهار، وأصبحنا في التبيل وأقلنا هناك ورحلنا في الساعة السابعة من النهار يوم الثلاثاء، وأصبحنا يوم الأربعاء بالطائف ودخلنا البلد بعد طلوع الشمس بساعة. وبعد الاستراحة سرنا نزور قبور سادتنا عبدالله ابن العباس [2] وأولاد النبى الطيب والطاهر وولد سيدنا علي بن أبي طالب [3] محمد بن الحنفية [4] وزبيدة بنت أبي جعفر المنصور العباسي [5] ومن معهم في القبة.

(1) مدينة الطائف: اسمها وجّ، وسمّيت الطائف بذلك الطوف الذي أحاطه عليها قسيّ وهو ثقيف وكانت الطائف مهربا وملجأ لكلّ هارب، وبالطائف وهط عمرو بن العاص، وهو كرم كان يعرش على ألف ألف خشبة، شرى كلّ خشبة ألف درهم، والوهط عند العرب دقّ التراب، يقال تراب موهط أي مدقوق. ابن الفقيه: البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1416 هـ – 1996 م، ص79.

(2) عبد الله بن العباس: هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بْن عبد مناف بْن قصي القرشي الهاشمي. يكنى أَبَا الْعَبَّاس، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وَكَانَ ابْن ثلاث عشرة سنة إذ توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، هَذَا قول الْوَاقِدِيّ والزبير. قال الزُّبَيْر وغيره من أهل العلم بالسير والخبر: ولد عَبْد الله ابن الْعَبَّاس فِي الشعب قبل خروج بني هاشم منه، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين. وَرُوِّينَا مِنْ وُجُوهٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: تُوُفِّيَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن عَشْرِ سِنِينَ. القرطبي: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، ج3، ط1، دار الجيل، بيروت، 1412 هـ – 1992 م، ص 933، 934.

(3) علي بْن أَبِي طالب: هو علي بْن أَبِي طالب رضى الله عنه بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن قصي القرشي الهاشمي، يكنى أَبَا الْحَسَن. واسم أَبِيهِ – أَبَا طالب – عبد مناف وقيل: اسمه كنيته. والأول أصح، وَكَانَ يقال لعبد المطلب شيبة الحمد، واسم هاشم عَمْرو، واسم عبد مناف الْمُغِيرَة، واسم قصي زَيْد وأم علي بن أبي طالب فاطمة بنت أسد بن هاشم بْن عبد مناف، وهي أول هاشمية ولدت لهاشمي. كان علي أصغر ولد أَبِي طالب، وكان أصغر من جَعْفَر بعشر سنين، وعلي أول من آمن باللَّه وبرسوله محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الرجال. القرطبي: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج3، ص 1098، 1090.

(4) محمد بن الحنفية: هو محمد بن على بن أبى طالب يقال له محمد بن الحنفية كنيته أبو القاسم وقد قيل أبو عبد الله كان من أفاضل أهل البيت وكانت الشيعة تسميه المهدى كان مولده لثلاث سنين بقيت من خلافة عمر بن الخطاب ومات برضوى سنة ثلاث وسبعين ودفن بالبقيع. الدارمي: مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، تحقيق: مرزوق على ابراهيم، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، 1411 هـ/ 1991 م، ص103.

(5) زبيدة:إسمها الحقيقي (أمة العزيز بنت جعفر بن أبي المنصور) أما سبب تسميتها باسم زبيدة فقد كان

ثم زرنا قبور الصحابة الاثنى عشر، وهم شهداء الطائف [1]. ثم زرنا سيدنا زيد بن ثابت [2] الصحابى ومن معه. ومن بعد سرنا إلى وادي النمل [3]، وهو

جدها المنصور يرقصها في طفولتها ويقول لها زبيدة انت زبيدة، فغلب عليها ذلك الاسم وأصبحت تعرف باسم زبيدة وهي زوجة الخليفة العباسي هارون الرشيد، وحفيدة مؤسس الدولة العباسية الخليفة أبوجعفر المنصور من خلال إبنه جعفر .وكُنيتها زبيدة نظرًا لشدة بياضها، وتعتبر من أهم نساء الدولة العباسية وأكثرهم شهرة مما كان لها من دور في دور الخلافة فهي أم الخليفة الأمين الذي قتل على يد أخيه المأمون بعد نزاع على السلطة. من أهم أعمالها بناء أحواض للسقاية للحجاج في دربهم من بغداد إلى مكة فيما عرف بدرب زبيدة ،وعين زبيدة في مكة المكرمة تكريمًا لها.

(1) قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من استشهد من المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الطائف . من قريش : من قريش، ثم من بني أمية بن عبد شمس : سعيد بن سعيد بن العاص بن أمية، وعرفطة بن جناب، حليف لهم، من الأسد بن الغوث . قال ابن هشام : ويقال : ابن حباب . قال ابن إسحاق : ومن بني تيم بن مرة : عبدالله بن أبي بكر الصديق، رمى بسهم، فمات منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن بنى مخزوم : عبدالله بن أبي أمية بن المغيرة، من رمية رميها يومئذ .ومن بني عدي بن كعب : عبدالله بن عامر بن ربيعة، حليف لهم .ومن بني سهم بن عمرو : السائب بن الحارث بن قيس بن عدي، وأخوه عبدالله بن الحارث .ومن بني سعد بن ليث : جليحة بن عبدالله .واستشهد من الأنصار : من بني سلمة : ثابت بن الجذع .ومن بني مازن بن النجار : الحارث بن سهل بن أبي صعصعة .ومن بني ساعدة : المنذر بن عبدالله .ومن الأوس : رقيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لوذان بن معاوية .فجميع من استشهد بالطائف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر رجلاً، سبعة من قريش، وأربعة من الأنصار، ورجل من بني ليث .

(2) زيد بن ثابت: هو زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عبد عوف ابن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري النجاري،وأمّه النوار بنت مالك ابن معاوية بن عدي بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، يكنى أبا سعيد. وقيل: يكنى أبا عبد الرحمن، قاله الهيثم بن عدي. وقيل: يكنى أبا خارجة بابنه خارجة، يقَاُلُ: إنه كان في حين قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ابن إحدى عشرة سنة، وكان يوم بعاث ابن ست سنين، وفيها قتل أبوه. القرطبي: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج3، ص 1098، 1090.

(3) وادي النمل:بين جبرين وعسقلان. مر به سليمان، عليه السلام، يريد غزو الشام إذ نظر إلى كراديس النمل مثل السحاب، فأسمعته الريح كلام النملة تقول: يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده! فأخذت النمل تدخل مساكنها والنملة تناديهم: الوحى الوحى!

واد عظيم وعليه مزارع في جوانبه وقرى، يشرح الخاطر وفي أوله مسجد وبعده الطائف بمقدار أربعين أو خمسين دقيقة على الحمير بجدة السير. ثم سرنا إلى جهة المثناة [1] ورأينا بئر التفلة [2] وبستان عباس، ومع البئر مسجد. وهي بئر خالية

قد وافتكم الخيل! فصاح بها سليمان وأراها الخاتم، فجاءت خاضعة، فسألها سليمان عن قولها فقالت: يا نبي الله لما رأيت موكبك أمرت النمل بدخول مساكنها لئلا يحطمها جندك، فإني أدركت ملوكاً قبلك كانوا إذا ركبوا الخيل أفسدوا! فقال، عليه السلام: لست كأولئك، إني بعثت بالاصلاح! أخبريني كم عددكم وأين تسكنون وما تأكلون ومتى خلقتم؟ فقالت: يا نبي الله لو أمرت الجن والشياطين بحشر نمل الأرض لعجزوا عن ذلك لكثرتها، فما على وجه الأرض واد ولا جبل ولا غاية إلا وفي أكنافها مثل ما في سلطاني. ونأكل رزق ربنا ونشكره، وخلقنا قبل أبيك آدم بألفي عام. وإن النملة الواحدة منا لا تموت حتى تلد كراديس النمل، وليس على وجه الأرض ولا في بطنها حيوان أحرص من النمل، فإنها تجمع في صيفها ما يملأ بيتها وتظن أنها لا تشبع به. ولها تسبيح وتقديس تسأل بهما ربها أن يوسع الرزق على خلقه. فتعجب سليمان من كثرتها وهدايتها وعجائب صفاتها. القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ت، ص 279، 280.

(1) المثناة: قرية صغيرة تعد من أشهر المواقع التاريخية في الطائف بها بساتين ومزارع تحيط بها من كل جانب على امتداد وادي وج. وكانت نشأة المثناة مع بداية الدعوة الإسلامية، حينما جاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف يدعو أهلها إلى عبادة الله عز وجل، مرورا بوج إلى المثناة، فأقام بها شهرا يدعو الناس فلم يجيبوه وخيبوا رجاءه، وامتنعوا عن قبول دعوته إلى الله، إلا أن الطائف تشرفت بمقدم النبي صلى الله عليه وسلم إلى ربوة ظليلة واتكأ على صخرة بجوار الوادي، فأتاه عداس بطبق من العنب عند حائط بستان، ويسمي بالله ثم يأكل بعد العناء والجهد الذي لقيه في دعوته، وكانت هناك بئر يقال إن النبي صلى الله عليه وسلم شرب منها، وبجوارها حظيرة صلى بها وبالقرب منها شجرة سدر كائنة بوج محاذية للخبزة جلس تحتها، حينما جاء له عداس بطبق العنب عند حائط البستان ابني ربيعة، ولعله هذا البستان المسمى الآن ببستان ومسجد عداس في وسط بساتين الأشراف في المثناة.

(2) بئر التفلة: بئر موجود في عُسْفان وهي بلدة تاريخية عامرة، تقع شمال مكة على ثمانين كيلًا، على المحجة إلى المدينة المنورة، وسمى لبئر بذلك الأسم لانه قيل: إن رسول الله – صلى الله

(جافة)، وكذلك في البستان مسجد صغير. وهذا البستان دخله النبي صلى الله عليه وسلم لما آذاه آل ثقيف أهل الطائف، وأسلم عداس فيه على يديه حين جاءه بطبق من عنب من البستان.

وتفرجنا على بساتين أهل الطائف ووجدنا أفخرها شيرة؛ بستان أمير مكة الشريف عبدالله، والبهجة؛ بستان الشريف عبدالمطلب. وهما من جنان الدنيا. والطائف بلدة طيبة منبسطة، وفي قوة الحر باردة مثل الشتاء في غيرها، وفي الشتاء يجمد الماء من قوة بردها.

وهي قرية عليها سور وفيها قلعة فائقة في الحسن، وأسماء أبوابها الحزم وباب ابن عباس وباب الربع، وفيها باب صغير من القلعة غير الثلاثة المذكورة. وأكبر مساجدها مسجد ابن عباس وفيه تقام الجمعة. ثم من بعد مسجد الهادي أسفل البلد وفيه تقام الجمعة أيام الموسم.

وقد أخبرني بعض من له خبرة بتلك الجهات أن حول الطائف من سائر جهاته الأربع جملة قرى محتوية على بساتين وأنهار متفجرة ومزارع وثمار متنوعة، وكل هذه الثمار ترد إلى مكة المشرفة، فلذا تجد بمكة دائمًا الفواكه في غير أوانها. قال فمن جملة الوديان والقرى المذكورة وادي المثناة ووادي الرهط[1] ووادي

عليه وسلم – تفل فيها عندما مر بها في غزوة الفتح. عاتق بن غيث البلادي: معالم مكة التأريخية والأثرية، دار مكة للنشر والتوزيع، ط1، 1400 هـ/ 1980 م، د. ت، ص 188.

(1) وادى الرهط: يوجد ببلاد شريف قحطان شمال مركز الحرجة، من منطقة عسير.

السلامة [1] ووادي العقيق [2] ووادي الحال [3] ووادي القيم[4] ووادي العرج [5]

(1) وادى السلامة: السلامة قرية محاذية للطائف من جهة باب ابن عباس، كثيرة البيوت بعضها عامر، وبعض خرب، سانه قليكلون من قريش وغيرها، قرية من قرى الطائف بها مسجد للنبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، وفي جانبه قبّة فيها قبر ابن عبّاس وجماعة من أولاده ومشهد للصحابة، رضي الله عنهم.ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج 3، ص 234. خير الدين الزركلى: ما رأيت وما سمعت من مكة إلى المدينة، تحرير: مفيد نجم، ط1 ،دار السويدى للنشر، أبو ظبى، 2009م، ص111.

(2) وادي العقيق: وهو أشهر أودية المدينة، بل أشهر الأعقة كلها، وإذا أطلق اسم العقيق، انصرف إليه لأنه المذكور في حديث رسول الله الذي رواه البخاري «عن عمر بن الخطاب قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بوادي العقيق يقول: أتاني الليلة آت من ربي فقال: صلّ في هذا الوادي المبارك، وقل: عمرة في حجة».ويأخذ أعلى مساقط مياهه من قرب وادي الفرع، ثم ينحدر شمالا بين الحرار شرقا وسلسلة جبال قدس غربا حيث ترفده أودية عظيمة، فيسمى هناك «النقيع»، إلى أن يقترب من «بئر الماشي» على طريق الهجرة، فيسمى «عقيق الحسا». وفي هذا المكان يعدل غربا إلى الشمال، إلى أن يصل ذي الحليفة «آبار علي» عند ميقات أهل المدينة.. وقد يسمى من النقيع إلى ذي الحليفة (العقيق الأقصى) وما بعد ذي الحليفة: العقيق الأدنى. وعند ذي الحليفة يعدل شمالا، يحفّ به من الشرق جبل عير، ومن الغرب «البيداء» ثم «جماء تضارع»، ثم يجتمع به وادي بطحان قرب مسجد القبلتين، فيستمران إلى الجرف والغابة، فيأتيهما من الشرق وادي «قناة»، فإذا اجتمعت سمي المكان «مجمع الأسيال»، وبعدها يسمى الوادي «الخليل» بالتصغير، وهو اسم محدث لم يعرف في الكتب القديمة. فإذا تجاوز وادي «مخيط» سمي وادي «الحمض»، ويذكر مع وادي عقيق المدينة: «حمى النقيع» الذي حماه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. محمد بن محمد حسن شُرَّاب: المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، ط1 دار القلم، دمشق، 1411 هـ، ص 194، 195.

(3) وداى الحال: الحال من مخاليف الطائف، والحال في اللغة: الطين الأسود.ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج2، ص207.

(4) وادى القيم: هو وادى لقيم، وهو وادى مشهور فى شمال الطائف، وهو مشهور بالعنب والقمح اللقيمى.

(5) العرج: قرية جامعة على طريق مكّة من المدينة، بينها وبين الرّويثة أربعة عشر ميلا، وبين الرّويثة والمدينة أحد وعشرون فرسخا، وسيأتى ذكر العرج فى رسم القرع ووادى العرج يدعى المنجس، فيه عين عن يسار الطريق فى شعب بين جبلين، وعلى ثلاثة أميال منها، مسجد النّبيّ صلّى الله عليه وسلم، يدعى مسجد العرج. البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج3، ط 3، عالم الكتب، بيروت، 1403 هـ، ص 930.

ووادي ليلة ووادي قرن[1]، وغير ذلك مما يشرح الخاطر ويسر الناظر.

وتوجهنا منها يوم سابع والسبت من جمادى الأولى إلى مكة المشرفة، فمن يوم خروجنا من مكة إلى يوم رجوعنا إليها شهر كامل. ثم سافرنا من مكة المشرفة ليلة اثنتي عشرة والجمعة من جمادى الأولى من السنة المذكورة إلى جدة فدخلناها يوم السبت بعد طلوع الشمس. وفي يوم الأحد زرنا قبر أمنا حواء [2] وطوله أربعون ذراعاً على حد

(1) وادى قرن: واد كبير فى شمال الطائف مر به الرسول صلى الله عليه وسلم فى حصار الطائف، أعلاه محرم، وأسفله السيل الكبير، ويأخذ أعلى مسايله من بلاد قريش وديارها.

(2) حواء: حواء أم البشر سميت حواء لأنها لقت ن شيء حي، ولما خلقها الله تعالى: كان في الطالع السرطان، وذكر في "المعالم" قوله تعالى: (... يا آدمُ اسكنْ أنتَ وزوجكَ الجنَّةَ... (الآية، وذلك أن آدم عليه السلام لم يكن له في الجنة من يؤنسه ويجالسه، فنام، فخلق الله حواء زوجته فصيرها من شقه الأيسر، خلقها الله من غير أن أحس بها آدم عليه السلام ولا وجد ألما، ولو وجد ألماً لما عطف الرجل على امرأة، فلما استيقظ رآها جالسة عند رأسه كأحسن ما خلق الله، فقال لها: من أنت؟ قالت: زوجتك، خلقني الله لك؛ لكي تسكن إلي وأسكن إليك.قيل: إن آدم عليه السلام لما واقعها قالت: يا آدم زدنا منه، ما أطيبه. وقال في "في المعالم": لما أراد إبليس لعنه الله ليوسوس لآدم وحواء، عزم على الدخول إلى الجنة، فمنعته الخزنة، فأتى إلى الحية، وكان لها أربع قوائم، وهي من خزان الجنة، فسألها ان تدخله الجنة، فأدخلته في فمها، فلما دخل وقف بين يدي آدم وحواء وهما لا يعرفانه إبليس، فبكى وناح، فأحزنهما، فقالا له: ما يبكيك؟ قال: أبكي عليكما تموتان فتفارقان هذه النعمة، فاغتما ومضى إبليس، ثم أتاهما، فقال قوله تعالى: (... يا آدمُ هلْ أدلُّك على شجرةِ الخلدِ وملكٍ لا يبلى (فدله على أكل شجرة الحنطة، فأبى آدم، فبادرت حواء إلى أكل الشجرة، ثم ناولت آدم، فأكل منها، قوله تعالى: (... فبدت لهما سوءاتهما... (.وقيل: إن حواء سقته الخمر أولاً، حتى أكل آدم. قال سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهم: إن الله تعالى قال: يا آدم ما حملك على ما صنعت؟ قال: يا رب زينته لي حواء. قال: فإني أعقبتها أن [لا] تحمل إلا كرهاً [ولا تضع إلا كرهاً] وأدميتها في الشهر مرتين، فرنت حواء عند ذلك، فقيل: عليك الرنة، وعلى بناتك، واهبطا إلى الأرض، فأهبط [آدم] بسرنديب من أرض الهند، وأهبطت حواء بجدة، وأهبط إبليس بالأبلة والحية بأصفهان، فبكى آدم وحواء على ما فاتهما مائتي سنة، ولم يأكلا ويشربا أربعين يوماً، ولم يقرب آدم حواء مائة سنة. قيل: إن هبوطها تاسع ساعة من يوم الجمعة، واجتمع آدم بحواء بعد انقضاء مائة سنة، اجتمعا في عرفة، وإنما سمي جبل عرفة، لأن آدم عرف به حواء. ولما هبطا إلى الأرض كان لهما ولدان: هابيل وقابيل وتوءماتهما، وسلب آدم

قولهم، ووجدناه كما قالوا، إن لم يزد لم ينقص. في سطه قبة قيل إنها على سرتها.

ثم ركبنا البحر وسافرنا يوم خمسة عشر والاثنين الساعة الأولى من النهار في بابور الدولة العثمانية المسمى درابزان بودقلين، طوله مائتان وثمانون فوتاً، واسم قبطانه ربوان باب. ويوم ثمانية عشر والخميس أصبحنا مقابلين جبل طور سيناء [1]، وأمسينا آخر بركة فرعون [2]، وهو الموضع الذي غرق فيه فرعون لعنه الله. وصباح تسعة عشر والجمعة في الساعة الأولى والنصف من النهار وصلنا إلى السويس [3]،

وحواء كل ما كانا فيه من النعمة والكرامة، وكانت توءمة قابيل، أجمل من توءمة هابيل، فأراد آدم أن يزوج هابيل بتوءمة قابيل، وتوءمة هابيل بقابيل، فلم يطب ذلك لقابيل، فأخذ توءمته وقتل أخاه هابيل وهرب قابيل، وقصتهما مشهورة، فحزن آدم وحواء على هابيل وبكيا عليه أربعين يوماً، فأوحى الله إلى آدم أن اكفف عن بكائك، فإني قد وهبت لكما غلاماً مثله، يكون أبا الأنبياء، فاجتمع آدم بحواء، فحملت بشيث عليه السلام وحده م غير توءم، فلما ولدته كان كأنه هابيل، وذلك سنة مائة وثلاثين من هبوطهما.

(1) جبل طور سيناء: جبل ممتدّ ما بين مصر وأيلة، سمّى بطور بن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وهو الذي نودى منه موسى، قال تعالى:«ولما كنت بجانب الطور إذا نادينا» وهو طور سيناء، قال الله سبحانه: «وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت».وقال فى موضع آخر من كتابه «والتّين والزّيتون وطور سينين» ومعناهما واحد. البكري: معجم ما استعجم، ج3، ص 897.

(2) بركة فرعون: هى بركة الغرندل وهى بركة سعتها ستة أميال غرق فيها فرعون. عبد الله ابراهيم: عالم القرون الوسطى في أعين المسلمين، الموسسة العربية للدراسات والنشر، 2007م،ص125

(3) السويس: لما استمر انسحاب البحر الأحمر إلي الجنوب وانفصلت عنه البحيرات المرة أصبحت ميناء مصر عند النهاية الشمالية لخليج السويس هي مدينة كليسما التي سماها العرب مدينة القلزم، وفي القرن العاشر الميلادي نشأت قرية صغيرة جنوبي مدينة القلزم اسمها السويس وما لبثت أن شملت القلزم وأصبحت هي ميناء مصر علي البحر الأحمر. وفي سنة 1863م وصلت إليها المياه العذبة من ترعية الإسماعيلية فزاد عدد سكانها، وفي سنة 1869م فتحت قناة السويس فأصبحت مدينة السويس نقطة هامة للاتصال بين الشرق والغرب، وقد أنشئت محافظة السويس سنة 1225هـ الموافقة لسنة 1810م. محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلي سنة 1945م، ج1، ق2، البلاد الحالية، المحافظات ومديريات القليوبية والشرقية والدقهلية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994 م،، ص7.

وكرتنونا أربعاً وعشرين ساعة، ونزلنا يوم السبت بعد تمام مدة الكرنتينة وصارت علينا من المشقة ما لا يزيد عليه من الزحام، لأن المركب فيه جملة خلق من عسكر وغيرهم، حتى اشترينا مغلقاً فيه نسوان ونحن جملتنا خمسة أنفار، نولنا ستون ريالاً.

ونزلنا بالسويس عند الجودي، وهو جودي فاخر، ورأينا ما حوله من البناء والآلات ما لا يوصف، ومسافته عن البلد مقدار نصف ساعة على الدواب. وسافرنا من السويس في بابور الدخان على البر يوم الحادي والعشرين والأحد، بعد مضي ساعة وعشرين دقيقة من النهار.

الباب الثاني

في ذكر مصر وعجائبها

ووصلنا مصر الساعة الحادية عشرة إلا عشرين دقيقة في يومه، وكان قد وقف بنا في خمسة عشر موضعاً لأجل الاستراحة وقضاء الحوائج. ومنها رجوعه إلى بلد تسمى إسماعيلية [1] مرسى المراكب التي تمر في البحر الجديد. وتركنا مدة الإقامات فكان باقي مسيرنا من ذلك كله من السويس إلى مصر ست ساعات وعشرين دقيقة. وكان في سابق الأمر على الجمال سيرة ثلاثة أيام بجمال أهل مصر لأنها في السير أسرع من جمال الحجاز [2]، والنهر من النيل، والبحر الجديد بداية سايرناه من السويس إلى الإسماعيلية، والسلك كذلك يسايرنا من جانبين وذلك مقدار نصف الطريق. الغاية إنها (البحر وخط الهاتف) مقابل المحطة التاسعة، ثم انقطع عنا البحر الجديد والسك من جانب واحد، وسار البحر إلى جانب آخر إلى نبط سعيد وبقى معنا النهر الحالي والسلك من جانب واحد سايرنا إلى مصر.

وعند وصولنا إلى وادي مصر وهو معقل العسكر، بعده عن البلد سبع محطات، كله عمار من مزارع ونخل وأشجار، وتفرع النهر في مواضع شتى يسمونها الترع؛

(1) الإسماعيلية: إحدى مدن القناة وهي عاصمة محافظة الإسماعيلية .بنيت المدينة على الضفة الغربية من بحيرة التمساح – والتي تُعتبر جزءًا من ممر قناة السويس – تقريبا في منتصف المسافة بين بورسعيد شمالا والسويس جنوبًا، لكي تكون مركزا لشركة قناة السويس العالمية للملاحة في عهد الخديوى إسماعيل.

(2) الحِجاز:يجوز أن يكون مأخوذا من قول العرب حجز الرجل بعيره يحجزه إذا شدّه شدّا يقيده به،،و يقال:احتجزت المرأة إذا شدّت ثيابها على وسطها واتّزرت. والحجاز: جبل ممتدّ حالّ بين الغور غور تهامة ونجد فكأنه منع كلّ واحد منهما أن يختلط بالآخر فهو حاجز بينهما، وهذه حكاية أقوال العلماء، قال الخليل: سمي الحجاز حجازا لأنه فصل بين الغور والشام وبين البادية. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص 218.

منها ترعة إلى السويس تمر فيها المراكب عند جودي، ومنها ترعة عند الإسكندرية، وترعة تشق مصر. وكلها من البحر الكبير وتفاريعه في سائر أرض مصر من سائر البلدان. وجميع هذه الترع يجرى فيها السفن من كبار وصغار، ويأكلون من حيتانها. والحاصل أننا رأينا شيئاً عظيماً يقصر دونه الوصف.

والسويس بلدة صغيرة ولا عليها سور، ولا فيها شئ من القلاع غير البوابير الحربية في مرسها. وفيها قلعة محكمة متكلفة بلك وخمسين ألف ريال. إنه هذا ما بلغنا. وليست هي بلدة مزارع إنما تجيء إليها الفواكه والمأكولات من مصر وغيرها.

وأما العجائب في مصر - وما سميت مصر إلا لأنها مصر كما قالوا وفيها من البساتين آية وشيء يبهر العقول حتى في بعض الأماكن يمشي البابور ما بين الأشجار والأنهار. وتفرجنا على كارخانة [1] طبع الكتب، والذي يصحح الكتب في المطبعة عشرة من العلماء. وكذلك تفرجنا على كارخانة عمل القرطاس وهي تعمل أصنافاً من القرطاس. وهو يعمل من الخرق البالية والجواني وورق الموز. وأما طبع الكتب فهو على نوعين؛ نوع بالحجر ونوع بالرصاص. وتفرجنا على كارخانة السراج التي تشتعل منها المصابيح في البيوت والطرقات. والحاصل أن ما رأينا من هذه الكارخانات شيء مما لا يناله الوصف.

ودخلنا بيت الفرجة وهو بمحل يقال له بولاق وهم يسمونه الانتيكة، ومعناه العمل القديم. ورأينا فيه صور الفراعنة وغيرهم وحليهم السابقة من ذهب وفضة، وبعض من حوائجهم وأسبابهم وسائر صنائعهم. وفيهم أموات على حالهم في صناديق، أحدهم منذ ثلاثة آلاف سنة وثماني مائة سنة، تواريخهم مكتوبة عليهم. أخرجهم النصاري من الأرض،

---

(1) كارخانة: ربما تأتى بمعنى بيت أو دار مثل كارخانة طبع الكتب أى بيت أو دار طبع الكتب وما أرشدنا إلى ذلك أن الكلمة الأصلية هى كرخانه هى تعنى بيت للدعارة. أحمد مختار عبد الحميد عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج3، ط1، عالم الكتب، 1429 هـ - 2008 م، ص1918.



بعضهم في زمن محمد علي باشا [1] والبعض من بعده. أصلها مقابر قديمة بمصر، يحفرونها

(1) كان أصله من الأرنأوط، وقدم عسكرياً مع عساكر الترك القادمين لأخذ مصر من الفرنسيين لما استولى الفرنساويون عليها وكان الفرنساويون قاصدين التوصل من هناك إلى افتكاك الهند من الانجليز لما كان بينهم من الحروب والعداوة، بل وكانت سائر أوربا إذ ذاك ضد الفرنساويين حسبما تقدم ذلك في محله. فحينئذ عاضدت انجلترا الدولة العثمانية على حرب فرنسا وإخراجها من مصر، وكان المترجم كامل الأوصاف للرياسة فتقدم إليها بنفسه على بني جنسه، وانقاد له الجميع. وقررت ولايته الدولة على دفع خراج معلوم سنوياً وذلك سنة 1219، فوجد مصر في نهاية درجة الفقر والبربرية والجهل، بل حتى أن الأمراض الوبائية من الطاعون قد تمكنت فيها وصارت عادية تفني من الناس سنوياً خلقاً كثيراً، حتى قل العمران ولم يبق من مآثر تقدم المصريين سوى الاسم في التواريخ. نعم وجد للعلوم الشرعية بقية آثار في الجامع الأزهر من العلماء، وذلك كله لما مر عليها من تقلبات الدهر والظلم والجور والاستبداد والحروب في الأيام الخالية. فشمر عن ساعد الجد ووافقه البخت وفتح لمصر عصراً جديداً، فنظم فيها جيشاً نظامياً من أهلها، ورتب الأداء على الأهالي على قانون غير مجحف، وألزمهم بتعمير الأرض وفتح الترع وإنشاء المدارس العلمية للعلوم الرياضية والحربية، وأحضر المعلمين من أوربا وأحيا المارستانات وألزم الأهالي بالنظافة، وتوسيع الطرقات والبناءات، وأرسل التلامذة إلى أوربا لتعلم الفنون، وأحيا نمو العلوم الشرعية، وسهل أبواب التجارة، وأنشأ معامل السلاح والسفن، وترجمت الكتب النافعة في فنون شتى من لغات شتى إلى العربية، فنشأ في مصر جيل جديد وعصر جديد، بسطت فيه طرق العمران والتمدن والقوة في مدة يسيرة، فافتتح النوبة وسنار واستولى على الشام والحجاز، وافْتَكَّهُ من الوهابي، بل امتد بالاستيلاء إلى قرب الآستانة في الأناطولي، وخشيت شوكته من عصيانه على الدولة العثمانية، فتعصب الانجليز إلى الدولة في الظاهر لتوطيد أركانها، وفي الباطن خشية من إنشاء دولة إسلامية شابة ذات قوة مثل تلك ومركزها مصر، فتخشى أن تمتد من هناك إلى الهند الذي هو روح الانجليز، لا سيما إذا عاضدته إحدى الدول الأوربية مثل فرنسا، فلذلك حاربته مع الدولة العثمانية التي هي إذ ذاك على ضعف شديد من حرب الروسيا والثورات الداخلية واستقلال اليونان وغير ذلك، فقهروا محمد علي، ولكن لإتمام مقصد انجلترا لم تسمح للدولة بالاستيلاء التام على مصر لمراعاة المقاصد المشار إليها أيضاً، فكان الأوفق لها إبقاء مصر على شبه إستقلال ليضعف كل من الجهتين، وبقي محمد علي والياً على مصر على أن تكون الولاية في ذريته من أكبر إلى أكبر، ويؤدي خراجاً سنوياً للدولة، ويعينها عند وقوع حرب معها بالعساكر الذين يبلغ عددهم الأربعين ألفاً، وكذلك يعينها بالسفن، وإن الرتب العالية في مصر يعين هو أصحابها، وتوليهم الدولة، والسكة والخطبة تكون باسم السلطان العثماني أيضاً، وأخرج الحجاز

ويخرجون منها صوراً من المتقدمين وأمواتهم وحوائجهم. هكذا أخبرونا والله أعلم. وفيهم صور هائلة موحشة، أحد منهم يقارب سبعة أذرع [1] طولًا وأزيد، والجرم على قدر الطول. وأحد من الأموات بأكفانهم وشيء من كسوتهم كذلك باقية لم تتغير، واحد منهم كالأسد، وغرائب لا تحصى، يحتار فيها اللبيب، ويهابها الطبيب، وهي شكل غريب.

وكذلك تفرجنا على نيل مصر الكبير وما فيه من المراكب والسفن، ورأينا مجاري الترع منه إلى باقي البلدان من السويس وغيره، والسفن الجارية فيها تحمل أشجاراً وخضرة وفواكه وحبوب وغير ذلك من مهمات العالم إلى سائر الجهات. وكل هذه الفرجة ببولاق[2]، وهي

عنه إلى الدولة، وكذلك الشآم، وبقي على ذلك إلى أن ضعف بالسن، فتنازل عن الولاية لابنه الأكبر وهو رئيس جيوشه وحروبه إبراهيم باشا سنة 1265، وكان على قدم أبيه، وتوفي المذكور في تلك السنة. الدمشقي: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تحقيق: محمد بهجة البيطار، ط 2، دار صادر، بيروت، 1413 هـ – 1993 م، ص 1240: 1242.

(1) الذراع: هو بسط اليد ومدهاواصله من الذراع وهو الساعد. وهو ما بين طرف المرفق إلى طرف الإصبع الوسطى. وهو وحدة للطول، ومقدار الذراع عند الحنفية الذراع 46.375سنتمتر. والمالكية 53 سنتمتر.ووعند الحنابلة والشافعية 61.834 :سنتمتر. على جمعه محمد: المكاييل والموازين الشرعية، ط2، القدس للنشر، القاهرة، 2001م، ص 50.

(2) بولاق: كان ساحل النيل فى السابق بالمقس، وأن الماء انحسر بعد سنة سبعين وخمسمائة عن جزيرة عرفت بجزيرة الفيل، وتقلص ماء النيل عن سور القاهرة الذي ينتهي إلى المقس، وصارت هناك رمال وجزائر، ما من سنة إلّا وهي تكثر، حتى بقي ماء النيل لا يمرّ بها إلا أيام الزيادة فقط. وفي طول السنة ينبت هناك البوص والحلفاء، وتنزل المماليك السلطانية لرمي النشاب في تلك التلال الرمل. فلما كان سنة ثلاث عشرة وسبعمائة رغب الناس في العمارة بديار مصر، لشغف السلطان الملك الناصر بها ومواظبته عليها، فكأنما نودي في القاهرة ومصر أن لا يتأخر أحد من الناس عن إنشاء عمارة، وجدّ الأمراء والجند والكتّاب والتجّار والعامّة في البناء، وصارت بولاق حينئذ تجاه بولاق التكرور، يزرع فيها القصب والقلقاس على ساقية تنقل الماء من النيل، حيث جامع الخطيري الآن، فعمّر هناك رجل من التجار منظرة، وأحاط جدارا على قطعة أرض غرس فيها عدّة أشجار وتردّد إليها للنزهة. فلما مات انتقلت إلى ناصر الدين محمد بن الجوكندار، فعمر الناس بجانبها دورا على النيل وسكنوا ورغبوا في السكنى هناك، فامتدّت المناظر على النيل من الدار المذكورة إلى جزيرة الفيل، وتفاخروا في إنشاء القصور العظيمة هناك، وغرسوا من

حارة من حوائر مصر شهيرة. والآن هم مجتهدون في حفر ترعة إلى السويس غير الأولى للمراكب. ورأينا القناطر الصغار ورأينا القناطر الدورانية على النيل.

ورأينا الموضع المسمى الإسماعيلية، الذي يعمره إسماعيل باشا[1] بمصر من

ورائها البساتين العظيمة، وأنشأ القاضي ابن المغربيّ رئيس الأطباء بستانا، اشتراه منه القاضي كريم الدين ناظر الخاص للأمير سيف الدين طشتمر الساقي، بنحو مائة ألف درهم فضة. وكثر التنافس بين الناس في هذه الناحية، وعمروها حتى انتظمت العمارة في الطول على حافة النيل، من منية الشيرج إلى موردة الحلفاء، بجوار الجامع الجديد خارج مصر، وعمر في العرض على حافة النيل الغربية، من تجاه الخندق بحريّ القاهرة، إلى منشأة المهرانيّ. وبقيت هذه المسافة العظيمة كلها بساتين وأحكارا عامرة بالدور والأسواق والحمّامات والمساجد والجوامع وغيرها، وبلغت بساتين جزيرة الفيل خاصة ما ينيف على مائة وخمسين بستانا، بعد ما كانت في سنة إحدى عشرة وسبعمائة نحو العشرين بستانا. وأنشأ القاضي الفاضل جلال الدين القزوينيّ، وولده عبد الله، دارا عظيمة على شاطيء النيل بجزيرة الفيل، عند بستان الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب. وأنشأ الأمير عز الدين الخطيريّ جامعة ببولاق على النيل، وأنشأ بجواره ربعين. وأنشأ القاضي شرف الدين بن زنبور بستانا، وأنشأ القاضي فخر الدين المعروف بالفخر ناظر الجيش بستانا، وحكر الناس حول هذه البساتين وسكنوا هناك، ثم حفر الملك الناصر محمد بن قلاوون الخليج الناصريّ سنة خمس وعشرين وسبعمائة، فعمر الناس على جانبي هذا الخليج، وكان أوّل من عمر بعد حفر الخليج الناصريّ المهاميزي، أنشأ بستانا ومسجدا هما موجودان إلى اليوم، وتبعه الناس في العمارة حتى لم يبق في جميع هذه المواضع مكان بغير عمارة، وبقي من يمرّ بها يتعجب، إذ ما بالعهد من قدم، بينما هي تلال رمل وحلافي، إذ صارت بساتين ومناظر وقصورا ومساجد وأسواقا وحمامات وأزقة وشوارع، وفي ناحية بولاق هذه كان خص الكيالة الذي يؤخذ فيه مكس الغلة إلى أن أبطله الملك الناصر محمد بن قلاوون، كما ذكر في الروك الناصريّ من هذا الكتاب. ولما كانت سنة ست وثمانمائة انحسر ماء النيل عن ساحل بولاق، ولم يزل يبعد حتى صار على ما هو عليه الآن، وناحية بولاق الآن عامرة، وتزايدت العمائر بها، وتجدّد فيها عدّة جوامع وحمّامات ورباع وغيرها. المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج3، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418 هـ، ص 234، 235.

(1) اسماعيل باشا: هو إسماعيل (باشا) بن إبراهيم بن محمد علي الكبير: خديوي مصر. ولد في القاهرة عام 1830م، وتعلم بها ثم في فرنسة. وولي مصر سنة 1279 هـ وهو أول من أطلق عليه لقب (الخديوية) من رجال أسرته. كان مولعا بالهندسة والرسم والتخطيط في طفولته، ولما ولي

بولاق في محل يقال له الجزيرة، وبما فيه من البناء الفاخر. ورأينا بستانه المسمى الجنينة وبما فيه من القباب المزخرفة والأنهار الجارية والأشجار المظلة الدانية، والجبل المصور والماء ينحدر من أعلاه إلى بحيرة في وسط البستان، وعليها القناديل دائرة على صفة بيض النعام، وكلها تسرج في يوم الزينة بالجاز.

والجاز حل الولاية، وفي وسطها قبة صغيرة للطير، وفيها من الأشجار الفاخرة مالا نهاية. وفيه قبة مخصوصة تضرب فيها المزيقة، وهي آلة الطرب الافرنجية. وكذلك باقي القباب بها أنواع من الآلات الملهية، وفيهن من القناديل والسرج مالا نهاية.

وعلى الأنهار والأشجار قناديل. ويصير فيه مجمع كبير في الأسبوع مرتين، لأنه مجعول للفرجة مما يؤدي لكل متدين بدينه أن ينكر.

ورأينا الجامع الأزهر [1]وهو مقر العلماء والمتعلمين، إنه جامع كبير، وفيه

اتجه إلى تنظيم المدن وإنشائها. وفي أيامه أوصلت أسلاك البرق (التلغراف) وسكك الحديد إلى بلاد السودان، وأقيمت المنارات في البحر الأحمر وبنيت مدينة (الإسماعيلية) وأنشئ المتحف المصري والمكتبة الخديوية (المصرية) وتألفت شركات المياه والغاز في القاهرة والإسكندرية، وأقيم مرفأ الثانية، وتم حفر (ترعة السويس) وكان افتتاحها سنة 1286 هـ - 1869 م، ونكبت مصر بإنشاء المحاكم المختلطة (سنة 1876 م) وكان مسرفا في الإنفاق على ملاذّه وعلى مشروعاته. ولي مصر وعليها من الدين ثلاثة ملايين جنية. واعتزلها وعليها نحو مئة مليون جنية. وأنشأ حكومة دستورية. ورضي بالمراقبة الأجنبية لخزائن مصر. وطلبت حكومتا انكلترة وفرنسة من حكومة الآستانة عزله، فعزل سنة 1296 هـ (1879 م) وقضى بقية أيامه في أوربة وتركية إلى أن توفي في الآستانة عام 1895 م. ونقلت جثته إلى القاهرة. الزركلي: الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، 2002 م، ص 308.

(1) الجامع الأزهر: هذا الجامع أول جامع أسس بالقاهرة، أنشأه القائد جوهر الكاتب الصقلي مولى المعز لدين الله لما اختط القاهرة، وابتدأ بناءه في يوم السبت لست بقين من جمادى الأولى سنة تسع وخمسين وثلاثمائة، وكمل بناؤه لسبع خلون من رمضان سنة إحدى وستين، وكان به طِلَّسم، لا يسكنه عصفور ولا يمام ولا حمام، وكذا سائر الطيور. ثم جدده الحاكم بأمر الله، ووقف عليه أوقافًا، وجعل فيه تنورين فضة وسبعة وعشرين قنديلًا فضة،

مواضع ومحاريب جملة، ومدارس وخلوات للمتعلمين. ومن جملة المحاريب، محراب في وسطه ما بين العواميد، وعواميده كلها حجر رخام. والذي وافقناهم فيه من المتعلمين وغيرهم بقدر ثلاثمائة إلى أربعمائة، وذلك في غير وقت الصلاة، عند الإشراق.

وفيه جملة من علماء يدرسون في حلقات عديدة، يسمع لهم دوي عظيم. وأخبرونا أن الذي رأيناهم أناساً قلة، أكثرهم في هذه الأيام ساروا إلى زيارة الشيخ البدوي [1]، ومعهم اجتماع عظيم. وجميع المتعلمين في هذا المسجد لهم جوائز من الدولة. الحاصل

وكان نضده في محرابه منطقة فضة، كما كان في محراب جامع عمرو، فقلعت في زمن صلاح الدين يوسف بن أيوب، فجاء وزنها خمسة آلاف درهم نقرة، وقلع أيضا المناطق من بقية الجوامع. ثم إن المستنصر جدد هذا الجامع أيضا وجدده الحافظ، وأنشأ فيه مقصورة لطيفة بجوار الباب الغربي الذي في مقدم الجامع.ثم جدد في أيام الظاهر بيبرس.ولما بني الجامع كانت الخطبة تقام فيه، حتى بني الجامع الحاكمي، فانتقلت الخطبة إليه، وكان الخليفة يخطب في جامع عمرو جمعة، وفي جامع ابن طولون جمعة، وفي الجامع الأزهر جمعة، ويستريح جمعة. فلما بني الجامع الحاكمي صار الخليفة يخطب فيه.ولم تنقطع الجمعة من الجامع الأزهر بالكلية. فلما ولي السلطان صلاح الدين بن أيوب، قلد وظيفة القضاء صدر الدين بن درباس، فعمل بمقتضى مذهبه، وهو امتناع إقامة خطبتين في بلد واحد، كما هو مذهب الشافعي –رضي الله عنه، فأبطل الخطبة من الجامع الأزهر، وأقرها بالجامع الحاكمي لكونه أوسع، فلم يزل الجامع الأزهر معطلا من إقامة الخطبة فيه إلى أيام الظاهر بيبرس، فتحدث في إعادتها فيه، فامتنع قاضي القضاة ابن بنت الأعز وصمم، فولى السلطان قاضيا حنفيا، فأذن في إعادتها فأعيدت. السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج2، ط1، دار إحياء الكتب العربية، مصر، 1387 هـ/ 1967 م، ص251، 252.

(1) الشيخ البدوى: هو الشيخ المعتقد الصالح أبو الفتيان أحمد بن علىّ بن إبراهيم بن محمد ابن أبى بكر المقدسىّ الأصل البدوىّ المعروف بأبى اللّثامين السطوحىّ، ولد سنة ستّ وتسعين وخمسمائة، وتوفّى فى سنة خمس وسبعين فى شهر ربيع الأوّل، ودفن بطنطا، وقبره يقصد للزيارة هناك، وكان من الأولياء المشهورين، وسمّى بأبى اللّثامين لملازمته اللّثامين صيفا وشتاء، وكان له كرامات ومناقب جمة، رحمه الله تعالى. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج7، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، ص 252.

أنه مسجد عظيم وفيه خلق كثير. وفيه جملة صناديق تضم كتباً كثيرة، وهي في التحري بقدر مائتي صندوق، قد تزيد قليلاً وقد تنقص. والحاصل أننا لا نستطيع وصف كل ما رأيناه، بل وصفنا البعض فقط.

ثم زرنا رأس الحسين بن علي بن أبي طالب [1]، وهم يذكرون أنه جاء به أحد ملوك مصر بعد وفاة يزيد بن معاوية [2]، وعليه قبة عظيمة بها مسجد عظيم. وزرنا

(1) الحسين بن علي بن أبي طالب: هو الْحُسَيْن بن عَليّ بن أبي طَالب بن عبد الْمطلب وَرَيْحَانَة النَّبِي ولد بِالْمَدِينَةِ لخمس خلون من شعْبَان سنة أَربع من الْهِجْرَة على الصَّحِيح وَقيل سِتّ وَقيل سبع قَالَ فِي الْإِصَابَة وَهَذَا القَوْل الآخر لَيْسَ بِشَيْء وَكَانَت والدته البتول علقت بِهِ بعد أَن ولدت أَخَاهُ الْحسن بِخَمْسِينَ يَوْمًا وَقيل بطهر وَاحِد ألقابه الرشيد وَالطّيب والرضي وَالسَّيِّد والزكي وَالْمبَارك والبسيط وَالتَّابِع لمرضاة الله كَانَ الْحُسَيْن أشبه الْخلق بِالنَّبِيِّ. العصامي: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، و علي محمد معوض، ج3، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419 هـ – 1998 م، ص 190.

(2) يزيد بن معاوية: هو يزيد بن معاوية أبو خالد الأموى، ولد سنة خمس أو ست وعشرين، كان ضخمًا كثير اللحم كثير الشعر، وأمه ميسون بنت بحدل الكلبية. روى عن أبيه وعنه: ابنه خالد، وعبد الملك بن مروان. جعله أبوه ولي عهده، وأكره الناس على ذلك كما تقدم. قال الحسن البصري: أفسد أمر الناس اثنان: عمرو بن العاص يوم أشار على معاوية برفع المصاحف فحملت، ونال من القراء، فحكم الخوارج، فلا يزال هذا التحكيم إلى يوم القيامة. والمغيرة بن شعبة، فإنه كان عامل معاوية على الكوفة فكتب إليه معاوية: إذا قرأت كتابي فأقبل معزولًا، فأبطأ عنه فلما ورد عليه قال: ما أبطأ بك؟ قال: أمر كنت أوطئه وأهيئه، قال وما هو: قال: البيعة ليزيد من بعدك قال: أو قد فعلت؟ قال: نعم، قال: ارجع إلى عملك، فلما خرج قال له أصحابه؟ ما وراءك؟ قال: وضعت رجل معاوية في غرز غي لا يزال فيه إلى يوم القيامة، قال الحسن: فمن أجل ذلك بايع هؤلاء لأبنائهم، ولولا ذلك لكانت شورى إلى يوم القيامة. وقال ابن سيرين: وفد عمرو بن حزم على معاوية فقال له: أذكرك الله في أمة محمد –صلى الله عليه وسلم – بمن تستخلف عليها، فقال: نصحت وقلت برأيك وإنه لم يبق إلا ابني وأبناؤهم، وابني أحق. وقال عطية بن قيس: خطب معاوية فقال: اللهم إن كنت إنما عهدت ليزيد لما رأيت من فضله فبلغه ما أملت وأعنه، وإن كنت إنما حملني حب الوالد لولده وأنه ليس ما صنعت به أهلًا فاقبضه قبل أن يبلغ ذلك. فلما مات معاوية بايعه أهل الشام. السيوطي: تاريخ الخلفاء، تحقيق: حمدي الدمرداش، ط1، مكتبة نزار مصطفى الباز، 1425هـ/ 2004م، ص 156.

الأمام الشافعي[1]، والسيدتين نفيسة[2] وسكينة [3] بنت الحسين بن علي، والسيدة

(1) الامام الشافعي: هو محمد بن إِدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السايب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف، وهذا شافع الذي ينسب إِليه الشافعي، لقي النبي صلى الله عليه وسلم وهو مترعرع، وأبوه السايب أسلم يوم بدر.فالشافعي شقيق رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسبه، يجتمع معه في عبد مناف، وكانت زوجة هاشم بن المطلب بن عبد مناف بنت عمه الشفاء بنت هاشم بن عبد مناف فولد له منها عبد يزيد، جدّ الشافعي، فالشافعي إِذن ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته، لأن الشفاء أخت عبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وولد الشافعي سنة خمسين ومائة بغزة، على الصحيح، وقيل في غيرها، وأخذ العلم من مالك بن أنس، ومسلم بن خالد الزنجي، وسفيان بن عيينة، وسمع الحديث من إِسماعيل بن علية، وعبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي، ومحمد بن الحسن الشيباني، وغيرهم، قال الشافعي: حفظت القرآن وأنا ابن تسع سنين، وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر، وقدمت على مالك وأنا ابن خمس عشرة سنة. وقال: رأيت علي بن أبي طالب في منامي، فسلم علي وصافحني؛ وجعل خاتمه في إِصبعي، ففسر لي أن مصافحته لي أمان من العذاب، وجعله الخاتم في إِصبعي، أنّه سيبلغ اسمي ما بلغ اسم علي، في الشرق والغرب. وتوفى عام سنة أربع ومائتين. أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج2، ط 1، المطبعة الحسينية المصرية، ص 26.

(2) السيده نفيسة: هى نفيسة بنت الأمير حسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب الحسنيّة، صاحبة المشهد بمصر. ولي أبوها إمرة المدينة للمنصور، ثم حبسه دهرا. ودخلت هي مصر مع زوجها إسحاق بن جعفر الصّادق. وتوفيت في شهر رمضان سنه ثمان ومائتان.قال ابن الأهدل: وقيل: قدمت مصر مع ابنها، وكانت من الصالحات.سمع عليها الشّافعيّ، وحملت جنازته يوم مات فصلت عليه. ولما ماتت همّ زوجها إسحاق بحملها إلى المدينة فأبى أهل مصر فدفنت بين القاهرة ومصر.يقال: إن الدعاء مستجاب عند قبرها. قال الذّهبيّ: ولم يبلغنا شيء من مناقبها، وللجهّال فيها اعتقاد لا يجوز، وقد يبلغ بهم إلى الشرك بالله، فإنهم يسجدون للقبر ويطلبون منه المغفرة. الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، ج 3، ط1، دار ابن كثير، دمشق، 1406 هـ – 1986 م، ص43.

(3) السيدة سكينة: هى سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم، وقيل اسمها أمينة وقيل أميمة وهو الراجح، وسكينة لقب لها، وأمها الرباب ابنة امرئ لقيس بن عدي، وكانت سكينة المذكورة من أجمل النساء وأظرفهن وأحسهن أخلاقا، تزوجها مصعب بن الزبير فهلك عنها ثم تزوجها عبد الله بن عثمان بن عفان ثم عبد الله بن حكيم بن حزام ثم تزوجها زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان، فأمره سليمان بن عبد الملك طلاقها ففعل، وقيل في ترتيب أزواجها

زينب [1] بنت سيدنا علي بن أبي طالب. وهذه المزارات كلها عليها قبب صغار، وفي الوسط قبة كبيرة وفيها من النقوشات والكتابات. وفي مصر مساجد كثيرة من جوامع وغيرها، قيل لنا إنها تحوي ثلاثة آلاف مسجد.

وصعدنا القلعة، ورأينا مسجد محمد علي باشا الذي ليس له نظير، كله من رخام مثل الكهرب، وعليه قبب صغار، وفي وسطه قبة كبيرة، وفيه من النقوشات بالذهب وغيره ما لا يوصف، وبجانبه عن يمين الداخل فبره وهو في بطن القلعة على جبل، وحوله البساتين وفيه موضع للنزهة، شيء لا يوصف.

وإذا كنت بجانب المسجد ستكشف مدينة مصر كلها. وفي هذه المسجد من ثريات وقناديل وفرش ما لا يوصف، والماء صاعد للمسجد والجبل، وكذلك القلعة كلها على الجبل كاشفة على مصر الجديدة والقديمة. فيه جملة أبواب، وكل باب عليه عساكر وفيها جملة بيوت. والحاصل أنها حلة تامة، تطلع إليها عربات الخيل من غير مشقة.

ونظرنا البلد كلها من القلعة فوجدناها بلدة عظيمة على الوصف وزيادة. وزنجبار كلها ببيوتها في السعة والقيمة عن محلة من مصر على القياس، الحاصل أنها بلدة يكل البليغ عن وصفها، وليس الخبر كالعيان.

غير هذا. ولها نوادر وحكايات ظريفة، وتوفيت سكينة بالمدينة الشريفة رحمها الله تعالى. قلت: هكذا ذكر موتها بالمدينة في كل تاريخ، وقفت عليه خلاف ما يقوله العامة من أنها مدفونة خارج مكة في القبة التي في الزاهر في طريق العمرة. اليافعي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق: خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417 هـ/ 1997 م، ص 197.

(1) السيدة زينب: هي زينب بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ولدت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وكانت عاقلة لبيبة جزلة زوَّجها أبوها ابن أخيه عبد الله بن جعفر، فولدت له أولاداً، وكانت مع أخيها لما قتل، فحملت إلى دمشق. عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي: أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه – شخصيته وعصره، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، 1425 هـ – 2004 م، ص37.

ورأينا بيت فرعون موسى [1] وهو قد خرب، بل باق شيء من حيطانه وموضع جلوسه للبروز للناس في دكة مرتفع، علوها من الأرض هو بناء نحو عشرين ذراعاً، قياساً على التحري.

وأخبرنا شيخ من شيوخ الأزهر أن جملة علماء جامع الأزهر المدرسين مائتان، وتلاميذهم خمسة آلاف وثمانمائة، والجملة ستة آلاف نفر، الذين لهم جوائز من الدولة المصرية، وهم مكتوبون في دفاترهم. وعند الدرس يمتلىء المسجد الأزهر المتقدم ذكره كله مع الأماكن التي حوله حتى لا يقدر أحد أن يجوز في وسطه من كثرة الخلق، لاصقين ببعضهم بعضاً. وأخبرني غير الشيخ المذكور بذلك، كما أخبرني الشيخ تصديقا لقوله.

وأخبرونا عن قبور أهل مصر، يجعلون سراديب في الأرض ويبنونها وينورونها ويجعلون على أبوابها الحجر المنحوت وإذا مات لهم ميت كشفوا الحجر وأدخلوه، وتجتمع أموات كثيرة في كل سرداب. وطوارق النساء يزينونها ويجعلون على رأس الميتة عوداً مستمراً بالنعش، وفيه شعر يزينونه بالحلي، ويلقون في الشعر مشاخص ذهب وشيئاً من زينة النساء. رأيناهم يمرون بطارقة على هذه الصفة، وأخبرونا بذلك وعندهم تخرج النساء خلف الجنائز، يكون الرجال أمام الطارقة والنساء خلفها. وطوارقهم بخلاف طوارقنا يحملها ثلاثة أنفار؛ اثنان قدام وواحد خلفها، والنساء نائحات خلف الجنازة مخالفين للسنة.

وأيضا دخلنا بيت النزهة الذي هو في بستان القلعة مزخرف مما لا نهاية، وفيه ديوان المناصب إذا تولى حاكم يقعد فيه للتهنئة، وكذلك أيام الأعياد يقعد فيه والى مصر. وفيه مواضع إذا دخلت موضعاً تراه أحسن من الآخر. والحاصل أنه محل مملكة. وقد بلغنا أن السلطان عبد العزيز حين قدم إلى مصر سنة ثلاث وثمانين ومائتين وألف نزل فيه.

---

(1) فرعون موسى: من العماليق، أقام خمسمائة سنة، حتى أغرقه الله.وأخرج ابن عبد الحكم، عن ابن لهيعة والليث بن سعد، قالا: كان فرعون قبطيًّا من قبط مصر، اسمه طلما.وأخرج عن هانئ بن المنذر، قال: كان فرعون من العماليق، وكان يكنى بأبي مرة. السيوطي: حسن المحاضرة، ج1، ص 42.

ورأينا كرخانة القروش [1] في القلعة، وكذلك سجن النبي يوسف[2] عليه السلام، وهي بئر كبيرة عميقة في القلعة ونزلنا إلى بعضها، ورأينا الموضع الذي كان يجلس فيه النبي يوسف عليه السلام، وهو في جانب من البئر. وطريقها مظلمة ينزلونها إليها بالشموع، وهم يجذبون الماء منها للقلعة على راسين من الخيل، لأنها بئر عظيمة هائلة، وماؤها عذب. وفي بستان القلعة المذكور بركة عليها صور سباع يخرج الماء من أفواهها، وفي وسطها كذلك يخرج الماء كمثل الشجرة.

وجواري الدخان في بر مصر كثيرة متفرقة في بلدان شتى، وكذلك السواعي من كبار وصغار شيء كثير لا يحصى ولا يعد، نجدها حيثما سرنا، في الشط بنفسه وفي فروعه تحمل الأمتعة إلى مصر وباقي البلدان. ومن العجائب أننا رأينا أناساً في بر مصر عراة مثل البهائم، وهم مع الناس ولا أحد ينكر عليهم، كيوم ولدتهم أمهاتهم. والبهائم معهم كثيرة من كل صنف، ورأيناهم يركبون على الجاموس. وأكثر أحمالهم على الجمال والسواعي والبوابير. والبابور الواحد يجر مائة عربة تحمل أثقالاً كثيرة من أموال وحيوان من خيل وغيرها. والبوابير المخصوصة للركاب لا تقطر شيئاً، وربما تأخذ نصف المقدار في مسيرها في الساعة.

وقد ركبنا في المقطورات، وهن مثل الطير الذي يساير العربة ولا تتبين صورته من قوة السيرة وقد مر علينا طائران ولم يستطيعا أن يجاوزانه من قوة جريانه. وشط

---

(1) كرخانة القروش: بيت أو دار المالية.

(2) النبي يوسف: هو يوسف بن يعقوب، وكان بين دخول يوسف مصر إلى أن دخلها موسى بن عمران أربعمائة سنة. وعاش يوسف بعد موت أبيه ثلاثا وعشرين سنة. وفي التوراة: إنه عاش مائة وعشر سنين. وولد ليوسف ابنان: افرائم، وهو جد يوشع بن نون بن افرائم والآخر: ميشا. فولد لميشا ابن يقال له: موسى، فتنبأ قبل موسى بن عمران. وزعم أهل التوراة أنه هو الّذي طلب الخضر. ابن قتيبة الدينوري: المعارف، ص 38، 39.

النيل ينفذ في دمياط [1] ورشيد [2] وإسكندرية والسويس، هكذا أخبرونا. ويذكرون في دمياط أنه في كل سنة وفي النصف من شهر شعبان يفترق البحران بقدر مذبح جزور، ويذبحون له جاموساً بين البحرين فيلتئم بقدرة الله تعالى والله أعلم.

ومدخول مصر كل يوم، كما يذكرون، لكا ريال، والذي يسير اسطنبول [3]في كل سنة لكل وثلاثون ألف كيس، والكيس فيه خمسمائة فون ذهب. والفون عن خمسة عشر ريال، هكذا أخبرنا شيخ التجار وغيره من المدخول. وبلد مصر بنفسها وخيمة، هواؤها غير محمود، وهي بلد قديمة فيها جملة بيوت قديمة وخربة، والآن يعمرونها ثانية بيوتاً كبيرة فاخرة على صفة بيوت النصارى. وما عمروا منها سوى القليل، والعمار كل يوم في زيادة. وأخبرنا شيخ التجار وغيره عن بلد مصر أن طولها ثمانية أميال وعرضها أربعة، وهذا غير العمارة الجديدة التي ربما تقارب المناصفة.

وفي يوم الخميس، في الخامس والعشرين من جمادى الأوى سافرنا إلى البهنسا [4]

(1) دِمْيَاطُ: مدينة قديمة بين تنّيس ومصر على زاوية بين بحر الروم الملح والنيل، مخصوصة بالهواء الطيب وعمل ثياب الشرب الفائق، وهي ثغر من ثغور الإسلام، جاء في الحديث عن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أنه قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: يا عمر إنه سيفتح على يديك بمصر ثغران الإسكندرية ودمياط. وقال ابن زولاق: يعمل بدمياط القصب البلخي من كل فنّ، والشرب لا يشارك تنيس في شيء من عملها، وبينهما مسيرة نصف نهار، ويبلغ الثوب الأبيض بدمياط وليس فيه ذهب ثلاثمائة دينار، ولا يعمل بدمياط مصبوغ ولا بتنيس أبيض، وهما حاضرتا البحر. وطول دمياط ثلاث وخمسون درجة ونصف وربع، وعرضها إحدى وثلاثون درجة وربع وسدس. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2، ص472، 475.

(2) رشيد: وهي على ضّفتي النيل، والبحر الملح عنها ثمانية عشر ميلا، وهي ثغر جليل، ومنها على ساحل البحر إلى الإسكندرية ستة وثلاثون ميلا. العزيزي: الكتاب العزيزي أو المسالك والممالك، تحقيق: تيسير خلف، دار التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، 2006م، ص 34.

(3) اسطنبول: هي القسم الواقع بالعدوة الشرقية من النهر وهي مدينة في سفح جبل داخل البحر نحو تسعة أميال وهي قسم من القسطنطينية. العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج3، ط1،: المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1423 هـ، ص 396.

(4) البهنسا: مدينة بمصر من الصعيد الأدنى غربي النيل وتضاف ليها كورة كبيرة، وليست على ضفة النيل،

لزيارة الشهداء، وأخذنا من البيت إلى خارج البلد عند مواضع جواري الدخان ساعة وعشرين دقيقة راكبين في عربة براسين خيل، وركبنا في بابور البر إلى بلد سمى مغاغة [(1)]، وأخذنا في الطريق خمس ساعات وخمس دقائق التي هي مشي البابور فيها غير مدة الإقامات. ومن مصر إلى مغاغة سبع مقامات، ومنها ركبنا على خيل إلى أرض البهنسا أخذنا ست ساعات. وهذا كله عمار؛ بلدان جملة لا تعد ولا تحصى، وكلها مزارع من سكر وبر وبقولات وغير ذلك، وفيها نخيل جملة، والنيل معنا إلى البهنسا.

وعبرنا نحن وخيلنا في سفينة والسلك معنا إلى مغاغة، وصرنا إلى موضع آخر والمراكب والسفن الكبار معنا إلى مغاغة، وكذلك فروع الشط فيها سفن صغار، والنيل له فروع شتى لا تحصى ولا تعد حيث ما سرنا وهن معنا. والذي عبرنانه في

وهي عامرة كبيرة كثيرة الدخل، وبظاهرها مشهد يزار، يزعمون أن المسيح وأمه أقاما به سبع سنين، وبها برابي عجيبة، ينسب إليها جماعة من أهل العلم، منهم: أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد العطار البهنسيّ، حدث عن يحيى بن نصر الخولاني، توفي في شهر ربيع الأول سنة 314، وأبو الحسن عليّ ابن القاسم بن محمد بن عبد الله البهنسي، روى عن بكر بن سهل الدمياطي وغيره، روى عنه أبو مطر عليّ بن عبد الله المعافري. ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج 1، ص516، 517.

(1) مغاغة: مدينة مغاغة هي أحد مراكز محافظة المنيا وتقع على الضفة الغربية لنهر النيل .شوقي ضيف: الأدب العربي المعاصر في مصر، ط1، دار المعارف، القاهرة، د. ت، ص 277. تبعد المدينة عن محافظة المنيا بحوالي 70 كم على الضفة الغربية لنهر النيل، وعن مدينة بني سويف بما يقارب 60 كم. وتشتهر بحلج الأقطان ومصنع البصل وبعض المساحات الزراعية الكبيرة المستخدمة إما في زراعة الذرة أو القمح. تنقسم مغاغة إلى: مجلس مدينة مغاغة : والذي يضم الأحياء المدنية (العبور – منشأة الجزائر – منشأة المصري – منشأة فوزية – قلينى – ووسط المدينة.) ومجالس قروية هى: مجلس قروى شم (يضم مجموعة من القرى بالقرب من قرية شم مثال شم القبلية والبحرية وأبو بشت وغيرها من القرى)، مجلس قروى برطباط (مجلس قروى برطباط يضم مجموعة قرى بالقرب من قرية برطباط)، مجلس قروي آبا (العباسية – عباد شارونة – الشيخ زياد – دهروط وقرى أخرى،) مجلس قروي شارونة (قرية شارونة وجزيرة شارونة والكوم الأخضر وقرارا وزاوية الجدامي،) مجلس قروي ميانة (قرية ميانة – بلهاسه – ملاطية – سيف النصر وقرى أخرى.)

السفينة هو نهر يوسف عليه السلام وهو فرع من النيل، وهذه المزارع التي رأيناها يعمها الماء عند امتلاء الشط في كل سنة مرة لا يبقى منها شيء غير محل البيوت خاصة. ويعبرون في سفن صغار من بلاد إلى بلاد.

وهذه المزارع تبلغ حداً لا يبلغه نظر الإنسان، فلا يرى أقصاها ربنا أنها مسير أشهر، وهي صحن واحد ما فيها مكان موضع مرتفع غير موضع البيوت والنخيل، وفيها جملة شجر، وفي بعض الطرقات يعملون جسوراً يمشون عليها، وهي دكاك من تراب مرتفعة ممتدة من بلد إلى بلد بغير بناء.

وهذه المزارع ثلاث أصناف؛ صنف منها يسقيها الشط في الحول مرة، وصنف منها يسقونه من فروع الشط متى ما أرادوا، وصنف منها يسقونها على البهائم من الشط. وفيها جملة معاصر دخان وغيره، ويحصل منها خير كثير. أخبرنا إنسان اسمه علي أغا، سلحدار [1] المرحوم الشريف محمد بن عون [2]، والآن هو القائم على الأراضي التي بتلك الجهات في حدوده من أرض البهنسا، أخبرنا أنه باع تبن البر بسبعمائة وخمسين فونا. والفون عشرة ريالات عن ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسين ريالاً. فإذا كان إنسان واحد يبيع من التبن بهذا المقدار، فكم من غيره، وكم وكم مثله وأشكل منه فالملك لله الواحد القهار. رأينا شيئاً لا يقاس ولا يكيف ولا تسعه العقول.

(1) سلحدار: هى سلاحدار وهى كلمة فارسية مركبة من سلاح بالعربية، ومن دار اى حامل، وتعن سلاحدار: حامل سلاح الملك. السيد آدى شير: الألفاظ الفارسية المعربة، ط2، المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين، بيروت، 1988 م، ص92.

(2) الشريف محمد بن عون: محمد بن عبد المعين بن عون ولد عام 1841م. أمير الحجاز نحو (25) سنة، كان داهية بني حسن في عهده، حازماً عاقلاً، وطّد الأمن إلى درجة لم يسبق مثلها في الحجاز، ساعده على ذلك أفول نجم الدولة السعودية الثانية في نجد، وانصراف جميع جيرانه لمعالجة شؤونهم الخاصة.حكم الحجاز لفترتين متقطعة، وهو أول أمراء الأشراف آل عون العبادلة ابتداءً من عام 1243هـ واستمر حكم أبنائه وأحفاده إلى عام 1343هـ عام دخول الشريف خالد بن لؤي العبدلي قائد الجيش السعودي.توفي عون الرفيق بالطائف في جمادى الأولى سنة 1905م

ورأينا بروجاً بنوها للحمام مثل ما رأينا، ويذكرون أنهم يبيعون من روثها بمقدار كل شهر يبلغ ألف ريال، وذلك يأخذه الزراع. فلما وصلنا البهنسا زرنا الشهداء بفضل الله وكرمه، ورأينا موضع القتال ومسجد الصحابة وهو لم يبق إلا أثره، ورأينا بين المسلمين المكان الذي استشهدت فيه نساء المسلمين، ورأينا موضع كلب الروم على كثيب عال، حيث ما كان يحرض أصحابه على القتال. ورأيت في ذلك الموضع جماجم على حالها لم تتغير بشعورها، يذكرون أنها جماجم المسلمين متوارية بالأحجار[1].

والشهداء المعروفون عليهم قبب كل جماعة في قبة، والذين غير معروفة أسماؤهم عليهم علامات من الحجارة. ويذكرون أن الوادي كله مليء بالقتلى، جاعلين علامة بين قتلى المسلمين وقتلى المشركين حجراً على طول محل الوقائع التي صارت. وهو واد متسع، ورأينا موضع الكنيسة وشيئاً من آثارها، وهو من الحجر الرخام.

(1) تمثل البهنسا صفحة مجيدة من تاريخ الفتح الإسلامي لمصر فهي تمثل «البقيع الثاني» وقال عنها الإمام الراحل الدكتور عبد الحليم محمود ان هذه الأرض لايخلو شبرا فيها من دم شهيد وذلك لما حدث في عام 21 هجرية، حين استعصى الصعيد على عمرو بن العاص، فأرسل في طلب المدد من الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب فأرسل له مجموعة من البدريين عددهم 600 ممن شاركوا في غزوة بدر وغزوات أخرى، بالإضافة إلى مجموعة من المقاتلين ووصل عدد هؤلاء على حدود البهنسا 600 أمير بصحبة 8 آلاف مقاتل استشهد منهم 5 آلاف تم دفنهم بهذه المنطقة وعلى رأس هؤلاء الشهداء محمد بن أبي ذر الغفاري وعثمان بن آيات بن عثمان بن عفان ويحيى بن الحسن البصري وخوله بنت الآزوا، وإلى جانب مقابر هؤلاء الصحابة من البدريين يوجد مسجد الحسن بن صالح بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وهو المسجد الوحيد في مصر الذي له قبلتان كذلك ضريح سيدي فتح الباب أحد أبطال الفتح الإسلامي ومسجد سيدي علي الجمام قاضي قضاة البهنسا وإمام المالكية كما يوجد مسجد السبع بنات، وهن بنات قبطيات ساعدن جيش عمرو بن العاص ضد الرومان وتعود قصتهن إلى اكتشاف دماء على الزلط في مكان يسمى مجرى الحطب وبعد انتهاء المعارك وانتصار جيش عمرو اكتشف المسلمون جثث البنات السبع القبطيات فأقاموا لهن 7 مقابر مجاوره لبئر أثري، وبعدها تم إنشاء مسجد باسم السبع بنات بجوار البئر التي توجد بها مياه حتى الآن على عمق 20 مترا وإلى جانب هذه الآثار ضريح سيدي عبدالله الدكروري أحد المجاهدين الذين استشهدوا أثناء الفتح الإسلامي للبهنسا مدينة الشهداء.

والبلد على نهر يوسف عليه السلام والنهر يجري في وسط البلد. وهي قديمة كلها خراب بيوتها خربة. وأما حدودها فعلى ما رأينا كبيرة.

قال شعراً:

لقد جاهدوا في الله حق جهاده   وفازوا بجنات ونالوا مكارما

ولم يبق شيء من الأسوار والقلاع التي عمها الآن الخراب. وليس بها كثرة سكان، وفيها مساجد قديمة، واحد منذ سبع مائة سنة. وواحد من فوق الألف سنة وهو على النهر، وقد خرب، وهم الآن يعمرونه ثانية.

وفي رجوعنا من البهنسا زرنا سيدنا أبا هريرة [1] وولده، وهما في مصر عند كانية البابور عند المسجد. ومن مصر إلى البهنسا كانوا يسيرون إليه على الجمال في أربع أيام بجد السير.

ولما رجعنا إلى مصر رأيناهم يزينون البلد لأجل قدوم إسماعيل باشا وإلى مصر من اسطنبول، ويذكرون أن هذه الزينة تتكلف على أهل البلد بين لك وحتى خمسة لك ريال، حتى أن إنساناً أجر إنساناً لزينة بيته بستة آلاف جني، هذا واحد من عالم،

(1) أبو هريرة: هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي اليماني، كان اسمه في الجاهلية عبد شمس، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن واشتهر أبو هريرة بكنيته، حتى غلبت على اسمه فكاد ينسى، وسئل أبو هريرة: لم كنيت بذلك؟ قال كنيت أبا هريرة لأني وجدت هرة فحملتها في كمي، فقيل لي: أبو هريرة: وكان يرعى غنم أهله في صغره، ويداعب هرته وكان يقول: لا تكنوني أبا هريرة، فإن النبي الله صلى الله عليه وسلم كناني أبا هر، والذكر خير من الأنثى، هاجر أبو هريرة من اليمن إلى المدينة ليالي فتح خيبر، وكان ذلك سنة سبع من الهجرة، وكان قد أسلم على يد الطفيل بن عمرو في اليمن، وقد لازم أبو هريرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى آخر حياته، وقصر نفسه على خدمته، وتلقى العلم الشريف منه، فكان يدور معه ويدخل بيته، ويصاحبه في حجه وغزوه، ويرافقه في حله وترحاله، في ليله ونهاره، حتى حمل عنه العلم الغزير الطيب، فكانت صحبته أربع سنوات، توفي أبو هريرة رضي الله عنه في عهد معاوية عام 58 هـ وقيل 59 هـ. عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي: الدولَة الأمويَّة عَواملُ الازدهارِ وَتَداعيات الانهيار، ج1، ط2، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1429 هـ - 2008 م، ص 319، 320.

وكم غيره. الحاصل انه شيء مفرط، ومن الجملة يؤجرون جارية تغني بثلاث مائة ريال في الليلة الواحدة. ومررنا على تلغراف وهو السلك الموصل الأخبار من جهة إلى جهة وكيف يصنعون به، وذلك في طريق البهنسا.

ورأينا أهرام مصر وهي من عجائب الدنيا، وأعجبها الهرمان القريبان لمصر المنسوبان لشداد بن عاد [1]، وقد رأينا في بعض التواريخ أن الذي بناها هو سوربد أحد ملوك مصر [2] قبل الطوفان بثلاث مائة عام [3]، لأنه كان قد رأي في منامه كأن الأرض انقلبت بأهلها، وكأن الناس قد هربون على وجوههم، وكأن الكواكب تتساقط ويصدم بعضها بعضاً بأصوات هائلة. فأهمل ذلك ولم يذكره لأحد وعلم أنه سيحدث أمر عظيم. ثم إنه رأى من بعد ذلك في الليلة الثالثة بأن الكواكب الثانية نزلت إلى الأرض في صورة طيور بيض وكأنها تخطف الناس وتلقيهم بين جبلين عظيمين، وكأن الكواكب المنيرة مظلمة مكسوفة، فأنتبه بعد ذلك فزعاً مرعوباً، فأمر بعد ذلك بعمل الأهرام.

ولما شرع في بنائها أمر بقطع الأسطوانات العظام واستخراج الرصاص بأرض

---

(1) شداد بن عاد: ابن الملطاط بن عبد شمس بن واثل بن حمير. ذكر صاحب التيجان: "أن الملك استقام في بني قحطان، واجتمع بعد أسمح لشداد بن عاد هذا، ولقي الأمر بالحزم، وداس الأرض إلى أن بلغ أقصى المغرب وأهلك ملوكه. ثم سار إلى التبت، وبنى المدائن والمصانع، وأبقى الآثار العظيمة. وأقام بالمغرب مائتي عام، ثم رجع إلى الشرق. وأنف أن يدخل غمدان، فمضى إلى مأرب، وبنى القصر العتيق الذي قيل: إنه إرم ذات العماد، وجمع من أقطار الأرض جميع جوهر الدنيا وذخائرها ومعادنا وجعل ذلك فيها، ورصعها بطرائفه، وجعل أرضها زجاجاً أبيض وأحمر وغير ذلك من الألوان البديعة، وجعل أسرابا أفاض إليها الماء من السد الذي صنعه، فكان قصراً لم ير في الدنيا مثله". ولما مات فتحت له مغارة في جبل شمام باليمن ودفن فيها. ابن سعيد الأندلسي: نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، تحقيق: نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان – الأردن، د. ت، ص 103، 104.

(2) سوربد: هو سوريد بن سهلوق بن شرياق. السيوطى: حسن المحاضرة، ج 1، ص74.

(3) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج1 ، ص222.

المغرب [1] وإحضار الصخور من ناحية أسوان [2]، فبنى بها أساس الأهرام الثلاثة الشرقي والغربي والملون. وكانوا يمدون البلاطة ويثقبونها ويجعلون بوسطها قضيباً من حديد إلى أن أكملت. وجعل ارتفاع كل هرم مائة ذراع ملكي، والذراع الملكي خمسة أذرع بذراعنا الآن. وجعل جهاته مائة ذراع بذراع العمل، فلما فرع من بنائها كساها ديباجاً ملوناً من أسفلها إلى أعلاها [3]، وأنشد بعضهم:

خليلي ما تحت السما من بنية … تماثل في إتقانها هرمي مصر
بناء يخاف الدهر منه، وكل ما … على ظاهر الدنيا يخاف من الدهر [4]

(1) المغرب: هي بلاد واسعة كثيرة ووعثاء شاسعة، قال بعضهم: حدّها من مدينة مليانة وهي آخر حدود إفريقية إلى آخر جبال السوس التي وراءها البحر المحيط وتدخل فيه جزيرة الأندلس وإن كانت إلى الشمال أقرب ما هي، وطول هذا في البر مسيرة شهرين، فقد ذكرت تحديدها في ترجمة آسيا فينقل منها أبو ينظر فيها من أراد النظر. الحموى: معجم البلدان، 5، ص 161.

(2) أسوان: هي مدينة كبيرة وكورة في آخر صعيد مصر وأول بلاد النوبة على النيل في شرقيه، وهي في الإقليم الثاني، طولها سبع وخمسون درجة، وعرضها اثنتان وعشرون درجة وثلاثون دقيقة، وفي جبالها مقطع العمد التي بالاسكندرية، قال أبو بكر الهروي: وبأسوان الجنادل ورأيت بها آثار مقاطع العمد في جبال أسوان وذكر آخرون أنّه أخو عمود السواري الذي بالاسكندرية، وقال الحسن بن إبراهيم المصري: بأسوان من التمور المختلفة وأنواع الأرطاب وقد نسب إلى أسوان قوم من العلماء، منهم: أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب بن أبي حاتم الأسواني حدث عن محمد بن المتوكل بن أبي السري، روى عنه أبو عوانة الإسقراييني وأبو يعقوب إسحاق بن إدريس الأسواني من أهل البصرة، كان يسوق الحديث، والقاضي أبو الحسن أحمد بن عليّ بن إبراهيم بن الزبير الغسّاني الأسواني الملقب بالرشيد صاحب الشعر والتصانيف، ولي ثغر الإسكندرية وقتل ظلما في سنة 563. كذا نسبه السلفي وكتب عنه، وأخوه المهذّب أبو محمد الحسن بن عليّ كان أشعر من أخيه وهو مصنف كتاب النسب، مات سنة 561، وأبو الحسن فقير بن موسى بن فقير الأسواني حدث بمصر عن محمد بن سليمان بن أبي فاطمة، وحدث عن أبي حنيفة قحزم بن عبد الله بن قحزم الأسواني عن الشافعي بحكاية، حدث عنه أبو بكر محمد بن إبراهيم ابن المقري الأصبهاني في معجم شيوخه. الحموى: معجم البلدان، ج1، ص 192.

(3) الحموي: معجم البلدان، ج 5، ص 399: 403.

(4) قالها الفقيه عمارة اليمنى الشاعر. يعقوب شيخو: مجاني الأدب في حدائق العرب، ج4، مطبعة

ويذكر القبط في كتبهم أن عليها كتابة منقوشة تفسيرها بالعربية "أنا سوربد الملك بنيت هذه الأهرام في سنة كذا وكذا وأتممت بناءها في ست سنين، فمن أتى بعدي وزعم أنه ملك مثلي فليهدمها في ستمائة سنة، وقد علم أن الهدم أهون من البناء، وأني كسوتها الديباج فليكسها بالخضر" (1).

ثم سافرنا من مصر إلى الإسكندرية يوم تسعة وعشرين والاثنين من جمادى الأولى سنة 1289 في الساعة الثالثة إلا ربعا من يومنا هذا المذكور، وركبنا في بابور البر فوصلنا إلى الإسكندرية في تسع ساعات وخمس دقائق من يومنا المذكور، ووقف بنا البابور في تسعة مواضع، ومدة الإقامة من ذلك ساعة وعشر دقائق. وكان السير في ثماني ساعات إلا ثمان دقائق. ويذكرون أن السفر كان سابقاً على الجمال من مصر إلى الإسكندرية في ستة أيام.

ومن مصر إلى الإسكندرية كله عمار؛ بلدان وبساتين ومزارع، والنهر والسلك معنا من جانبين. وقرب إسكندرية بنصف ساعة سايرنا البحر المالح، ومشينا في أرض الملح، والنهر والمزارع والبساتين دارت عنا في جانب والبحر في الجانب الثاني. وجميع المواضع التي يقف عليها البابور بلدان وفيها ما يؤكل من فواكه وغيرها، فلا يحتاج المسافر لطبيخ ونفيخ، ولا إلى حمل زاد، وذلك من جميع أرض مصر حيث ما تصل البوابير براً وبحراً.

الآباء اليسوعيين، بيروت، 1913 م، ص257. عمارة بن علي بن زيدان الحكمي المذحجي اليمني، أبو محمد، نجم الدين .مؤرخ ثقة، وشاعر فقيه أديب، من أهل اليمن. ولد في تهامة ورحل إلى زبيد سنة531 هـ. وقدم مصر برسالة من القاسم بن هشام (أمير مكة) إلى الفائز الفاطمي سنة 550 في وزارة (طلائع ابن رزيك) فأحسن الفاطميون إليه وبالغوا في إكرامه، فأقام عندهم، ومدحهم. ولم يزل موالياً لهم حتى دالت دولتهم وملك السلطان (صلاح الدين) الديار المصرية، فرثاهم عمارة واتفق مع سبعة من أعيان المصريين على الفتك بصلاح الدين، فعلم بهم فقبض عليهم وصلبهم بالقاهرة، وعمارة في جملتهم. له تصانيف، منها (أرض اليمن وتاريخها – ط) و (النكت العصرية في أخبار الوزراء المصريين.

(1) السيوطى: حسن المحاضرة، ج 1، ص72.

والمراكب والسواعي الصغار متفرقة في النهر من مصر إلى إسكندرية. وكذلك بساتينهم وزروعهم سقياها على ثلاثة أصناف كما تقدم ذكرها. وحد ما وصلناه من أرض مصر كله عمار ليس فيه شيء من الخراب.

وعندما وصلنا الإسكندرية رأيناها مزينة لأجل وصول إسماعيل باشا من اسطنبول كما تقدم. وزينتها شيء عظيم لا يوصف. ويذكرون أن الزينة تتكلف عليهم بمبلغ عظيم أكثر من مصر، والله أعلم بذلك. وفيها من جواري الدخان المزينة ما هو في غاية الحسن، وكذلك جواري الخيل مزخرفة أحسن من الذي رأيناه في مصر.

وهي بلدة منظمة نظيفة وغالب طرقها منصوبة متسعة مفروشة بالحجارة، وماء النهر يلعوا إلى أعلى طبقة من البيوت، وأغلب بيوتها منظمة في غاية التنظيم. وهي بلد متوسطة، وفيها بساتين فاخرة، وبيوت في البساتين على أشكال لطيفة مسايرة النهر. وعلى النهر أشجار، وتمر الجواري بين البساتين والنهر في ظل الشجر، حد ما رأيناه من المسافة على هذه الصفة. وعليها سور وخندوق عظيم من جانب البر وعلى السور قلاع، وفي وسطها قلعة مدورة. الحاصل أنها بلد منيعة، ومنظمة كثيراً إلى ما لا نهاية، والبساتين المذكورة خارجة عن السور، وفي وسطها بعض البساتين الصغار.

ورأينا الجودي وموضع صيانة المراكب، وهناك عمال في الخدمة، ووصلنا إلى الرأس وهو موضع العسكر، وهم يسمونه رأس التين، وبه سراية [1] عظيمة لجلوس وإلى مصر إذا قدم إليها، وفيها بعض البساتين الصغار للفرجة. وفيها بركة ماء ينصب من أعلاها، وصور آدميين يغتسلون، وعلى البركة أشجار. والحاصل أنها بلد ما عليها قصور، يعجز الواصف عن وصفها، وفيها فرضة عظيمة متسعة بها مواضع كثيرة، والبندر فيه من المراكب الكبار والصغار والسواعي شيء كثير. وفيها مساجد منظمة

(1) سراية: مفرد (سراى) وهو القصر، وهو مركز الدّوائر الحكوميَّة في بعض البلدان. أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية، ج 2، ص1051.

بل إنها ليست كمساجد مصر.

وأما سكانها فأغلبهم نصارى ويهود، والمسلمون بها قليل بالنسبة إلى من سواهم. وهواؤها معتدل أحسن من هواء مصر. وزرنا نبي الله دانيال عليه السلام، والإسكندر ذا القرنين [1] صاحب الإسكندرية. وقبورهم نازلة في الأرض بدرج ينزل إليها من أراد الزيارة.

وفيما بين مصر والإسكندرية بلد يسمى طنطا [2]، بها مقام الشيخ أحمد البدوي

(1) الاسكندر: هو الإسكندر الثالث بن فيليب المقدونى ملك مقدونيا، إحدى دويلات بلاد اليونان، وأحد رجال الحرب البارزين فى التاريخ القديم. ولد فى العقد السادس من القرن الرابع قبل الميلاد تقريبًا، وتلقى تعليمه على يد الفيلسوف الشهير أرسطو، وآل إليه عرش مقدونيا سنة (336 ق. م) وهو فى العشرين من عمره، فأظهر براعة فى الحكم، ودانت له معظم الدويلات اليونانية، وطال صراعه مع الإمبراطورية الفارسية، أملاً فى القضاء عليها، لثأر قديم بينها وبين الإمبراطورية اليونانية، وتعددت المعارك بينهما مثل معركة جراتيكوس وأسوس، وجاو جميلاً، إلى أن تمكّن الإسكندر من دخول العاصمة سوسة سنة (331 ق. م)، معلناً بذلك سقوط الإمبراطورية الفارسية. وكان الإسكندر طموحًا كثير المعارك، استطاع أن يصنع لنفسه أكبر إمبراطورية عرفها التاريخ، فاستولى فى اتجاه الشرق على صور وغزة، ودخل مصر، فأحاطت به دعاية بنوته لآمون، أحد الآلهة التى عبدها المصريون قديمًا، ونجحت هذه الدعاية بتشجيع منه، فأكسبته قداسة وسط جماهير الشعب، فحمل لقبًا فرعونيًّا، وأعلن الكهنة أنه ابن الإله، ونقشت صورته على العملات مزينة بقرنى كبش آمون المقدس، ولذلك لقبه بعض مؤرخى العرب بلقب الإسكندر ذى القرنين. وفى سنة (331 ق. م) ترك مصر واتجه إلى بابل، ثم واصل جهوده الحربية، فوصل إلى شواطئ بحر قزوين، واستولى على أفغانستان وبلاد ما وراء النهر وسمرقند الحالية، ووصل إلى الهند، وأصابه جنون العظمة لاتساع ملكه وكثرة انتصاراته، فكان يقتل أعوانه لأقل شبهة، ولم يلبث جنوده أن أعلنوا تمردهم وتذمرهم، نتيجة للجهود الحربية المضنية والمعارك الكثيرة التى خاضوها، وطالبوا العودة إلى بلادهم، فوافق على ذلك، وأثناء العودة أصيب بالحمى عند بابل، ومات فجأة سنة (323 ق. م) وهو فى عامه الثالث والثلاثين، وبعد أن أقام أكبر إمبراطورية عرفها التاريخ.

(2) طنطا: هى طَنْتَثَنَا من قرى مصر على النيل المفضي إلى المحلّة، قال الحسين ابن أحمد المهلبي: من صحنان إلى مدينة مليج فرسخان وبينهما نهر يأخذ إلى غربي الرّيف إلى طنتثنا حتى يصب في بحر المحلة، وهي من كورة الغربية، بينها وبين المحلة ثمانية أميال. ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج4، ص43.

يعملون له في كل سنة ثلاثة موالد كبار؛ منها المولد الجربي في شهر رجب، والمولد الكبير عند طلوع الليل، والمولد الصغير في شهر شوال. ويذكرون أنه في كل مولد ينتظم سوق عظيم مدة المولد خمسة عشر يوماً فيأتي الزوار من سائر أقطار مصر جميعاً، ويقدم التجار من الشام والروم وغيرهم من سائر أجناس الأمم ويصير موسم وبيع وشراء أصناف التحف والأقمشة والألعاب وغيرها. وأهل الأذكار والناس أفواجاً يأتون من كل فج عميق، حتى أخبرونا أن اجتماع الخلائق في المولد الكبير يقارب عددهم في منى [1] وأيام التشريق [2].

وهم يذكرون أن هذا الشيخ البدوي صاحب هذا المولد كان حياً في القرن السادس، ثم ظهرت له جملة كرامات مذكورة في كتب وشهيرة على ألسنتهم، حتى أنه كان يخطف الأسرى من بلد الإفرنج [3] فلهذا تجدهم يعتقدونه من أولياء الله تعالى. ولم نر هذا البلد إلا مروراً عليه ولم ندخله غير أن بعض الناس يخبرنا أنها بلد

(1) مِنى: في درج الوادي الذي ينزله الحاجّ ويرمي فيه الجمار من الحرم، سمّي بذلك لما يمنى به من الدماء أي يراق، وقيل: لأن آدم، عليه السّلام، تمنّى فيها الجنّة، قيل: منى من مهبط العقبة إلى محسّر وموقف المزدلفة من محسّر إلى أنصاب الحرم وموقف عرفة في الحلّ لا في الحرم، وقال ابن شميل: سمي منى لأن الكبش مني به أي ذبح، وقال ابن عيينة: أخذ من المنايا: وهي بليدة على فرسخ من مكة، طولها ميلان، تعمّر أيام الموسم وتخلو بقية السنة إلا ممن يحفظها، وقلّ أن يكون في الإسلام بلد مذكور إلا ولأهله بمنى مضرب، وعلى رأس منى من نحو مكة عقبة ترمى عليها الجمرة يوم النحر،.الحموى: معجم البلدان، ج5، ص198.

(2) أيام التشريق: أيام التشريق ثلاثة أيام بعد النَّحْر؛ لأن اللحم يُشَرَّقُ فيها، أي يشرر في الشَّمْس. وَسُمِّيَت أَيَّام التَّشْرِيق؛ لأنهم كانوا يقولون في الجاهلية: "أَشْرِقْ ثَبِير، كيما نُغِير". والإِغَارَةُ: الدفع، أي ندفع للنَّفْر. ويقال: هو نِصَاب السكين والمُدْيَةُ. وهي جُزْأَةُ الإِشْفَى. ". ابن السكيت: إصلاح المنطق، تحقيق: محمد مرعب، ط1، دار إحياء التراث العربي، 1423 هـ . 2002 م، ص266.

(3) لإفرنج: اسم أطلقه العرب على الأوربِّيين بعد الحروب الصليبيّة في الشَّرق، بلاد الإفرنج: أوربا. أحمد مختار عبد الحميد عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة ج1، ص102.

(رائعة) الشكل لطيفة الهوى بها أصناف التجارة، وأبنيتها متناهية الجمال وبحر النيل في وسطها وهي منظمة، والله تعالى أعلم.

وهي من جملة المحطات التي يقف عليها البابور. والفواكه في الإسكندرية أكثر من مصر وأحسن، وأما الزينة التي يعملونها في مصر والإسكندرية ليس هي باختيارهم بل يجبرون عليها، هكذا بلغنا. والحد الذي بين أرض مصر والشام اسمه العريش [1]. وبندر إسكندرية حصين يحيط بالبلد من ثلاثة جوانب، ورأينا فيها الجو دي الجديد، ينزلون في البحر ويدخلون المركب في وسطه، ثم يرفعونه والمركب في جوفه، هكذا اخبرونا. وقد بلغنا أن سكان بلد مصر تسعة لكل نفر والإسكندرية ثلاثة لكل نفر، الذين هم في هذين البلدين خاصة غير سائر الأقاليم، والله أعلم. ورأيناهم يجمعون حجراً منحوتاً على بندر إسكندرية، مرادهم يحصنونه زيادة.

ثم سافرنا من الإسكندرية يوم رابع والجمعة من شهر جمادى الآخر في أربع ساعات من النهار في مركب النيمسا، وهو منظم كثيراً وفي غاية الحسن، وهو يعمل بالدخان وبه

(1) العريش: هي مدينة كانت أول عمل مصر من ناحية الشام على ساحل بحر الروم في وسط الرمل، قال ابن زولاق وهو يذكر فضائل مصر: ومنها العريش والجفار كله وما فيه من الطير والجوارح والمأكول والصيد والتمور والثياب التي ذكرها رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، تعرف بالقسّيّة تعمل بالقس، قال إنما سمّي العريش لأن إخوة يوسف، عليه السّلام، لما أقحط الشام ساروا إلى مصر يمتارون وكان ليوسف حرّاس على أطراف البلاد من جميع نواحيها فمسكوا بالعريش وكتب صاحب الحرس إلى يوسف يقول له: إن أولاد يعقوب الكنعاني قد وردوا يريدون البلد للقحط الذي أصابهم، فالى أن أذن لهم عملوا لهم عريشا يستظلون تحته من الشمس فسمي الموضع العريش، فكتب يوسف إلى عامله يأذن لهم في الدخول إلى مصر، وكان ما قصه الله تعالى في القرآن المجيد، وقال الحسن بن محمد المهلّبي: من الورّادة إلى مدينة العريش ثلاثة فراسخ، قال: ومدينة العريش مدينة جليلة وهي كانت حرس مصر أيام فرعون، وهي آخر مدينة تتصل بالشام من أعمال مصر، قال: ومنها إلى بئري أبي إسحاق ستة أميال، وهما بئران عظيمتان ترد عليهما القوافل وعندهما أخصاص فيها باعة، ومنها إلى الشجرتين وهي أول أعمال الشام ستة أميال، ومنها إلى البرمكية ستة أميال ثم إلى رفح ستة أميال. الحموى: معجم البلدان، ج4، ص113، 114.

دقلان، وفيه شرخان [1] للسكان واحد في التفر [2] والثاني قرب الدقل [3] الأمامي، فوصلنا نبط سعيد يوم ثاني بعد طلوع الشمس بأربعين دقيقة. وهي بلدة مستجدة صغيرة، منفذ البحر المقطوع أوله من السويس وآخره في نبط سعيد، وفرع النيل متصل بها في تل من الحديد، وهذه البلد مجعولة مرسى للمراكب. والبيع والشراء بها قليل ماعدا الأكل وما تحتاج له المراكب. وليس فيها شيء من البساتين، وأغلب بيوتها خشب وقصب، وأغلب سكانها نصارى ويهود ما فيها غير مسجد واحد للمسلمين.

ورأينا فيها منارة للسراج ليهتدي إليها أهل المراكب، ويذكرون أنها صب حجر طولها مائتان وخمسة وتسعون رفصة. ورأينا فيها بيتاً صباً، كله حجر واحد. وذلك أنهم يأخذون الرمل ويعملونه ويصبونه ويكون كالحجر لا فرق بينه وبين الحجر. وطرقها جميعها منصوبة، وأسواقها على قدرها، وهي في زيادة من العمارة. وكل مركب يمر في البحر الجديد يسلم دراهم على قدره تبعاً للمركب في الصغر والكبر. ومدخوله في الشهر مائتا مليون فرنك. والفرنك الواحد خمسة ريالات، والمليون ألف ألف، وذلك يأخذه الفرنسيس، الذين يقطعون البحر، في كل شهر، هكذا أخبرونا.

ثم سافرنا منها في عشر ساعات وعشرين دقيقة من يومنا. ومع خروجنا رأينا الكراكة [4] التي تحفر البحر، تكفي الحكمة، تحفر بالدخان وتعزل الطين وحده والماء وحده يخرج للبحر، ويبقى الطين فيها.

(1) شرخان: جزءان أو جانبان ويقال رَكِبَ بَيْنَ شَرْخَيْ رَحْلِهِ. الزَّبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، ج20، دار الهداية، د. ت، ص168.

(2)) التفر: التَّفِرَةُ هى (مَا ابتدأَ من النَّبَات)، يكونُ من جَمِيع الشَّجَر. وَقيل: هِيَ مِن الجَنْبَةِ، وَهُوَ أَحَبُّ المَرْعَى إِلى المَال إِذا عَدِمَتِ البَقْلَ.و قيل: التَّفِرَةُ: (مَا يَنْبُتُ تحتَ الشَّجَرَةِ). الزَّبيدي: تاج العروس، ج 10، ص 288.وبذلك ربما يعنى التفر جانب السفينة أو قاعها.

(3)) الدَّقَلُ: خشبة طويلة تشد في وسط السفينة يمد عليها الشراع. الفراهيدي: كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، ج5، دار ومكتبة الهلال، د. ت، ص 116.

(4) الكراكة: آلَة تطهر بهَا الْأَنْهُر والقنوات الْعَظِيمَة مِمَّا ترسب فِيهَا من رمل أَو طين طَارِئ. إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ج2، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، د. ت، ص 784.

الباب الثالث

في صفة أرض الشام [1]
وعجائبها وقبور الأنبياء وبيت المقدس [2]

ووصلنا يافا [3] ثاني يوم، الساعة الثانية إلا اثنتي عشرة دقيقة في النهار يوم الأحد سادس من شهر جمادى الآخر. وهي بلدة صغيرة عليها سوران على بعضهما بعض، ومن بعدهما خندق. وهي متفردة بشكلها فوق جبل. والبيوت فوق بعضها البعض، وشيء من الطرق يوصل للغرف العالية. وبنيانها أغلبه بالحجارة المنحوتة. وفيها مدافع على الأسوار، وبنيان الأسوار مصفح بالحديد. وهي بلد قديمة وطرقها غير منصوبة وضيقة ووسخة، وفيها صعود وهبوط، وأغلب البيوت والأسواق سقوفها زج، وكثير من بنائها قوى. وعلى البحر عند الفرضة جبل دائري على البندر وله طرق

(1) أرض الشام: غربيّها بحر الروم وشرقيّها البادية من ايلة الى الفرات ثمّ من الفرات الى حدّ الروم وشماليّها بلاد الروم وجنوبيّها حدّ مصر وتيه بنى اسرائيل وآخر حدودها ممّا يلى مصر رفح وممّا يلى الروم الثغور وهى ملطية والحدث ومرعش والهارونيّة والكنيسة وعين زربة والمصّيصة وأذنة وطرسوس والّذى يلى الشرقىّ والغربىّ. الكرخي: المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، 2004 م، ص 55.

(2) بيت المقدس: هى بيت المقدس مدينة جليلة قديمة البناء أزلية وكانت تسمى إيلياء وهي على جبل يصعد إليها من كل جانب وهي في ذاتها طويلة وطولها من المغرب إلى المشرق وفي طرفها الغربي باب المحراب وهذا الباب عليه قبة داؤود عليه السلام وفي طرفها الشرقي باب يسمى باب الرحمة وهو مغلق لا يفتح إلا من عيد الزيتون لمثله ولها من جهة الجنوب باب يسمى باب صهيون ومن جهة الشمال باب يسمى باب عمود الغراب وإذا دخل الداخل من باب المحراب وهو الباب الغربي. الادريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1409 هـ، ص 358.

(3) يافا: مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال فلسطين بين قيسارية وعكّا في الإقليم الثالث، طولها من جهة المغرب ست وخمسون درجة، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة، قال ابن بطلان في رسالته التي كتبها في سنة 442: ويافا بلد قحط والمولود فيها قلّ أن يعيش حتى لا يوجد فيها معلم للصبيان، افتتحها صلاح الدين عند فتحه الساحل في سنة 583 ثم استولى عليها الأفرنج في سنة 587 ثمّ استعادها منهم الملك العادل أبو بكر بن أيوب في سنة 593 وخرّبها. ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج 5، ص426.

لدخول المواشي، وما تدخل المواشي إلا من مواضع معلومة، والنزول من الماشوة إلى النبط. والمراكب ترسو بعيداً عن البلد.

وفيها بساتين خارج الخندق، وأغلبها نارنج، وهو البرتقان وغيره من الفواكه. وفيها جملة بيارق [1] للنصارى لأنها بندر القدس. ولابد من كل فريق أن يكون لهم بيرق. ورأينا المحل الذي نزلت فيه المائدة لبني إسرائيل [2]، عليه قبة وفيها مسجد جامع كبير يقال له جامع أبي أيوب، فيه أروقة وخذاوي. وباقي المساجد صغار. والفواكه فيها رخيصة فالذي في مكة بعشرين في يافا بعشر الثمن.

وفيها كنيسة خارج البلد يدعون أنها موضع الخضر عليه السلام [3]. ورأيناهم

(1) بيارق: مفرد بيرق وهو العلم الكبير. ابراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ص 51.

(2) حدثنا المثنى قال، حدثنا عبد الأعلى قال، حدثنا داود، عن سماك بن حرب، عن رجل من بني عجل قال: صليت إلى جنب عَمار بن ياسر، فلما فرغ قال: هل تدري كيف كان شأن مائدة بني إسرائيل؟ قال فقلت: لا! قال: إنهم سألوا عيسى ابن مريم مائدة يكون عليها طعام يأكلون منه لا ينفد. قال: فقيل لهم: فإنها مقيمة لكم ما لم تخبئوا، أو تخونوا، أو ترفعوا، فإن فعلتم فإنّي أعذبكم عذابًا لا أعذّبه أحدا من العالمين! قال: فما تمّ يومهم حتى خبئوا ورَفعوا وخانوا، فعذبوا عذابًا لم يعذبه أحد من العالمين. وإنكم معشر العرب، كنتم تتّبعون أذنابَ الإبل والشاء، فبعث الله فيكم رسولا من أنفسكم، تعرفون حسبه ونسبه، وأخبركم على لسان نبيكم أنكم ستظهارون على العرَب، ونهاكم أن تكنزوا الذهبَ والفضة. وايمْ الله. لا يذهبُ الليلُ والنهارُ حتى تكنزوهما، ويعذِّبكم عذابًا أليمًا. الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ج11، ط1، مؤسسة الرسالة، 1420 هـ - 2000 م، ص 228.

(3) الخضر عليه السلام: الخضر قَدْ كَانَ قبل موسى انَ فِي أَيَّام أفريدُونَ الْمَلِك بْن أثفيان. قَالَ: وقيل: إنه كَانَ عَلَى مقدمة ذي الْقَرْنَيْنِ الأكبر، الَّذِي كَانَ أَيَّام إِبْرَاهِيم. فأما اسم الخضر، فَقَالَ كعب الأحبار: هُوَ الخضر بْن عاميل. وقال ابن إسحاق: اسمه أرمياء بن خلقيا. وقيل: هُوَ الخضر بْن ملكان بْن فالغ بْن عابر بْن شالح بْن أرفخشد بْن سام بْن نوح. وَقَالَ بَعْض أَهْل الكتاب: هُوَ خضرون بْن عاميل بْن أليفرن بْن العيص بن إسحاق، وإنه ابن خالة ذي الْقَرْنَيْنِ ووزيره.قَالَ الطبري: إن الخضر هُوَ الولد الرابع من أولاد آدَم. وَقَدِ اختلف الْعُلَمَاء لَمْ سمي الخضر عَلَى قولين: أحدهما: أَنَّهُ جلس عَلَى فروة بيضاء فاخضرت، والفروة الأَرْض اليابسة. وَالثَّانِي: إنه كَانَ إِذَا جلس اخضر مَا حوله. وكَانَ سبب طلب موسى الخضر أَن موسى سئل من أعلم أَهْل الأَرْض؟ فَقَالَ: أنا، قيل له: لنا عبد هو أعلم منك يَعْنِي الخضر. وَقَدْ زعم قوم أَن الخضر حي إِلَى الآن. الجوزي: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1412 هـ - 1992 م، ص 375: 361.

كيف يصلون في كنائسهم، أعني النصارى. صلاتهم قيام لا سجود لهم ولا ركوع، فبعضهم قيام على الأقدام يضعون متكئاً تحت إبطهم الأيمن، وبعضهم يجثون على الركب. وصيامهم في السنة ثلاث مرات، مرتان من أربعين يوماً، ومرة خمسة عشر يوماً. والفواكه عندهم إذا أكلوها لا تنقض الصيام، ولا بأس بها. والمذكورون نصارى الشام من العرب ليس بينهم افرنج بل إنهم ملة واحدة، ولباسهم مثل المسلمين. ويتعجب الإنسان من أقوالهم وأفعالهم أغلبها موافقة للمسلمين.

واطلعت على تفسير كتبهم بها أحوال كثيرة موافقة للشريعة، وبها مواعظ وحكم. وعرفت الفرق بين القسيسين والرهبان، القسيسون يخالطون الناس في الكنائس وغيرها، والرهبان المنقطعون في الصوامع ولا يخالطون الناس. وأخبروني عن صفة ماء المعمودية فلا يكون نصرانياً من لم يغتسل بماء المعمودية، وذلك إذا ولد المولود أتاه القس بماء في إناء وقرأ عليه الإنجيل وما شاء من الأدعية، ووضأه كوضوء الصلاة ثم يغسله بذلك الماء، يفعل ذلك ثلاث مرات وبعد ذلك يكون نصرانياً طاهراً لا ينجسه شيء أبداً على زعمهم الفاسد.

وعلى كل رأس شهر، يدخل القسيسون الكنيسة، وبعد صلاتهم يجعلون ماء في إناء ويقرؤون عليه ويدورون به على المنازل يرشون المنازل، ومن لم يحضر الكنيسة من النساء والأطفال وغيرهم.

وأعلى درجة معهم البطارقة وهم أكبر القسيسين والرهبان، وجميع أحكامهم في مذاهبهم ترجع إلى البطارقة. والنصارى المذكورون يذكرون أنهم يستنجون من البول والغائط، وكذلك الجنابة لها استنجاء خاص وليس غسل تام. وهم ينكرون على باقي النصارى ويخطئونهم لأنا اجتمعنا بواحد من المتفقهين في دينهم ورأينا منه الإحسان التام، ليته كان مسلماً. ورأينا عندهم جواري سود، وسألناهم عن ذلك، فقالوا: معنا جائز البيع والشراء في الرقيق. قلنا: كيف يمنع الإنجليز ذلك؟ قالوا: فعلهم مخالف للإنجيل، لأن الإنجيل محلل بيع الرقيق، بل الذي يدخل في ديننا نكره بيعه لأنه قد دخل

في الدين وصار مثلنا، وذلك لا يخرجه من الرق بل نكره بيعه وهو ليس بحرام مطلقاً.

سافرنا من يافا إلى بيت المقدس على خيل في يوم الثلاثاء تاسع شهر جمادى الآخر وأخذنا في الطريق اثنتي عشرة ساعة وربعاً، مدة السير. وكراء الدواب [1] ثمانية ريالات ونصف ينقص قليلاً. وأغلب الطريق عمار ومزارع وشجر وزيتون، آية من كثرته حتى في الجبال. والسلك يسايرنا في الطريق إلى بيت المقدس. والطريق كلها مخدومة تصعد الجبل كما تصعدها الدواب والبهائم، حيث يحملونها إلى جبال عالية جداً. والطريق فيها مقامات ومهاوي للاستراحة. وجبال المقدس أغلبها بيض بيرة مخضرة بخلاف جبال الأماكن الباقية، إلى أن وصلنا مدينة المقدس. وهي مدينة كبيرة عليها سور كبير، وأرضها طلوع ونزول، ليست مستحبة، وخارج البلد فيها بساتين وشيء من البيوت المنظمة الجديدة، وأما بيوت البلد بنفسها فهي قديمة وطرقها ليست على كل حال وهي بلد قديمة وأغلب سكانها يهود ونصارى والمسلمون بها قليل. وبلغنا أن المسلمين سكان المدينة ألفان والنصارى أربعة وعشرون ألفاً، واليهود أكثر من عدد النصارى. وفيها جملة كنائس.

ووصلنا مسجد الأقصى [2] بفضل الله وكرمه فرأينا حرماً كبيراً متسعاً عظيمًا وفيه المسجد، وهو مسجد عظيم لا مثيل له، يعجز الوصف عن وصفه. وفيه محاريب الأنبياء

(1) كراء الدواب: الْكِرَاء: هُوَ أُجْرَة الْإِبِل وَنَحْوهَا، وَإِن كَانَ فِي الأَصْل مصدر كارى. أبو البقاء الحنفي: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش،و محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص773.

(2) المسجد الأقصى: هو مسجد القدس في فلسطين، وإليه كان الإسراء، ومنه كان المعراج، وفيه قبة الصخرة. وإحدى جدران المسجد الأقصى، تسمى حائط البراق حيث ربط جبريل براق النبي صلّى الله عليه وسلّم ليلة الإسراء، واسم القدس الكنعاني العربي القديم:«أورسليم»، حرّفه اليهود إلى «أورشليم». ومن أسمائه: «إيلياء»، جاء هذا الاسم في عهد عمر بن الخطاب. والمسجد اليوم 1408 هـ 1988 م محزون.. حيث كان حريقه الأول على أيدي الأعداء سنة 1968 م، ثم أخذوا يحفرون تحته، فكادت جدرانه أن تتهدم. محمد بن محمد حسن شُرَّاب: المعالم الأثيرة، ص 270.

عليهم السلام. ونزلنا أسفله ورأينا بناءه القديم الذي بناه النبي سليمان بن دواد [1] عليهما السلام، وهو بالحجارة. والبناء الثاني وضع على أساسه السابق، وكل محراب في محله على أساسه، هكذا أخبرونا. والمسجد فيه أبواب كبار وفي وسطه عال مثل البندان على طوله، وآخر البندان قرب المحراب، فيه قبة عظيمة غاية في الزخرفة. وفيه جملة أعمدة بالرخام الملون وفيه شباك ورخوت ومدارج. ومقطوع منه جابن للسناء، وفي جوفه صريح ماء. وبعض مفروش بحجر الرخام، وبعضه بحجر غيره، وهو في جانب الحرم.

وفي وسط الحرم الصخرة، وعليها قبة عظيمة في غاية الحسن، وفي جوف القبة شباك، وفي وسط الصخرة، ولها درج تنزل تحتها وهي عظيمة وتحتها محرابان أحدهما لسيدنا داود [2]عليه السلام، والثاني لسيدنا النبي سليمان عليه السلام، وموضع صلى فيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. ويذكرون أنها كانت متعلقة، والآن حولها بناء

(1) النبى سليمان: هو أحد ملوك مملكة إسرائيل حسب الوارد في سفر الملوك الأول وسفر أخبار الأيام الأول وحسب التلمود، هو أحد الأنبياء الثمانية والأربعين وإبن داود وثالث ملوك مملكة إسرائيل الموحدة قبل إنقسامها إلى مملكة إسرائيل الشمالية وهي المملكة التي بقي يحكمها قبائل إسرائيل الإثنا عشر ومملكة يهوذا في الجنوب والتي حكمها أبناء قبيلة يهوذا وهي القبيلة الوحيدة الباقية من القبائل الإثنا عشر حسب كتابات اليهود يعتقد أنه عاش في الفترة ما بين 970 ق.م حتى 931 ق.م وأشتهر بحكمته وثرائه وملكه الفاحش وعدد من الذنوب التي بموجبها عاقب يهود بني إسرائيل بتقسيم مملكتهم ارتبط اسم سليمان بعدد من القصص المذكورة في العهد القديم مثل لقاءه مع ملكة سبأ التي ذكرت في القرآن كذلك وقصة قضاء سليمان بين المرأتين المتخاصمتين على رضيع، ويعتقد حسب التراث اليهودي أنه أول من بنى الهيكل وقصته مع ملك الجن أشماداي،و هو أحد أنبياء الإسلام حسب معتقدات المسلمين وذكر في سور سبأ وص والنمل وسورة البقرة والأنعام مع اختلافات في جوانب القصة العبرية وتأكيد للحكمة والثراء والملك الذي لم يؤت مثله وحسب القرآن، فإن سليمان تعلم "منطق" الطير والحيوانات والحشرات وله جن وعفاريت مسخرين لخدمته وطاعته

(2) داود عليه السلام: هو ثاني ملك على مملكة إسرائيل الموحدة،وأحد أنبياء بني إسرائيل بحسب المعتقد الإسلامي جاء بعد إش –بوشيت (أو إشباعل)، الابن الرابع للملك شاول .يتم وصفه على أنه أحق وأنزه ملك من بين ملوك إسرائيل التاريخيين – ولكن ليس بلا خطأ – وأيضاً هو محارب ممتاز، موسيقي وشاعر، ويعتبره التراث اليهودي والمسيحي مؤلف العديد من المزامير.

خفيف إذا ضربته يرتج، والله أعلم. وذكر سبب البناء أن النساء الحوامل إذا دخلن تحتها يضعن حملهن من الخوف، فبنوا هذا البناء لأجل الاطمئنان.

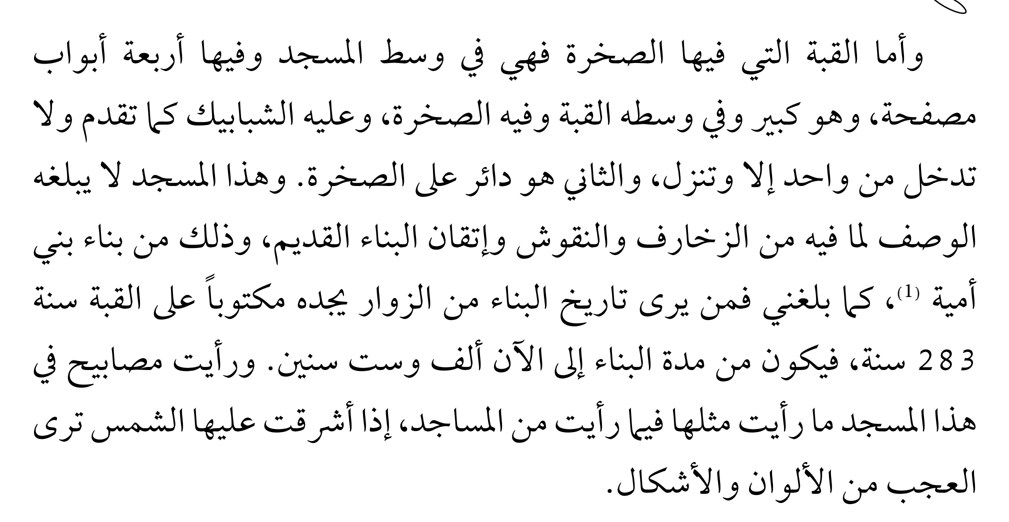
وفي القبة آثار الأنبياء كثيرة من محاربيهم ومقاماتهم وغير ذلك على ما أخبرونا. وبجانب القبة قبة صغيرة غيرها في غاية الحسن، يذكرون أنها موضع السلسلة التي كانوا يقعدون عليها وفيها محراب. وهو موضع الحكومة الذي كان يقعد فيه نبي الله داود عليه السلام للحكومة.

ورأينا مهد سيدنا عيسى (3) عليه السلام كذلك في المحرم، وهو في الأرض ينزل إليه من أراد زيادته في جانب من الحرم، على طوله مدارس ومواضع للمجاورين وفيه صهاريج ماء، وأخبرونا أنه كان فيه عين ما تجري والآن انقطعت. وفي وسطه مواضع صغار للمتعلمين، وفيه جملة شجر زيتون وغيره. والحاصل أنه مسجد مبارك وحرم كبير غير أنه خراب، والمسجد مهجور كله وسخ من روث الحمام، إلا ما شاء الله تجده محلاً نظيفاً تصلي فيه.

ورأينا شيئا من البناء القديم من زمن سيدنا سليمان وداود عليهما السلام، وهذا البناء هو عبرة لمن اعتبر. ورأينا مربط البراق لما أتي به النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء، هكذا أخبرونا. وكل موضع وأثر قديم فهو نازل في الأرض لابد من النزول له. وأغلب الآثار التي رأيناها هكذا.

---

(3) مهد سيدنا عيسى: فى بيت لحم قرية على نحو فرسخ من جهة جبرين بها ولد عيسى بن مريم، عليه السلام، وثمّ كانت النخلة وليس ترطب النخيل بهذه الناحية ولكن جعلت لها آية، وبها كنيسة ليس في الكورة مثلها. ولما ورد عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، إلى البيت المقدس أتاه راهب من بيت لحم فقال له: معي منك أمان على بيت لحم، فقال له عمر: ما أعلم ذلك، فأظهره وعرفه عمر، فقال له: الأمان صحيح ولكن لا بد في كلّ موضع للنصارى أن نجعل فيه مسجدا، فقال الراهب: إن ببيت لحم حنيّة مبنية على قبلتكم فاجعلها مسجدا للمسلمين ولا تهدم الكنيسة، فعفا له عن الكنيسة وصلّى إلى تلك الحنية واتخذها مسجدا وجعل على النصارى إسراجها وعمارتها وتنظيفها، ولم يزل المسلمون يزورون بيت لحم ويقصدون إلى تلك الحنية ويصلون فيها وينقل خلفهم عن سلفهم أنها حنية عمر ابن الخطاب، وهي معروفة إلى الآن لم يغيّرها الفرنج لما ملكوا البلاد. ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج 1، ص522.



وأما القبة التي فيها الصخرة فهي في وسط المسجد وفيها أربعة أبواب مصفحة، وهو كبير وفي وسطه القبة وفيه الصخرة، وعليه الشبابيك كما تقدم ولا تدخل من واحد إلا وتنزل، والثاني هو دائر على الصخرة. وهذا المسجد لا يبلغه الوصف لما فيه من الزخارف والنقوش وإتقان البناء القديم، وذلك من بناء بني أمية [1]، كما بلغني فمن يرى تاريخ البناء من الزوار يجده مكتوباً على القبة سنة 283 سنة، فيكون من مدة البناء إلى الآن ألف وست سنين. ورأيت مصابيح في هذا المسجد ما رأيت مثلها فيما رأيت من المساجد، إذا أشرقت عليها الشمس ترى العجب من الألوان والأشكال.

---

(1) بنى أمية: بنو أمية هم إحدى فروع قبيلة قريش الكنانية، وهمهم بنو أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان،. وكانوا من أهم الأفخاذ ذات السيادة والنفوذ في مكة، وهم أول أسرة مسلمة حاكمة في تاريخ الإسلام، حكموا الدولة الأموية وعاصمتها دمشق ما بين عام661 م إلى750 م، وأسسوا لهم دولة في الأندلس عاصمتها قرطبة. قامت الدولة الأموية في عام 661 ميلادي وكان أول الخلافاء معاوية بن أبي سفيان وكانت دمشق عاصمة الدولة، في عهد دولة بني أمية ومن عاصمتها دمشق انتشر الإسلام والفتوح غرباً حتى إسبانيا في أوروبا، ثم شرقا حتى تخوم الصين سنة 715 م في وسط آسيا وكونت أكبر دولة في التاريخ الإسلامي، ونجح الأمويون في فتح الكثير من البلاد ونشر الإسلام، واهتموا بالعلوم والفقه والمساجد، والعمارة وجعلوا من عاصمتهم دمشق أهم مدن العالم الإسلامي ومنارة للعلم، انشأ الأمويون أهم المعالم في المدن الإسلامية والتي ماتزال حتى اليوم مثل المسجد الأموي بدمشق، والمسجد الاقصى بالقدس والمسجد النبوي بالمدينة المنورة وجامع قرطبة في الاندلس والكثير من القصور الأموية الأخرى. يوجد عدد كبير من الصحابة الأمويين، من أشهرهم :عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية، و أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية، و أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية، وعبد الله بن سعيد بن العاص بن أمية، عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية، وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية، أبان بن سعيد بن العاص بن أمية، و أبو سفيان بن حرب بن أمية، ويزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية، ومعاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية، ومروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية.

وسور البلدة عال بني بالحجر المسحول العظام ويذكرون أن فيه شيئاً من بناء نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام. وأغلب البيوت مبنية بالحجر المسحول، والطرق كلها مفروشة بالحجر. وفيها جملة أسواق وعليها زج، وكذلك البيوت أغلبها زج.

وخارج السور في جانب البلد واد عظيم، يذكرون أنه وادي النار [1] وفيه مقابر اليهود، ما رأيت مقبرة أكبر منها. وفي الوادي بناء قديم وآثار قديمة لم يعطنا خبرها أحد. ومن جملة ذلك فيه قبة عالية متطاولة، وفيها باب أعلى من الأرض بمقدار قامتين يأتيها النصارى ويرمون في جوفها الحجارة، من غير تشبيه كرمي الجمار، وإذا امتلأت فرغوها، يذكرون أن طرطور فرعون بأخبارهم.

ومن جملة هذه الآثار مواضع منحوتة في الجبل بعض منها كالمساكن. وطلعنا جبل الزيتون [2] وهو بعد وادي النار، جبل عال سهل الطلوع، ورأينا فيه قبة يذكرون أن الله رفع سيدنا عيسى عليه السلام من هذه القبة، وفيها موضع في الوسط هو علامة لمحل رفعه منه. والنصارى لما يزالوا يترددون في ذلك الموضع تبركاً به، وفي بعض الأيام يفعلون عيداً عظيماً عند القبة هكذا أخبرونا. وعلى الجبل المذكور آثار قديمة فوارات، منها فوار السيد محمد المعلم حامل رأية المسلمين، وسيدتنا رابعة

---

(1) وادى النار: وادي النار هو أحد أشهر أودية فلسطين ويقع جنوب مدينة القدس وأكتسبت شهرته كونه الطريق الوحيد الذي يربط مدن جنوب الضفة الغربية) الخليل وبيت لحم (بالقدس وشمال الضفة وتبدأ طريق الوادي من بلدة العبيدية جنوبا وهي تابعة لمحافظة بيت لحم حتى بلدة ابو ديس في الشمال وهي تابعة للقدس وهو طريق متعرج تكثر فيه الحوادث كما اقيم فه حاجز للاحتلال يسمى (الكونتينر)

(2) جبل الزيتون: أو جبل الطور (بالعبريه هار هزيتيم) و التسمية قديمة جداً من قبل أيام المسيح وأصلها " طور زيتا" أي جبل الزيتون حيث طور بمعنى جبل، هو احد احياء مدينة القدس. يعد جبل الزيتون من اعلى جبال القدس يبلغ علوه 830 م عن سطح البحر ويقع شرقي البلدة المقدسة.

العدوية [1] رضي الله عنها، وسيدنا سلمان الفارسي [2] والشهداء الأربعين [3].

وما بين الجبل والبلاد في ناحية عن وادي النار من أعلاه قبر سيدتنا مريم بنت عمران [4]، والآن في أيدي النصارى طلبوه من الدولة وعملوا عليه كنيسة وهو نازل

(1) رابعة العدوية: هى الْعَابِدَةُ الْبَصْرِيَّةُ الْمَشْهُورَةُ بِالتَّأَلُّهِ وَالزُّهْدِ، هِيَ رَابِعَةُ بِنْتُ إِسْمَاعِيلَ. كُنْيَتُهَا أمّ عمرو، وولاؤها لِلْعَتَكِيِّينَ. و تُوُفِّيَتْ سَنَةَ ثَمَانِينَ وَمِائَةٍ، عَنْ نَحْوِ ثَمَانِينَ سَنَةٍ. الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، ج11، ط 2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1413 هـ - 1993 م، ص 117، 119.

(2) سلمان الفارسى: سلمان الفارسي - وكنيته أبو عبد الله من أهل قرية إصبهان، ويقال:إنه من قرية رامهرمز، فأصابه أسر من بعض كلب، فبيع من بعض اليهود بناحية وادي القرى، فكاتب اليهودي، فأعانه رسول الله ص والمسلمون حَتَّى عتق وقال بعض نسابه الفرس: سلمان من كور سابور، واسمه ما به بْن بوذخشان بْن ده ديره وسفينة - مولى رسول الله ص، وَكَانَ لأم سلمة فأعتقته، واشترطت عليه خدمة رسول الله ص حياته، قيل: إنه أسود، واختلف فِي اسمه، فَقَالَ بعضهم: اسمه مهران، وقال بعضهم: اسمه رباح، وقال بعضهم: هو من عجم الفرس، واسمه سبيه بْن مارقيه، وأنسة يكنى أبا مسرح، وقيل: أبا مسروح كان من مولدي السراة، وكان يأذن على رسول الله ص إذا جلس، وشهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها مع رسول الله ص وقال بعضهم: أصله من عجم الفرس، كانت أمه حبشية وأبوه فارسيا قَالَ: واسم أبيه بالفارسيه كردوى ابن أشرنيده بْن أدوهر بْن مهرادر بْن كحنكان من بني مهجوار بْن يوماست.وأبو كبشة - واسمه سليم، قيل إنه كان من مولدي مكة. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج3، ط 2، دار التراث، بيروت، 1387 هـ، ص 171.

(3) الشهداء الأربعين: هم شهداء سبسطيه الأربعين(القرن الرابع) هم بحسب التقليد الكنسي مجموعة من الجنود الرومان اللى اتقتلوا بطريقة وحشية بسبب تمسكهم بإيمانهم المسيحى، وده كان قرب سبسطية في ارمينيا الصغرى سنة 320 م، فكانوا بذلك من ضحايا اضطهاد لايكنيوس اللى أُعلن اضتهاده ضد مسيحيي الشرق بعد سنة.316

(4) مريم بنت عمران: مريم العذراء .وفق المعتقدات المسيحية فإن مريم كانت مخطوبة ليوسف النجار، عندما بشرها الملاك جبرائيل بحملها بيسوع وظلت بقربه حتى الصلب .الكتب الأبوكريفية المختلفة وكتابات آباء الكنيسة تتكلم عن حياتها المبكرة وحتى بداية الدعوة العلنية ليسوع، وقد قبلت هذه الكتابات بنسب متفاوت كعقائد لدى الطوائف المسيحية، وقد صيغ عدد آخر من العقائد في المسيحية تعرف باسم العقائد المريمية تتحدث عن العذراء ودورها، التي أغدقت عليها الكنيسة أيضًا عددًا كبيرًا من الألقاب، فهي الملكة والمباركة والشفيعة المؤتمنة وغيرها من الألقاب التي تندرج في إطار تكريمها، الذي تعتقد الكنائس التي تفرد لمريم مكانة خاصة أنه جزء من العقيدة المسيحية، وفي

في الأرض نحو خمسين درجة في القياس، وجعلوا فيه من الزينة شيئا يفوق الوصف من أواني الذهب والفضة ومن قناديل ومغارز وغير ذلك. والقبر عليه حجر مثل الكهرب ومصورين صورة سيدتنا مريم وسيدنا عيسى عليهما السلام، ما شاء الله تلك الصور قاصر عليها الروح، وعليهم من اللباس ما شاء الله والشموع والقناديل مسروجة ليلاً ونهاراً. وفي بعض الأيام يصنعون عيداً عظيماً عندها.

وقبر سيدنا داود عليه السلام خارج عن السور من جانب الحرم في موضع فيه على صفة القبر كبير، قول أنه قبر سيدنا سليمان بن داود عليهما السلام، وقول آخر أنه محل كرسيه، مختلفون في ذلك، والله سبحانه وتعالى أعلم بصحة ذلك. وقول أنه دفن في غار قرب الصخرة، وقول عند أبيه وحجة من قال عند كرسيه أن الأنبياء يدفنون حيث ما كانوا ودليله الآية.

ودخلنا كنيسية النصارى القديمة التي هي من زمن الجاهلية المسماة بالقيامة وإذا فيها موضع، ورأينا فيها من الزينة والزخارف وأواني الفضة والذهب من قناديل ومغارز مصفحة، وغير ذلك والتصاوير والتماثيل شيء عظيم. وزعمهم أنه الموضع الذي قتل فيه سيدنا عيسى عليه السلام، ما تركوا شيئاً من ذلك حتى الدم مصور، وموضع ما دفن صورة قبر على حجر مثل الكهرب وعليه شيء كثير مما ذكرته. وصورة سيدتنا مريم في صباها وعليها من اللباس والحلي والجواهر ما لا يوصف. الحاصل أن العقل لا يسع ما رأينا ويعجز الواصف عن وصفه.

ورأينا في هذه الكنائس نصارى الحبشة، ورأيناهم يصلون منهم القائم ومنهم المجافي

سبيل ذلك أيضًا أقامت عددًا كبيرًا من الأعياد والتذكارات في السنة الطقسية خاصة بها، وأشيدت أعداد كبيرة من الكنائس والمزارات على اسمها، إلى جانب طرق مختلفة أخرى من التكريم، ويسمى علم دراسة مريم ودورها في الكتاب المقدس والمسيحية الماريولوجيا. ولمريم العذراء أيضًا مكانة خاصة في الإسلام، فهي خير نساء العالمين، وترتبط بها السورة الثالثة في القرآن :سورة آل عمران، وهي عائلتها وفق المعتقدات الإسلامية؛ والسورة التاسعة عشر في القرآن والتي تدعى باسمها :سورة مريم، وهي السورة الوحيدة في القرآن المسماة باسم امرأة. ويعني اسم مريم القادم من اللغة العبرية المرارة، وهو من الأسماء الوسعة الانتشار في المجتمع اليهودي القديم، وكان أول من دعي به في العهد القديم النبية مريم وهي شقيقة النبي موسى.

على ركبتيه، وهم صموت على كثرتهم لم نسلمع لهم حساً غير صوت القراة. أما حراس هذه الكنيسة فهم مسلمون متوارثون لها من سابق، من مدة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه على هذه القاعدة. هو الذي أقامهم وأبقى هذه الكنيسة لهم كرامة لهم، لأنهم سلموا له البلد من غير حرب وأمر المسلمين أن يحرسوها لهم، وثبت ذلك على ما كان، هكذا أخبرونا. والقناديل والشموع لم تزل موقدة فيها ليلاً ونهاراً، وفيما أظن ليس عندهم كنائس أفخر من الذي رأيناها في القدس ولا أكثر مالاً منهن لأن جميع ملوكهم يهدي إليهم الأموال الجزيلة، هكذا أخبرونا. وكنائس كثيرة في القدس ولكن الاعتماد عندهم على الذي ذكرناها.

واتفق لنا يوم الجمعة في القدس ورأينا المسلمين في صلاة الجمعة قليلين نحو أربعمائة إنسان يزيدون أو ينقصون، والمسجد خاو، كأنها ليست بصلاة جمعة من قلة المسلمين في ذلك المحل، والله المستعان. بدأ الدين غريباً وسيعود كما بدأ. وقبر نبي الله العزيز صلوات الله عليه خارج البلد، بعده عن البلد مقدار ساعة إلا ربع، وأن كهفه الذي كان يتعبد ويسكن فيه على حد قولهم قرب قبره.

وسيدنا موسى نبي الله الكليم، على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، قبريه بعيد عن البلد بمقدار أربع ساعات ونصف إلى خمس ساعات، وطريقه سعبة ومخيفة، والسير إليه بعسكر. ورأينا خمس ساعات، وطريقة صعبة ومخيفة، والسير إليه بعسكر. ورأينا من كراماته حجراً في الموضع الذي هو فيه يشتعل مثل الفحم ويطبخون به، لأن تلك الجبال التي حوله عديمة الشجر ولا يتيسر الحطب للزوار، وربما لأجل ذلك صارت هذه الكرامة لمن أراد أن يوقد ناراً يأخذ بعض الحطيبات الصغار بقدر ما يشعل الحجر ويطبخ به ما شاء من المأكولات ويشوي به اللحم، والمراد إنه مثل الفحم وله رائحة النار. ورأيناه يشتعل عياناً ومع ذلك فإنه إذا خرج عن أرض القدس بطل عمله، والله تعالي أعلم.

وبالقرب من قبره قبر الراعي الذي كان يرعى غنم سيدنا موسى عليه السلام، وقبورهم في جوف المسجد في محل واحد، عليهم شباك.

وإذا طلعت جبل الزيتون ترى بحيرة ماء كبيرة جداً. ويذكر أنها هي التي أهلك الله فيها قوم لوط [1] عليه السلام، وحولها موضع المدائن المذكورة، والنصارى يقصدونها لأخذ الماء منها يتبركون به، ويصطحبونه إلى منازلهم.

ودخلنا كنيسة اليهود التي بالقدس وهي بخلاف كنيسة النصاري، رأينا فيها كراسي جملة وصناديق للكتب وفي وسطها مثل التابوت، وهو موضع القارئ. وفيها مثل المنبر وفي وسطه محراب وعلى المحراب ستارة مرخية. ويذكرون أنه في باطن هذا المحراب صورة النبي موسى عليه السلام. وأردنا أن نكشفه للتفرج عليه فمنعونا، يذكرون أنهم يكشفونه يوم السبت عند عبادهم، وليس في هذه الكنيسة كثرة من الزينة مثل كنيسة النصارى.

(1) قوم لوط: لوط بن هاران بن آزروهو ابن أخي إبراهيم عم وكان هاجر مع إبراهيم عم إلى الشام فلما نزل إبراهيم عم أرض فلسطين بعثه الله إلى أرض سدوم وكاروما وعمورا وصبوايم أربع قرى من فلسطين على مسيرة يوم وليلة قالوا وأجدبت الأرض واقحطت وكانت قرى لوط أخصب بلاد الله فانتابهم الغرباء ليصيبوا من ثمارهم وطعامهم وسنوا تلك السنة الخبيثة ردعا للناس عن تناول شيء من ثمارهم وطعامهم ثم مرنوا على ذلك وأصروا وخرجوا مع ما كانوا فيه من الكفر باللّه والظلم لعباده والاعتداء عليهم فنهاهم لوط عم وعرض عليهم تزويج البنات والاكتفاء بهن عن إتيان الذكور لما فيه من نفور النفس وانقطاع النسل فأبوا عليه وكفروا به وفي رواية سعيد عن قتادة عن الحسن قال عشر خصال عملها قوم لوط بها أهلكوا كانوا يأتون الرجال ويلعبون بالحمام ويضربون بالدفوف ويرمون بالجلاهق ويخذفون بالأصابع ويلبسون الحمرة ويصفقون بأيديهم ويصفرون بأفواههم ويشربون الخمر ويقصرون اللحى ويطولون الشوارب وروى غيره كانوا يضرطون في النادي وينزو بعضهم في وجه بعض ويمضغون العلك ومع ذلك يقطعون الطريق ويغصبون الناس ويستهزءون بلوط ولما بعث الله الملائكة إلى إبراهيم يبشّرونه بإسحاق أخبروا بأنهم مأمورون بإهلاك قرى لوط وذلك قوله تعالى وَلَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا إِبْراهِيمَ بِالْبُشْرى قالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هذِهِ الْقَرْيَةِ 29: 31 إلى آخر الآيات كلها في شأنهم وقصصهم وكانت امرأة لوط تدل الناس على ضيفه وتخبرهم بمجيئهم فلما جاءت الرسل لوطا ذهبت العجوز تخبرهم وذلك قوله تعالى وَلَمَّا 11: 77 [أن] جاءَتْ رُسُلُنا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً 11: 77 إلى تمام القصة وَجاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمن قَبْلُ كانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ 11: 78 إلى قوله فَاتَّقُوا الله وَلا تُخْزُونِ في ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ 11: 78 قال قتادة لا والله لو كان فيهم واحد رشيد لما عذبوا فزلزل الله بهم الأرض وجعل عالِيَها سافِلَها 11: 82 وأمطر عليهم حِجارَةً من سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ 11: 82 – 83 وأمر الله تعالى لوطا فلحق بإبراهيم مع ابنتيه رتبا ورعورا إلى أن قبضه الله تعالى. المقدسي: البدء والتاريخ، ج 3، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، د.ت، ص 57.

ثم سافرنا من بيت المقدس في ثماني ساعات إلا ربعاً إلى الخليل [1]، فمر بنا في الطريق قبر نبي الله راحيل عليه السلام ابن يعقوب وهو بيد اليهود. ومررنا على قرية تسمى بيت لحم [2] فيها موضع مولد سيدنا عيسى عليه السلام وحيث ما وضعته أمنه بعد الولادة، وموضع النخلة، وهو محل نازل في الأرض وهو بيد النصارى جاعلين عليه كنيسة كبيرة، وبها من البناء والزخارف والتماثيل غاية في الكثرة. وهذه البلد يذكرون أنها كلها نصارى ليس بها مسلمون أبداً. ومروا بنا على النبى متى والنبي يونس عليهما السلام. ووصلنا بلد الخليل بعد ساعة إلا ربعاً من اليوم الثاني من مسيرنا، وكان جملة السير خمس ساعات تزيد وتنقص. ورأينا مسجداً كبيراً ما شاء الله، وفيه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام منهم نبي الله إبراهيم الخليل [3]عليه

(1) الخَليلُ:اسم موضع وبلدة فيها حصن وعمارة وسوق بقرب البيت المقدس، بينهما مسيرة يوم، فيه قبر الخليل إبراهيم، عليه السلام، في مغارة تحت الأرض، وهناك مشهد وزوّار وقوّام في الموضع وضيافة للزوّار، وبالخليل سمّي الموضع واسمه الأصلي حبرون، وقيل حبرى، وفي التوراة: أن الخليل اشترى من عفرون بن صوحار الحيثي موضعا بأربعمائة درهم فضة ودفن فيه سارة، وقد نسب إليه قوم من أصحاب الحديث، وهو موضع طيب نزه روح، أثر البركة ظاهر عليه، ويقال: إن حصنه من عمارة سليمان بن داود، عليه السلام، وقال الهروي: دخلت القدس في سنة 567 واجتمعت فيه وفي مدينة الخليل بمشايخ حدثوني أن في سنة 513 في أيام الملك بردويل انخسف موضع في مغارة الخليل فدخل إليها جماعة من الفرنج بإذن الملك فوجدوا فيها إبراهيم وإسحاق ويعقوب، عليهم السلام، وقد بليت أكفانهم وهم مستندون إلى حائط وعلى رؤوسهم قناديل ورؤوسهم مكشوفة، فجدد الملك أكفانهم ثم سد الموضع، قال: وقرأت على السلفي أن رجلا يقال له الأرمني قصد زيارة الخليل وأهدى لقيّم الموضع هدايا جمّة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2، ص 387.

(2) بيت لحم: مر ذكرها بهامش خاص بمهد سيدنا عيسى.

(3) ابراهيم الخليل: إبراهيم بن آزر وهو تاريخ بن ناحور بن شاروغ بن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح بن لمك بن متوشلح بن خنوخ وهو إدريس بن يارد بن مهلاييل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم خليل الرحمن يكنى أبا الضيفان قيل إن أمه كانت تخبئه في كهف في جبل بقرية برزة في الموضع الذي يعرف بمقام إبراهيم اليوم قرأت على أبي محمد عبد الكريم بن حمزة عن أبي محمد عبد العزيز بن أحمد أنا تمام بن محمد الرازي أنا أبو الحارث أحمد بن محمد بن عمارة نا أبي نا محمد بن إبراهيم نا هشام بن عمار نا الوليد بن مسلم عن سعيد بن عبد العزيز عن مكحول عن ابن عباس أنه ولد إبراهيم (صلى الله عليه وسلم) بغوطة دمشق في قرية يقال لها برزة في جبل يقال له قاسيون كذا

السلام وزوجته سارة [1] ، والنبي إسحاق [2] وزوجته رفقة [3] ، والنبي يعقوب [4] وزوجته لايقة. هؤلاء في محل واحد في مغار من الجبل باطن المسجد وفي أعلى المغار التوابيت من المسجد

في هذه الروا ية والصحيح أن إبراهيم ولد بكوثي من إقليم بابل أرض العراق وإنما نسب إليه هذا المقام لأنه صلى فيه إذ جاء معينا للوط النبي (صلى الله عليه وسلم). ابن عساكر: تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، ج 6، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415 هـ - 1995 م، ص 164.

(1) سارة: هى سارة زَوْجَة إِبْرَاهِيم عَلَيْهِمَا السَّلاَم وَهِي ابْنَة هَارُون بن ناحور وَهِي إبنة عَم إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلاَم. القِنَّوجي: حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة. البخاري القِنَّوجي (المتوفى: 1307هـ) تحقيق:د مصطفى الخن ومحي الدين مستو، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1401هـ/ 1981م، ص 110.

(2) النبى اسحاق: هُوَ إِسْحَاق بن خَلِيل النَّبِي بن النَّبِي بن النَّبِيين صلوَات الله وَسَلاَمه عَلَيْهِم أَجْمَعِينَ وَأمه سارة حملت بِهِ فِي اللَّيْلَة الَّتِي خسف الله تَعَالَى بِقوم لوط وولدته وَلها من الْعُمر تسعون سنة وَمن وَلَده الرّوم واليونان والأرمن وَمن يجْرِي مجراهم وَبَنُو إِسْرَائِيل وَكَانَ إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَام يضيف من نزل بِهِ وَقد أوسع الله تعال عَلَيْهِ وَبسط لَهُ الرزق وَالْمَال والخدم وَلما أَرَادَ الله تَعَالَى هَلَاك قوم لوط أَمر رسله من الْمَلَائِكَة إِن ينزلُوا بإبراهيم ويبشروه هُوَ وَسَارة بِإِسْحَاق وَمن وَرَاء إِسْحَاق يَعْقُوب فَلَمَّا نزلُوا على إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَام كَانَ الضَّيْف قد حبس عَنهُ خَمْسَة عشر يَوْمًا حَتَّى شقّ ذَلِك عَلَيْهِ وَكَانَ لَا يَأْكُل إِلَّا مَعَ الضَّيْف مَا أمكنه فَلَمَّا رَآهُمْ عل صُورَة الرِّجَال سر بهم وَرَأى أضيافاً لم يضفه مثلهم حسنا وجمالاً فَقَالَ لَا يخْدم هَؤُلَاءِ الْقَوْم إِلَّا أَنا فَخرج إِلَى أَهله فجَاء بعجل سمين حِينَئِذٍ وَهُوَ المشوي بِالْحِجَارَة فَلَمَّا رأى أَيْديهم لَا تصل إِلَيْهِ - أَي الْعجل - نكرهم وأوجس مِنْهُم خُفْيَة وَذَلِكَ إِنَّهُم كَانُوا إِذا نزل بهم ضيف وَلم يَأْكُل من طعامهم ظنُّوا إِنَّه لم يَأْتِيهم بِخَير وَإِنَّمَا جَاءَهُم بشر قَالُوا لَا تخف يَا إِبْرَاهِيم إِنَّا مَلَائِكَة الله تَعَالَى أرسلنَا إِلَى قوم لوط وَكَانَت امْرَأَته سارة قَائِمَة من وَرَاء السّتْر تسمع كَلَامهم وَإِبْرَاهِيم جَالس مَعَهم فَضَحكت لزوَال الْخَوْف عَنْهُمَا قَالُوا لِإِبْرَاهِيم لَا تخف وَقيل ضحِكت بالبشارة وَقَالَ ابْن عَبَّاس ووهب ضحِكت تَعَجبا من أَن يكون لَهَا ولد على كبر سنّهَا وَسن زَوجهَا وعل هَذَا القَوْل تكون الْآيَة عل التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير تَقْدِيره (وَامْرَأَته قَائِمَة فبشرناها بِإِسْحَاق وَمن وَرَاء إِسْحَاق يَعْقُوب فَضَحكت وَقَالَت يَا ويلتي أألد وَأَنا عَجُوز وَهَذَا بعلي شَيخا) وَكَانَ سنّ إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَام مائَة وَعشْرين سنة فِي قَول ابْن إِسْحَاق (إِن لشَيْء عَجِيب قَالُوا - يَعْنِي الْمَلَائِكَة - أَتَعْجَبِينَ من أَمر الله رَحمَه الله وَبَرَكَاته عَلَيْكُم أهل الْبَيْت إِنَّه حميد مجيد) وَسَنذكر مَا تلكم بِهِ إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَام مَعَ الْمَلَائِكَة فِي أَمر قوم لوط عِنْد ذكره عَلَيْهِ السَّلَام ثمَّ أَن إِسْحَاق عَلَيْهِ السَّلَام تزوج بنت عَمه ربقة بنت تنويل - وكتان إِسْحَاق ضريراً - وَولدت لَهُ الْعيص وَيَعْقُوب. مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، ج1، مكتبة دنديس، عمان، د.ت، ص 65، 66.

(3) ربقة: هى ربقة بنت تنويل ابنة عم النبى اسحاق عليه السلام، وَولدت لَهُ الْعيص وَيَعْقُوب. مجير الدين الحنبلي: نفس المصدر.

(4) النبى يعقوب هو ابن اسحاق ابن إبراهيم وهو أحد الأنبياء المذكورين في التوراة والقران.

المذكور فوق كل قبر تابوت، وفي مغار آخر من الجبل باطنه قبر نبي الله يوسف عليه السلام، وكذلم من خارجه تابوت في أعلاه. والغار الأول الذي فيه الخليل عليه السلام بابه مسدود بالرصاص بل له فرجة قدر الكوة الصغيرة بزوره الناس منها، والنوار تتلألأ في ذلك الغار.

وأما الغار الثاني فله طريق من جهة جانب المسجد. وأما نبي الله لوط عليه السلام فقبره بعيد عن البلد بمقدار ساعة وربع، ونبي الله العيص [1] عليه السلام مسير ساعة ونصف عن البلد، ونبي الله نوح[2] عليه والسلام مسير أربعين دقيقة عن البلد، وهو

(1) نبى الله اليعص: هو عيصو بن إسحاق بن إبراهيم. قال: وكان «عيصو» رجلا أحمر شعر الجسد. عليه خواتيم من شعر، صاحب صيد. وهو أبو الرّوم. وكان الرّوم رجلا جلدا أحمر، أصفر في بياض، شديد الصّفرة، فمن أجل ذلك سميت الرّوم: بنى الأصفر. وتزوّج «عيصو» ابنة عمه إسماعيل بن إبراهيم، فولدت: الرّوم بن عيصو. وخمسة آخرين. فكل من بأرض الرّوم اليوم فهم من نسل هؤلاء الرّهط. وبعض الناس [1] يزعمون أنّ الإسبان من ولده. وعمر «عيصو» مائة وسبعة وأربعين سنة. ابن قتيبة الدينوري: المعارف، ص 38، 39.

(2) نبى الله نوح: نوح أوّل نبيّ نبّأه الله بعد إدريس. وكان نجّارا، إلى الأدمة ما هو، دقيق الوجه في رأسه طول، عظيم العينين، غليظ العضدين، دقيق الساقين، كثير لحم الفخذين، دقيق الساعدين، ضخم السّرة، طويل اللّحية عريضها، طويلا جسيما. وكان في غضبه وانتهاره شدّة. فبعثه الله إلى قومه وهو ابن خمسين سنة، فلبث فيهم ألف عام إلا خمسين سنة: ثلاثة قرون في قومه عايشهم وعمّر فيهم، فلا يحيبونه، ولم يتبعه إلا القليل، كما قال الله عز وجل. وفي التوراة: «1» إنّ الله عز وجل أوحى إليه أن اصنع الفلك، وليكن طولها ثلاثمائة ذراع. وعرضها خمسين ذراعا، وارتفاعها في السماء ثلاثين ذراعا، وليكن بابها في عرضها، وادخل الفلك أنت وامرأتك وبنوك ونساء بنيك، ومن كل شيء من اللحم اثنين اثنين ذكورا وإناثا، فإنّي منزل المطر على الأرض أربعين يوما وأربعين ليلة، فأتلف كل شيء خلقته على الأرض. وأن تعمل تابوتا تجعل فيه جسد آدم، وتصنع التابوت من خشب الشمشار، وتجعل معك زاد سنة. ففعل نوح.فأرسل الله الطوفان على الأرض في سنة ستمائة من عمر نوح، في سبعة عشر يوما من الشهر الثاني. ولبث الفلك في الماء مائة وخمسين يوما. ثم أرسل الله ريحا فغشيت الأرض، فنشفت الأرض الماء، وانسدّت ينابيع الأرض وميازيب السماء، واستقرت في الشهر السادس على جبل قردى، وفي الشهر العاشر بانت رءوس الجبال. فلما كان في سنة ستمائة سنة وسنة، في أوّل يوم من الشهر الأوّل، نضب الماء عن الأرض، فكشف نوح غطاء الفلك فرأى وجه الأرض. وفي سبعة وعشرين يوما من الشهر الثاني جفّت الأرض.فهذا ما في التوراة. قال وهب بن منبه:ذكر لنا أن السفينة استقلّت في عشر خلون من رجب، وكانت في الماء مائة وخمسين يوما، ثم استقرّت على

السرداب الشريف المشهور، وهذا المسجد يذكرون أنه أول من بناه النبي سليمان بن داؤد عليهما السلام. وما رأيت صنعة أقوى منه بنياناً، فبناؤه بالحجر المنحوت، فذرعنا حجرة منه طولها ستة عشر ذراعاً بذراعنا وعرضها ذراعان ونصف، وذلك باق من بناء نبي الله سليمان عليه السلام. وفيه بركة كبيرة، والفلج من أعلاها، وهي على طريق المسجد في وسط الدرج. وهذه البلد كلها سكانها مسلمون أخيار ما رأيت مثلهم في تلك الأرض ونساؤهم مستورة لا تسمع لهن حساً ولا يرى أحد منهن على الطريق أو الدرايش [1]، وإذا أخرجت النسوة ففي غاية من الستر والتحفظ، لا يبين منهن شيء أبداً. والحاصل أن الرجال والنساء في تلك البلد كلهم أخيار وقليل مثلهم. وأما العلاجين فهم مثل البهائم، وجميع أشغالهم على نسائهم من بيع وشراء وغير ذلك، تراهم في الأسواق متزاحمين، الرجال والنساء. وبلادهم نيره ولم يكن بها من المشركين غيرهم سوى نفر قليل من اليهود خاصة، وهم في أتم الذل. وهذه البلدان كلها التي بقرب بيت المقدس بناؤها وطرقها وأسواقها وبيوتها على شكل واحد لا فرق بينها غير الكبر والصغر، وأما القرى الصغار فصفاتها ثانية.

ورأينا الجبال المنحوتة قريباً من القرية التي بها نبي الله العيص عليه السلام وكانت قديماً سكناً للأوائل يتعجب الناظر من صنعتها، والأن جعلوها مقابر يدفنون فيها موتاهم، هكذا أخبرونا. وتلك الأطراف بساتينهم كلها بستان واحد، يشبه بعضها بعضاً، والفواكه والمعاش كله رخيص فيها. وشجرهم الذي على الجبال يجلعون لها

الجوديّ – وهو جبل بأرض الجزيرة – شهرا.أن نوحا دخل الفلك وولده الثلاثة: سام، وحام، ويافث، ونساؤهم، وأربعون رجلا، وأربعون امرأة من المسلمين. فلما خرجوا بنوا قرية سمّوها: ثمانين، لأنه كان فيها ثمانون بيتا، لكل نفس ممن آمن معه بيت – فهي اليوم تسمى: سوق ثمانين – وقرّب قربانا. وفي التوراة:إن نوحا عاش بعد الطوفان ثلاثمائة سنة وخمسين سنة، فكان عمر نوح تسعمائة سنة وخمسين سنة.كان عمر نوح ألف سنة، لأنه بعث إلى قومه وهو ابن خمسين سنة، ولبث فيهم يدعوهم إلى أن مات بعد سعمائة وخمسين سنة. ابن قتيبة الدينوري: نفس المصدر، ص 21: 24.

(1) الدرايش: النوافذ.

رفوفاً، كل طبقة أعلى من الطبقة الثانية، من زيتون وغيره. وفيها من الخيرات شيء كثير من الأشجار والمحاشي وغير ذلك. ومقام النبي زكريا عليه السلام بين بلد الخليل والرملة [1]، وقيل قبره في غار تحت المسجد في ذلك المحل، والله أعلم.

(1) الرَّمْلَةُ: مدينة عظيمة بفلسطين وكانت قصبتها قد خربت الآن، وكانت رباطا للمسلمين، وهي في الإقليم الثالث، طولها خمس وخمسون درجة وثلثان، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة وثلثان، و رملة فلسطين فبينها وبين البيت المقدس ثمانية عشر يوما، وهي كورة من فلسطين، وكانت دار ملك داود وسليمان ورحبعم بن سليمان، ولما ولي الوليد بن عبد الملك وولّى أخاه سليمان جند فلسطين نزل لدّ ثمّ نزل الرملة مصّرها، وكان أوّل ما بنى فيها قصره ودارا تعرف بدار الصباغين واختط المسجد وبناه، وذكر البشاري أن السبب في عمارته لها أنّه كان له كاتب يقال له ابن بطريق سأل أهل لدّ جارا كان للكنيسة أن يعطوه إيّاه ويبني فيه منزلا له فأبوا عليه، فقال: والله لأخربنها، يعني الكنيسة، ثمّ قال لسليمان: إن أمير المؤمنين، يعني عبد الملك، بنى في مسجد بيت المقدس على هذه الصخرة قبّة فعرف له ذلك وإن الوليد بنى مسجد دمشق فعرف له ذلك فلو بنيت مسجدا ومدينة ونقلت الناس إلى المدينة، فبنى مدينة الرملة ومسجدها فكان ذلك سبب خراب لدّ، فلمّا مات الوليد واستخلف سليمان بن عبد الملك وكان موضعها رملة، فسليمان اختطها وصار موضع بلد الرملة بعد الصباغين آبارا عذبة ولم تكن الرملة قبل سليمان بن عبد الملك، أذن للناس أن يبنوا فبنوا مدينة الرملة واحتفر لهم القناة التي تدعى بردة واحتفر أيضا آبارا عذبة وصارت بعد ذلك لورثة صالح بن علي لأنّها قبضت مع أموال بني أميّة، وكان بنو أمية ينفقون على آبار الرملة وقناتها، فلمّا استخلف بنو العبّاس أنفقوا عليها أيضا، وكان الأمر في تلك النفقة يخرج في كلّ سنة من خليفة بعد خليفة، فلمّا استخلف المعتصم أسجل بذلك سجلا فانقطع الاستئمار وصارت النفقة يحتسب بها للعمّال، وشربهم من الآبار الملحة، والمترفون لهم بها صهاريج مقفلة، وكانت أكثر البلاد صهاريج مع كثرة الفواكه وصحة الهواء، واستنقذها صلاح الدين يوسف بن أيّوب في سنة 583 من الأفرنج وخرّبها خوفا من استيلاء الأفرنج عليها مرّة أخرى في سنة 587، وقد سكن الرملة جماعة من العلماء والأئمة فنسبوا إليها، منهم: أبو خالد يزيد بن خالد بن يزيد بن عبد الله بن موهب الرملي الهمداني، روى عن اللّيث ابن سعد والمفضّل بن فضالة، وروى عنه أبو العباس محمد بن الحسن بن قتيبة العسقلاني وأبو زرعة الرازي، ومات سنة 232، وموسى بن سهل بن قادم أبو عمران الرملي أخو علي بن سهل، سمع يسرة بن صفوان وأبا الجماهر وآدم بن أبي إياس وجماعة غيرهم من هذه الطبقة، وعبد الله بن محمد بن نصر بن طويط. ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج 3، ص79، 80.

وأما نبي الله صالح[1] عليه السلام فهو في مدينة الرملة في جامع كبير، وذلك الجامع طبقتان؛ طبقة من تحت الأرض وطبقة أعلاها، وفي باطن الطبقة السفلى مدفون بها بها أربعون نفراً من قوم النبي صالح عليه السلام وهم من المؤمنين، رحمهم الله. وهذا الجامع المذكور كله خراب لم يبق غير بعض آثاره وحدوده. وهذه الرملة بلد بين يافا وبيت المقدس مسير ثلاث ساعات من يافا. وكذلك سيدنا الفضل ابن العباس مدفون في الرملة.

ورجعنا من بيت المقدس إلى يافا يوم تسع عشرة من جمادى الآخر، وكان وصولنا ذلك اليوم والحمد لله على بلوغنا الزيارة للأنبياء عليهم السلام والمقامات الشريفة. ومن الخليل إلى يافا مسير خمسة عشر (ساعة) تقريباً، وسافرنا من يافا في تسع ساعات وتسع دقائق من يوم الثلاثين من جمادي الآخر، ووصلنا حيفا في ثلاث ساعات وخمس وعشرين دقيقة من الليل.

وسافرنا منها في أربع ساعات وخمس وأربعين دقيقة فوصلنا بلد بيروت [2] في مقدار

(1) نبى الله صالح: وهو صالح بن عبيد بن عابر بن إرم بن سام بن نوح. كانت منازل قومه بالحجر، وبين الحجر وبين قرح ثمانية عشر ميلا، وقرح: هي وادي القرى. ولما قال له قومه: ائتنا بآية. أتى بهم هضبة، فلما رأته تمخّضت كما تمخّض الحامل، وانشقّت عن الناقة. وعاقر الناقة: هو أحمر ثمود، الّذي يضرب به المثل في الشؤم، واسمه: قدار ابن سالف،وكان أحمر أشقر أزرق سناطا قصيرا. والعاقر الآخر: مصدع ابن مهرج. وكان رجلا نحيفا طويلا أهوج مضطربا. ولما عقرت الناقة صعد فصيلها جبلا ثم رغا، فأصابهم العذاب. وقال غير وهب: فلذلك تقول العرب: «رغا فوقهم سقب السماء»، إذا هلكوا.فلما أهلكهم الله، قال صالح لمن آمن معه: يا قوم، إن هذه دار قد سخط الله على أهلها، فاظعنوا عنها والحقوا بحرم الله وأمنه. فأهلّوا من ساعتهم بالحج وأحرموا في العباء، وارتحلوا قلائص حمراء مخطّمة بحبال من ليف، ثم انطلقوا يلبون حتى وردوا مكة. فلم يزالوا بها حتى ماتوا، فقبورهم في غربيّ الكعبة، بين دار النّدوة والحجر. وكان صالح رجلا تاجرا. ابن قتيبة الدينوري: المعارف، ص 30، 31.

(2) بيرُوتُ: مدينة مشهورة على ساحل بحر الشام تعدّ من أعمال دمشق، بينها وبين صيداء ثلاثة فراسخ، قال بطليموس: بيروت طولها ثمان وستون درجة وخمس وأربعون دقيقة، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وعشرون دقيقة، طالعها العوّاء، بيت حياتها الميزان، وقال صاحب الزيج:طولها تسع وخمسون درجة ونصف، وعرضها أربع وثلاثون درجة في الإقليم الرابع، ولم تزل بيروت في أيدي المسلمين على أحسن حال حتى نزل عليها بغدوين الأفرنجي الذي ملك القدس في جمعه وحاصرها حتى فتحها

ساعة إلا ثلثاً من يوم الحادي والعشرين من الشهر المذكور، وذلك في بابور البحر، النيمسا. وبيروت هذه بندر من بنادر الشام، ولها شيفة من البحر ومرساها كبير جيد تدخل المواشي بين جبلين، وعلى الجبال بناء. وتكون المواشي كأنها في بركة ماء، لا موجة ولا سوجة. وينزل من المواشي بسهولة بغير تعب. وهي بلدة طيبة فيها من المأكل الفاخر من الفواكه وغيرها شيء كثير. وأكثر سكانها نصارى ويهود، وبقدر الربع المسلمون فيها، والثلاثة الأرباع كفرة. وفيها جملة أسواق وبيوت فاخرة وبساتين وأغلب طرقها مفروشة بالحجر، الحاصل أنها بلد حسنة وهواها صحيح. وفيها مقام نبي الله يحي عليه السلام [1] ويده الشريفة، هكذا أخبرونا. والمقام مجعول في مسجد جامع للجمعة منظم.

ثم توجهنا من بيروت إلى دمشق [2] الشام وأخذنا في الطريق ثلاث عشرة ساعة إلا ثلثا

عنوة في يوم الجمعة الحادي والعشرين من شوال سنة 503هـ، وهي في أيديهم إلى هذه الغاية، وكان صلاح الدين قد استنقذها منهم في سنة 583 هـ، وقد خرج منها خلق كثير من أهل العلم والرواية، منهم: الوليد بن مزيد العذري البيروتي. ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج 1، ص 525، 526.

(1) يحى عليه السلام: يحيى بن زكرياء بن ادى ابن مسلم بن صدوق بن نحشان بن داود بن سليمان بن مسلم بن صديقة بن برخية بن شفاطية بن فاحور بن شلوم بن يهفاشاط بن اسا بن أبيا بن رحبعم. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 1، ص590.

(2) دمشق: سميت بذلك لأنهم دمشقوا في بنائها أي أسرعوا، قال صاحب الزيج: دمشق طولها ستون درجة، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة نصف، وهي في الإقليم الثالث، وقال أهل السير: سمّيت دمشق بدماشق بن قاني بن مالك بن أرفخشد بن سام بن نوح، عليه السلام، فهذا قول ابن الكلبي، وقال في موضع آخر: ولد يقطان بن عامر سالف وهم السلف وهو الذي بنى قصبة دمشق، وقيل: أول من بناها بيوراسف، وقيل: بنيت دمشق على رأس ثلاثة آلاف ومائة وخمس وأربعين سنة من جملة الدهر الذي يقولون إنه سبعة آلاف سنة، وولد إبراهيم الخليل، عليه السلام، بعد بنائها بخمس سنين، وقيل:إن الذي بنى دمشق جيرون بن سعد بن عاد بن إرم ابن سام بن نوح، عليه السلام، وسماها إرم ذات العماد، وقيل: إن هودا، عليه السلام، نزل دمشق وأسس الحائط الذي في قبلي جامعها، وقيل: إن العازر غلام إبراهيم، عليه السلام، بنى دمشق وكان حبشيّا وهبه له نمرود بن كنعان حين خرج إبراهيم من النار، كان يسمّى الغلام دمشق فسماها باسمه، وكان إبراهيم، عليه السلام، قد جعله على كلّ شيء له، وسكنها الروم بعد ذلك، وقال غير هؤلاء: سميت بدماشق بن نمرود بن كنعان وهو الذي بناها، وكان معه إبراهيم، كان دفعه إليه نمرود بعد

في الكروسة، وهي عربة تجرها ستة رؤوس من الخيل، وهي تحمل خمسة عشر نفراً أعلاها وأسفلها، وتبدل الخيل في خمسة عشر موضعاً، وكل موضع تقف فيه بقدر ساعة لحوائجنا من أكل وغيره. والذين يسيرون على البهائم يمكثون في الطريق ثلاثة أيام. وفي الطريق من البساتين والمزارع والأشجار والأنهار شيء كثير، وأكثر الطريق عمار والقليل فيها خراب. وفيها جملة قهاوي ومناخات. والتلغراف متصل من بيروت إلى دمشق. فلما وصلنا رأيناها مدينة عظيمة، وفيها جملة أسواق ومساجد وحمامات، شيء كثير. وفي أسواقها شيء كثير من بضائع وغيرها من المآكل والمشارب والفواكه الفاخره شيء لا يوصف. وحولها البساتين، والجبل دائر عليها محدق بها كلجة البحر. ويدور الجبل حول البساتين كالسور. وتسقيها سبعة أنهار كبار وتتفرق على جملة أنهار أصغر. وما رأيت بلداً مثلها، كثيرة المياه في كل بيت بركة أو بركتان، حتى في الطهاية الماء يجري يغسل النجاسات إذا كان الإنسان في قضاء حاجة والماء يجرى قدامه، وفي الطريق والأسواق وحيث ما كان يسير يرى الماء ينصب منه ومن الجدار، ومنه يكون في وسط البرك. وأغلب بيوتها على طبقة واحدة، النادر الذي هو طبقتان. وليس للبيوت شيفة من الخارج بل مزينات من الداخل وأغلبها طين، مثل بيوت الشوانب وبعضها من الحجر وطرقها أغلبها مفروشة بالحجارة.

وهي بلد قديمة من أقدم البلدان قاطبة. ورأينا المسجد الأموي وهو جامع كبير والسوق دائر به، وفي صرحة بركة ينصب الماء منها. ومن داخل بناينه الذي من الصرح إلى المسجد صنابير ينصب منها الماء. وكذلك الأبواب التي له على الأسواق ينصب عندها الماء من كل جانب. وفيه خلاوي كثيرة للمجاورين، وفيه مناثر كبار؛ منها المنارة الشرقية ينزل عليها عيسى عليه الصلاة والسلام آخر الزمان، هكذا يذكرون، والله أعلم.

وعدد درج المنارة المذكورة مائتان وعشرون درجة، والثانية تسمى العروس،

أن نجّى الله تعالى إبراهيم من النار، وقال آخرون: سميت بدمشق بن إرم بن سام بن نوح، عليه السلام، وهو أخو فلسطين وأيلياء وحمص والأردنّ، وبنى كلّ واحد موضعا فسمي به، ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج 2، ص 463، 464.

عريضة يصعدونها لقراءة المولد فيها. ويذكرون أن هذا المسجد كان كنيسة، ولما تولى المسلمون هدموها وبنوا فيها مسجداً، ولما صارت الخلافة لبني أمية هدموه وعمروه ثانية. وفي وسطة قبة يذكرون أنه رأس يحي نبي الله عليه السلام، وكذلك فيه موضع يذكرون أنه مقام النبي هود عليه السلام [1]، وقول قبره في غار تحت المسجد ومعه سبعون نبياً صلوات الله عليهم في ناحية منه.

وفي موضع منه يقولون أنه مقام نبي الله الخضر عليه السلام في خارج المسجد في ناحية من الصرح موضع خزانة يزيد بن معاوية، وحيث ما ترك رأس الحسين بن علي بن أبي طالب قول أنه دفن في محله، وقول بمصر والله أعلم. وفي المحلين له قرار. وخارج البلد على حدود الجبل موضع يسمى الصالحية [2]، وهي مقبرة كبيرة،

(1) النبى هود: هود عليه السلام هو هود بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح. قال وهب: هو هود بن عبد الله بن رياح بن حارث بن عاد بن عوص بن إرم بن سام ابن نوح. وكان أشبه ولد إرم بإرم، خلا يوسف. وكان رجلا آدم كثير الشعر حسن الوجه. وكانت «عاد» ثلاث عشرة قبيلة، ينزلون الرّمل، وبلادهم أخصب البلاد، وكثرتهم وديارهم بالدّو والدّهناء وعالج ويبرين ووبار، إلى عمان، إلى حضرموت، إلى اليمن. فلما سخط الله عز وجل عليهم جعلها مفاوز وغيطانا. ولمّا أهلك الله قومه لحق هود ومن آمن معه بمكة وأقاموا بها، فلم يزالوا بها حتى ماتوا. وكان هود رجلا تاجرا. ابن قتيبة الدينوري: المعارف، ص 20.

(2) الصّالحيّة: قرية قرب الرّها من أرض الجزيرة اختطّها عبد الملك بن صالح الهاشمي، وقال الخالدي: قرب الرّقّة، وقال: عندها بطياس ودير زكّى وهو من أنزه المواضع، وقال الخالديّان في تاريخ الموصل من تصنيفهما: أول من أحدث قصور الصالحية المهدي، فقال منصور بن النميري:

قصور الصالحيّة كالعذارى ... لبسن حليّهنّ ليوم عرس
تقنّعها الرياض بكل نور ... وتضحكها مطالع كل شمس
مطلّات على نطف المياه ... دبيب الماء طيبة كل غرس
إذا برد الظلام على هواها ... تنفّس نورها من كل نفس

قال عبيد الله الفقير إليه: أما بطياس فقصور كانت لعبد الملك بن صالح وابنه علي بظاهر حلب ذكرتها في بابها، وكذلك الصالحية، ولكني ذكرت كما قالوا، وقال الصّنوبري:

إني طربت إلى زيتون بطياس ... بالصالحية ذات الورد والآس

ويذكرون فيها جملة من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولم يسموهم (لنا) جميعاً، والمسمى منهم ذو الكفل [1] عليه السلام وعليه تابوت وقبة وفي أعلاه مقبرة غار أهل الكهف [2] ربما كانوا ياؤون فيه، وغار للأولياء الأربعين.

وبين البلدين والصالحية قرار الأكراد الأيوبية، هؤلاء ينسبون إلى النبي أيوب عليه السلام، وهما قبران مكشوفان من جانب ومحشوان بالقطن؛ فواحد منهما مملوء والثاني غير مملوء. وإذا أمعنت النظر فيه فتنظر الرجل الميت على حاله، وهما آيتان من آيات الله تعالى.

وفي دمشق مزارات كثيرة منها سيدنا بلال الحبشي [3] مؤذن سيدنا رسول الله صلى

وقد تقدم بقيتها. والصالحية أيضا: محلة ببغداد تنسب إلى صالح بن المنصور المعروف بالمسكين. والصالحية أيضا: قرية كبيرة ذات أسواق وجامع في لحف جبل قاسيون من غوطة دمشق وفيها قبور جماعة من الصالحين ويسكنها أيضا جماعة من الصالحين لا تكاد تخلو منهم، وأكثر أهلها ناقلة البيت المقدس على مذهب أحمد بن حنبل. ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج 3،ص 389، 390.

(1) ذو الكفل: ذو الكفل عليه السلام وهو من بنى إسرائيل، بعث إلى ملك كان فيهم، يقال له: كنعان، فدعاه إلى الإيمان وتكفل له بالجنة، وكتب له كتاب ذكر حق على الله - عز وجل - فآمن ذلك الملك. وسمى ذا الكفل، بالكفالة. ابن قتيبة الدينوري: المعارف، ص 20

(2) أهل الكهف: هم فتيان سبعة قاموا أيام دقيانوس ولبثوا في نومهم ثلاثمائة سنة وتسع سنين كما قصّه القرآن، ووجد معهم صندوق النحاس والصحيفة التي أودع البطريق فيها خبرهم، وبلغ الأمر إلى قيصر تاوداسيوس فبعث في طلبهم فوجدهم قد ماتوا، فأمر أن يبنى عليهم كنيسة ويتخذ يوم ظهورهم عيدا. قال المسبحيّ: وكان أصحاب أريوس قد استولوا على الكنائس منذ أربعين سنة فأزالهم عنها ونفاهم وأسقط من عساكره كل من يدين بتلك المقالة. ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، ج 2، دار الفكر، بيروت، 1408 هـ - 1988 م، ص255.

(3) بلال الحبشى: بلال بن عبد الرحمن ابن شُرَيْح بْنِ عُمَرَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ بِلَالِ بْنِ رَبَاحٍ، مُؤَذِّنُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَحَلَ وَجَالَ فِي الْبِلَادِ، وَكَانَ شَيْخًا جَهْوَرِيَّ الصَّوْتِ، حَسَنَ الْقِرَاءَةِ، طَيِّبَ النَّغْمَةِ تُوُفِّيَ في هذه السنة بسمرقند رحمه الله. الدمشقي: البداية والنهاية، ج12، دار الفكر، 1407 هـ/ 1986 م، ص 195.

الله عليه وسلم، وسيدنا كعب بن أبي وطلحة [1] والزبير [2] ومعاوية الكبير ابن أبي سفيان [3] ومعاوية الصغير [4] بن يزيد بن معاوية، وقبر يزيد بن معاوية يرجمونه بالحجارة،

(1) طلحة: هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة ابن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النّضر بن كنانة.ويكنى: أبا محمد. وكان يقال له: طلحة الخير، وطلحة الفيّاض، وطلحة الطّلحات. وليس هو «طلحة الطلحات» الّذي يقال فيه:[وافر]

رحـــم الله أعـــظـــما دفـــنـــوهـــا بسجستان طـــلـــحـــة الطلحات

بل ذلك من «خزاعة». وكان طلحة من المهاجرين الأوّلين، ومن العشرة المسمّين للجنة، وأحد أصحاب الشّورى. ابن قتيبة الدينوري: المعارف، ص 228.

(2) الزبير: هو الزّبير بن العوّام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصيّ بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النّضر بن كنانة. وأمه: صفية بنت عبد المطلب، عمة رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – ويكنى: أبا عبد الله. ابن قتيبة الدينوري: المعارف، ص 219.

(3) معاوية الكبير: يكنى أبا عبد الرحمن. وأسلم عام الفتح، وكتب للنّبيّ – صلّى الله عليه وسلم – وولى الشام لعمر و عثمان عشرين سنة، وولى الخلافة سنة أربعين، وهو ابن اثنتين وستين سنة.وبلغه أن أهل الكوفة قد بايعوا الحسن بن على فسار يريد الكوفة.وسار الحسن يريده. فالتقوا بمسكن من أرض الكوفة فصالح الحسن معاوية وبايع له، ودخل معه الكوفة. ثم انصرف معاوية إلى الشام. واستعمل على الكوفة المغيرة بن شعبة وعلى البصرة عبد الله بن عامر ثم جمعهما لزياد. وهو أول من جمعا له.وولى معاوية الخلافة، عشرين سنة إلا شهرا. وتوفى بدمشق سنة ستين. وهو ابن اثنتين وثمانين سنة.وقال ابن إسحاق:مات وله ثمان وسبعون سنة. وكانت علّته الناقبات يعنى: الدّبيلة. ابن قتيبة الدينوري: المعارف، ص 349.

(4) معاوية الصغير: هو مُعَاوِيَةَ بنِ يَزِيدَ بنِ مُعَاوِيَةَ بنِ أَبِي سُفْيَانَ واسْتُخْلِفَ مُعَاوِيةُ بنُ يَزِيدَ، فَمَكَثَ ثَلاثَةَ أَشْهُرٍ، ويُقَالُ: أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَو نَحْوِها، وتُوفِّى ولَهُ تِسْعَ عَشَرةَ سَنَةً، ويُقَالُ: عِشْرِينَ سَنَةً. وأَخْبَرنا زَاهِرُ بنُ أَحْمَدَ فِيمَا كَتَبَ إلينَا، أَخبرَنا مُحَمَّدُ بنُ اللَّيْثِ الوَرَّاقُ، حدَّثنا مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ المَلِكِ العَبْدِيُّ، حدَّثنا الهَيْثَمُ بنُ عَدِيٍّ، قالَ: ثُمَّ اسْتُخْلِفَ أبو خَالِدٍ يَزِيدُ بنُ مُعَاوِيَةَ بنِ أَبِي سُفْيَانَ لِثَمَانٍ بَقِينَ مِنْ رَجَبَ سَنَةَ سِتِّينَ، وتُوفِّي لأَرْبَعَ عَشَرةَ خَلَتْ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الأَوَّلَ سَنَةَ أَرْبَع وسِتِّينَ، وَهُو ابنُ سِتٍّ وثَلاثِينَ سَنَةً، وكَانَتْ خِلافَتُهُ ثَلاثَ سِنِينَ وتِسْعَةَ أَشْهُرٍ إلَّا سَبْعَةَ أَيَّام. وقِيلَ: بَايَعَ يَزِيدُ لابنهِ مُعَاوِيةَ بنِ يَزِيدَ، فَمَلَكَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثمَّ مَاتَ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ قَالُوا: بَايِعْ لِرَجُلٍ، فَقَالَ: ما أَصَبْتُ مِنْ دُنْيَاكُم فأَتَقَلَّدَ مِنْ مأْثَمِهَا، فَمَاتَ ولَمْ يُبَايِعْ لأَحَدٍ.

وموجود على قبره من الحجارة شيء كثير وهو على الطريق، وولد سيدنا عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق [1]، وأبي عبيدة عامر بن الجراح [2]، ومقام سيدنا زين العابدين [3] في ناحية من المسجد الأموي بقرب موضع رأس الحسين. ومنها قرار الشيخ محي الدين بن

الأصبهاني: المستَخرجُ من كُتب النَّاس للتَّذكرة والمستطرف من أحوال الرِّجال للمعرفة، تحقيق: عامر حسن صبري التَّميميُّ، ج3، وزارة العدل والشئون الإسلامية، البحرين، د.ت، ص 49، 50.

(1) عبد الرحمن بن ابى بكر: عَبْد الرَّحْمَن بْن أبي بَكْر الصديق عَبْد اللَّهِ بن عُثْمَان، أَبُو محمد التيمي، وَيُقَالُ أَبُو عُثْمَان، شقيق أم المؤمنين عائشة. حضر بدرًا مشركًا، ثُمَّ أسلم قبل الفتح وهاجر، وَكَانَ أسن ولد أَبِي بكر، وَكَانَ شجاعًا راميًا، قتلَ يَوْم اليمامة سبعة.رَوَى عن: النبيّ صلى الله عليه وآله وَسَلَّمَ، وَعَن أبيه.وعنه: ابناه عَبْد اللَّهِ، وحَفْصَة، وابن أخيه القاسم بن محمد، وعَبْد الرَّحْمَنِ بن أَبِي ليلي، وأَبُو عُثْمَان النهدي، وعمرو بن أوس الثقفي، وابن أَبِي مُلَيْكة، وجماعة.وَكَانَ يتّجر إِلَى الشَّام. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 4، ص 265.

(2) ابو عبيدة عامر بن الجراح: هو: أبو عبيدة بن عبد الله بن الجرّاح. ونسب إلى جدّه. واسمه: عامر، وهو من بنى الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة». وبنو فهر: هم قريش، ومن فهر تفرّقت قبائلها. وأمه، من: بنى الحارث بن فهر، وقد أسلمت. وتزوجها أبو عبيدة في الإسلام. و الحارث بن فهر من المطيّبين، و أبو عبيدة من عظماء أصحاب رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم. وقال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم –: لكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة: أبو عبيدة بن الجرّاح. وقال أبو بكر الصديق يوم سقيفة بنى ساعدة: رضيت لكم أحد صاحبيّ: أبا عبيدةأو عمر. أمّا أبو عبيدة فسمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: لكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة ابن الجراح. وأمّا عمر، فسمعته يقول: اللّهمّ أيّد هذا الدين بعمر، أو بأبي جهل. ومات أبو عبيدة بالشام في طاعون عمواس. ولا عقب له. ابن قتيبة الدينوري: المعارف، ص 247.

(3) سيدنا زين العابدين: على بن أبى طالب.

العربي [1] والشيخ عبدالغني النابلسي [2]، والشيخ رسلان الدمشقي [3]، وجملة مواضع

(1) محى الدين بن العربى: محمد بن علي بن محمد احمد، الطائي الحاتمي المرسي، محي الدين أبو بكر، ابن العربي نزيل دمشق. ولد عام 560، ذكر انه سمع من اين بشكوال وغيره، وسكن الروم مدة، وكان ذكياً كثير العلم. كتب الإنشاء لبعض الأمراء بالمغرب. ثم تزهد وتعبد، وتفرد وتوحد، وسافر وتجرد، واتهم وانجد، وعمل الخلوات، وعلق شيئاً كثيراً في تصوف أهل الوحدة، ومن أفحشها " الفصوص "، ومن تكلف فيه فهو من المتكلفين. وقد حط عليه ابن عبد السلام. مات سنة ثمان وثلاثين وستمائة. ابن الملقن: طبقات الأولياء، تحقيق: نور الدين شريبه، ط2، مكتبة الخانجي، بالقاهرة، 1415 هـ/ 1994 م، ص 469، 470.

(2) عبد الغنى النابلسى: عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي: شاعر، عالم بالدين والأدب، مكثر من التصنيف، متصوف. ولد عام 1050هـ، ونشأ في دمشق. ورحل إلى بغداد، وعاد إلى. سورية، فتنقل في فلسطين ولبنان، وسافر الى مصر والحجاز، واستقر في دمشق وتوفي بها. له مصنفات كثيرة جدا، منها " الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية " و " وتعطير الأنام في تعبير المنام " و " ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الأحاديث " فهرس لكتب الحديث الستة" و " علم الفلاحة " و " نفحات الأزهار على نسمات الأسحار " و " إيضاح الدلالات في سماع الآلات " و " ذيل نفحة الريحانة " و " حلة الذهب الإبريز، في الرحلة إلى بعلبكّ وبقاع العزيز " و " الحقيقة والمجاز في رحلة الشام ومصر والحجاز " و " قلائد المرجان في عقائد أهل الإيمان " و " جواهر النصوص " و " شرح أنوار التنزيل للبيضاوي " و " كفاية المستفيد في علم التجويد " و " الاقتصاد في النطق بالضاد " و " مناجاة الحكيم ومناغاة القديم " و " خمرة الحان " و " خمرة بابل وغناء البلابل " و " ديوان الحقائق " و " الرحلة الحجازية والرياض الأنسية " و " كنز الحق المبين في أحاديث سيد المرسلين " و " الصلح بين الإخوان في حكم إباحة الدخان " و " شرح المقدمة السنوسية " و " رشحات الأقلام في شرح كفاية الغلام "، و " ديوان الدواوين " و " كشف الستر عن فرضية الوتر " و " لمعات (أو لمعان) الأنوار في المقطوع لهم بالجنة والمقطوع لهم بالنار " و " خمس مجموعات " فيها 32 رسالة، ذكر الزيات أسماءها في " خزائن الكتب " وتوفى عام 1143 هـ. الزركلى: الأعلام، ج4، 42.

(3) رسلان الدمشقى: هو من أكابر مشايخ الشام وأعيان العارفين وانتهت إليه تربية المريدين بالشام، واحترمه العلماء، والمشايخ، وبجلوه، وقصده الزائرون من كل فج عميق، ومن كلامه رضي الله عنه مشاهدة العارف تفيده تمكين التحكيم في الجمع، وبروز التفرقة في الاطلاع لأن العارف واصل إلا أنه ترد عليه أسرار الله تعالى جملة كلية فهو مصطلم بأنوارها مستغرق في بحارها مستهلك في تنزيلها، وكان رضي الله عنه يقول: العارف من جعل الله تعالى في قلبه

فيها الشهداء، من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم ليسوا في موضع واحد بل في مواضع متفرقة، رضي الله عنهم وغفر لنا ولهم ولجميع المسلمين، آمين.

لوحاً منقوشاً بأصرار الموجودات، وبإمداده بأنوار حق اليقين يدرك حقائق تلك السطور على اختلاف أطوارها، ويدرك أسرار الأفعال فلا تتحرك حركة ظاهرة أو باطنة في الملك، والملكوت إلا، ويكشف الله تعالى له عن بصيرة إيمانه، وعين عيانه فيشهدها علماً، وكشفاً وهذا هو الذي يصعد بسره في أكوان الملكوت كالشمس فلا يطلق النظر إليه، وصفته أن يكمل الأعمال بالعلم، والأحوال بالسر، وهو على ثلاثة أقسام حاضر، وغائب، وغريب فالحاضر بلطائف العلم، والغائب بشواهد الحقيقة، والغريب هو من انقطع السبب بينه، وبين من سواه فمن قابله بغير نفسه احترق وحقيقة الغربة سقوط الأين، ومحو الرسم قال تعالى: " ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله " " النساء: 100 " وعلامته أن يكشف له تعالى الأسباب ويرتفع عنه الحجاب ويطلعه الله تعالى على بواطن الأمور كشفاً، وفراسة فبالكشف يدركها جملة وبالفراسة يدركها تفصيلا على أصل الوضع، وحقيقة الرسم فيخاطب الأرواح من حيث، وضعها، ويخاطب الأجسام من حيث تركيبها، ويشير إلى العلم برموز الإشارة، ويفهم كشف العبارة، وكان يقول: الحدة مفتاح كل شر، والغضب يقيمك في مقام ذل الاعتذار، وكان رضي الله عنه يقول: مكارم الأخلاق العفو عند القدرة، والتواضع في الذلة، والعطاء بغير منة، وكان رضي الله عنه يقول: إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً لقدرتك عليه، وكان رضي الله عنه يقول: الكريم من احتمل الأذى، ولم يشك عند البلوى، وكان رضي الله عنه يقول: أحسنه المكارم عفو المقتدر، وجود المفتقر، وكان يقول: سبب الغضب هجوم ما تكرهه النفس عليها ممن هو فوقها فإن الغضب يتحرك من باطن الإنسان إلى ظاهره، والحزن يتحرك من ظاهر الإنسان إلى باطف فيحدث عن الحزن المرض، والأسقام، وعن الغضب السطوة، والانتقام قال الشيخ تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى، وحضرت سماعاً فيه الشيخ رسلان فأنشد القوال شيئاً فكان الشيخ رسلان رضي الله عنه يثب في الهواء، ويدور فيه دورات ثم ينزل إلى الأرض يسيراً يسيراً يفعل ذلك مراراً، والحاضرون يشاهدون فلما استقر على الأرض أسند ظهره إلى شجرة تين في تلك الدار قد يبست، وقطعت الحمل مدة سنين فأورقت، واخضرت، وأينعت، وحملت التين في السنة. سكن رضي الله عنه دمشق، واستوطنها إلى أن مات بها مسناً، ودفن بظاهرها، وقبره ثم يزار، ولما أن حمل نعشه على أعناق الرجال جاءت طيور خضر، وعكفت على نعشه رضي الله عنه. الشَّعْراني: لوافح الأنوار في طبقات الأخيار، ج1، مكتبة محمد المليجي الكتبي وأخيه، مصر، 1315 هـ، ص 130، 131.

والحاصل أن دمشق الشام جنة الدنيا ويصدق فيها قول من قال في وصفها شعراً:

عرج ركابك عن دمشق لأنها بلد تذل لها الأسـود وتخضع

ما بين جابنها وباب بريدها بدر يغيب وألف بدر يطلع [1]

ومن كثرة الهواء لم ترق لنا في الوقت الذي وصلنا فيه، كأنها بلد وخيمة كثيراً، حتى وجدنا من أهل البلد جملة من المرضى. والحر عندهم كشدة البرد عندنا.

ورأينا فيها الكارخانات التي تعمل الطيق [2] الشامي، وكذلك تصفية الحرير وبرمه وكل ذلك بالآلات. وسوق الصوغ في البلد قرب المسجد الأموي ويقصده خلق كثير.

---

(1)) ربما اخذت القصيدة من حديث عن الرسول صلى لله عليه وسلم ولكننا لم نتأكد من صحة الحديث وهو: استيقظ عليه الصلاة والسلام فزعاً . فسألته عائشة رضي الله عنها ما بالك يا رسول الله قال: سُلَّ عامود الإسلام من تحت رأسي فظننت أنه مذهوبٌ به فأتبعته ببصري فإذا هو غرز ببلاد الشام.

ياسـائـلي عـن بـلـد مـا مثلها تعلو السعيد وذو الـشـقـاوة توضع
عـرج ركـابـك عـن دمـشـق لأنهـا بلد مـبـارك بنص الـقـرآن فاسمع
جـــاءت بـتـاريـخ قـديـم بـأنهـا بـلـد تـــزل لهـا الأســـود وتخـضـع
مـا بـين جـابـيـهـا وبـــاب بـريـدهـا قـمـر يـغـيـب وألـــف بـــدر يطلع
قـــال الإلـــه كـنـانـتـي الـشـــام غـــدت ومـــن أراد لهـا بـســوء أقطع
مـا في الـبـلاد مـن الـفـضـائـل رفـعـة إلا وفـيـهـا مـن الأجـــل الأرفـــع
مـا مـن نبي مـن أولي الـعـزم انتشا إلا مـن الـشـام انتشا و المضجع
هـي جـنـة الـدنـيـا بجمع زخـرفـت و الجـاحـد المـغـرور مـــاذا يصنع
ومـــن العريش إلى الـفـرات حـدودهـا و دمشقها كـل الفضائل تجمع
أوصـيـــك إن نـزلـت رحـابـك بـرهـا أن تخدعـنـك إنـاثـهـا والمطمع
فادخلها بالصبر الجميل مصاحبا حسن خلق فالتخلق حصن يمنع
لا تـغـرك زيـنـة تـفـنـى ولا تـأخـذك لـومـة لائـم يـا سـامـع
ثـم الـصـلاة عـلى الـنـبـي محـمـد مـا لاح بـرق في الـديـاج يلمع
وكـذا الصحابة ومـن يلوذ بنهجهم مـا دامـت الشمس تغيب وتطلع

(2) الطيق: فارسيٌّ معرب. والطيقُ: ضربٌ من الثياب. الفارابي: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ج4، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1407 هـ، 1987 م، ص 1519.

والكروسة[1] المقدم ذكرها مصنوع لها طريق في الجبل معوج، في الصعود والهبوط، يتعجب الإنسان في سلوكه من صنعته. وكل يوم تسير مرتين من دمشق وبيروت؛ الصبح واحدة والرايح واحدة. المراد أنها لا تنقطع فهذه ذاهبة وهذه آيبة فتلتقيان في وسط الطريق دائماً، وهما صنع الفرنسيس كانية. الحاصل أنها خدمة كبيرة وتحتاج إلى مغرم كثير، ودائماً يتعهدونها بالخدمة كل يوم. وما يمر أحد في هذه الطريق إلا بدراهم. ومن غير الكروسة هناك جوار جملة تحمل أموالاً جزيلة، بل إنها قد تمكث في الطريق ثلاثة أيام.

وما بين بيروت ودمشق يذكرون قبور أنبياء منهم إلياس[2] وشيث [3] عليهما السلام وهما في ناحية من الطريق، هكذا أخبرونا لأننا مررنا بعيداً عنها، ولم يمكن لنا الوصول إليها لحث أهل الكروسة لا يمكنهم الانتظار، ولأجل ذلك صح لنا مانع، وقرأنا لهم الفاتحة من بعد، ونرجو من الله القبول.

وأذن أهل المسجد الأموي لم نر مثله. وهو أنهم يجتمعون في المنارة ويبتدئ أحدهم بالأذان ويتبعه الباقون على صوت واحد، وتستوي لهم ضجة عظيمة فوق

(1) الكروسة: عبارة عن عربة خشبية تتحرك بواسطة عجلات المدحرجات.

(2) الياس: هو من سبط يوشع بن نون. بعثه الله إلى أهل بعلبكّ، وكانوا يعبدون صنما يقال له: بعل. وملكهم أحب. وامرأته أزبيل. وكان يستخلفها على ملكه إذا غاب، فتحكم بين الناس، وكانت قتّالة للأنبياء، قد قتلت منهم بشرا كثيرا، وهي بنت ملك صيداء، وعمّرت عمرا طويلا، وتزوّجها سبعة من ملوك بنى إسرائيل. وهي التي قتلت يحيى بن زكريا. وقال الله – عز وجل – لإلياس: سلني أعطك. فقال: ترفعني إليك وتؤخر عنى مذاقة الموت. فرفعه الله إليه بعد أن كساه الرّيش، وجعله أرضيّا سماويّا ملكيّا يطير مع الملائكة. ابن قتيبة الدينوري: المعارف، ص 51.

(3) شيث: شيث بن آدم. قال وهب:وكان شيث بن آدم أجمل ولد آدم وأفضلهم، وأشبههم به، وأحبّهم إليه. وكان وصيّ أبيه ووليّ عهده، وهو الّذي ولد البشر كلّهم، وإليه انتهت أنساب الناس. وهو الّذي بنى الكعبة بالطين والحجارة، وكانت هناك خيمة لآدم، وضعها الله له من الجنة. وأنزل الله على شيث بن آدم خمسين صحيفة. وعاش شيث تسعمائة سنة واثنتي عشرة سنة. وولد لشيث: أنوش، وبنون وبنات. وولد لأنوش: قينان.وولد لقينان: مهلاييل. وولد لمهلائيل: اليارد. وولد لليارد: أخنوخ، وهو إدريس – عليه السلام. ابن قتيبة الدينوري: المعارف، ص 20.

المنارة. ويبدءون في التكبير من ستة ساعات من الليل أو الفجر تسمع لهم ضجة، وصلاتهم قبل استيفاء الأذان، وكل فرقة تصلي بإمامها وحدها كصلاة التراويح بمكة جماعات. الحاصل أن لهم أحوالاً مخالفة. وأما التدريس فجملة علماء يدرسون في المسجد ويجتمع خلق كثير في الصلاة وعند الدرس.

ويذكرون بأرض الشام جملة من الفرق المختلفة في المذاهب كلهم يدعون الإسلام، منهم الدروز [1]، والمناولة [2] والنصيرية [3]، والنور، وغيرهم. ولهم عقائد زائغة لم نقف على حقيقتها نسأل الله العافية.

---

(1) الدروز: الدروز فرقة أصلها التشيع لأهل البيت، ثم غلت غلوا فاحشا حتى جعلوا المخلوق الها والعياذ بالله، وصاروا يعبدون المخلوق من دون الله، ومذاهبهم معروفة، قال بعض العلماء: إن الدروز يجب قتلهم بكل حال وإن تابوا، لعظم ذنبهم، فهم من أجل عظم الذنب لا تقبل منهم التوبة. كذلك الزنديق، والزنديق هو المارق عن الدين كله، وقيل: الزنديق هو المنافق، ولعل الزنديق أشد من المنافق؛ لأن المنافق ربما يتصنع للمسلمين ويظهر أنه مسلم، كما هو الشأن في المنافقين في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم. العثيمين: شرح العقيدة السفارينية – الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية، ط1، دار الوطن للنشر، الرياض، 1426 هـ، ص 384، 385.

(2) المنولة: هو لقب من ألقاب طوائف الاثنى عشرية، يطلق في الأعصار الأخيرة على شيعة جبل عامل وبلاد بعلبك وجبل لبنان وهو جمع متوالي إلى اسم فاعل من توالي، مأخوذ من الولاء والموالاة وهي الحب لموالاتهم – فيما يزعمون – أهل البيت وقيل: إنهم سموا بذلك لأنهم كانوا يقولون في حروبهم: مت ولياً لعلي فسمي الواحد منهم متوالياً لذلك. ناصر بن عبد الله بن علي القفاري: أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية، رسالة دكتوراه غير منشورة، ج1، جامعة الامام بن سعود الاسلامية، 1414 هـ، ص 109، 110.

(3) النصيرية فهم أصحاب أبي نصر هبة الله بن أحمد بن محمد الكاتب، وهم أصحاب نُصير. قالوا إن الله تعالى حل في علي ثم الأئمة من ولده، ولذا أطلقوا الألوهية على علي والأئمة. المكي: السيوف المشرقة ومختصر الصواقع المحرقة، مختصر لكتاب (الصواقع المحرقة لإخوان الشياطين والزندقة)، اختصره وشذبه: أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي، تحقيق: الدكتور مجيد الخليفة، ط1، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، القاهرة، 1429 هـ / 2008 م، ص 63، 83.

ثم رجعنا من دمشق يوم رابع من شهر رجب من السنة المذكورة إلى بيروت، وركبنا البحر إلى نبط سعيد. وعدد البلدان من بيروت إلى يافا جملة على البحر منها حيفا [1] وصيدا [2] وعكا[3] وصور[4]، ويذكرون أنه بقرب يافا نبي الله روئيل بن

(1) حيفا: حصن على ساحل بحر الشام قرب يافا، ولم يزل في أيدي المسلمين إلى أن تغلّب عليه كندفرى الذي ملك بيت المقدس في سنة 494، وبقي في أيديهم إلى أن فتحه صلاح الدين يوسف بن أيوب في سنة 573 وخرّبه، وفي تاريخ دمشق: إبراهيم بن محمد بن عبد الرّزّاق أبو طاهر الحافظ الحيفيّ من أهل قصر حيفة، سمع بأطرابلس أبا يوسف عبد السلام بن محمد بن يوسف القزويني وأبا الوفاء سعد بن علي بن محمد بن أحمد النّسوي، وحدث بصور سنة 486، سمع منه غيث ابن علي وأبو الفضل أحمد بن الحسين بن نبت الكاملي، هكذا في كتابه قصر حيفة، بالهاء، وأنا أحسبه المذكور قبله. ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج 2، ص 332.

(2) صيدا: مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال دمشق شرقي صور بينهما ستة فراسخ، قالوا: سمّيت بصيدون بن صدقاء بن كنعان بن حام بن نوح، عليه السلام، قال هشام عن أبيه: إنّما سمّيت صيداء التي بالشام بصيدون بن صدقاء بن كنعان بن حام بن نوح، عليه السلام، وطول صيداء تسع وخمسون درجة وثلث، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وثلثان، وهي في الإقليم الرابع، قال الزجاجي: اشتقاقها من الصّيد، يقال: رجل أصيد وامرأة صيداء وهو ميل في العنق من داء وربّما فعل ذلك الرجل كبرا. ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج 3، ص 437، 438.

(3) عكا: بلد على ساحل بحر الشام من عمل الأردن، وهي من أحسن بلاد الساحل في أيامنا هذه وأعمرها، عكا مدينة حصينة كبيرة الجامع فيه غابة زيتون يقوم بسرجه وزيادة، ولم تكن على هذه الحصانة حتى قدمها ابن طولون وكان قد رأى صور واستدارة الحائط على مينائها فأحب أن يتخذ لعكا مثل ذلك الميناء فجمع صنّاع الكور وعرض عليهم ذلك فقيل له لا يهتدي أحد إلى البناء في الماء في هذا الزمان. ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج 4، ص 143، 144.

(4) صُورُ: هي في الإقليم الرابع، طولها تسع وخمسون درجة وربع، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وثلثان، وهي مدينة مشهورة سكنها خلق من الزهاد والعلماء، وكان من أهلها جماعة من الأئمة، كانت من ثغور المسلمين، وهي مشرفة على بحر الشام داخلة في البحر مثل الكف على الساعد يحيط بها البحر من جميع جوانبها إلّا الرابع الذي منه شروع بابها، وهي حصينة جدّا ركينة لا سبيل

يعقوب [1] مسير ثلاث ساعات عنها. فلما وصلنا نبط سعيد أقمنا فيه أربع عشرة يوماً حابسين أنفسنا نرقب مركب الدولة من اسطنبول ولم يصل في هذه الأيام. وكان سبب ذلك رغبتنا الركوب في مراكب المسلمين.

ورأينا فيها كارخانات تعمل الحديد وآلة مراكب الدخان والكراكات التي تحفر البحر، والمحل الذي يصلحون فيه المراكب، وفيها يصبون الحديد مثل الرصاص، وعندهم آلات تقطع الحديد وتبرمه وتسحله مثل الشمع ليس مثل الخشب بل الخشب أقوى منه وهو بارد بلا إدخال النار. تكفي حكمتهم. ولا تسمع له حساً وقت القطع. وشيء من الآلات تطرق الحديد وتشرخ الأخشاب وتقطعه للنجار، وهي تعمل بالنار. وهذه الكرخانات للفرنسيس.

ثم صعدنا المنارة التي فيها الفانوس وهي صب وفي بطنها سلم حديد، وطولها مائتان وتسعة وثمانون درجة، وفي الخارج خمس درجات مائتان وأربع وتسعون درجة. وفي أعلاها الفانوس الدوار طول الليل يدور ويشعل مثل الكوكب له لمخعان بخلاف باقي الفوانيس التي تدور مثل الساعات. ويشعلونه من أسفل المنارة بالأدوات وكله بالنار. وفيها سلك من أعلاها إلى أسفلها يكلمون بعضهم بعضاً بالسلك.

رجعنا إلى ذكر ملوك الشام. أولهم معاوية بن أبى سفيان، تولى عشرين سنة، وتوفي ودفن بدمشق. ثم تولى بعد ولده يزيد بن معاوية، تولى ثلاث سنين وتوفي، ودفن بدمشق. ثم تولى من بعده معاوية بن يزيد وتولى أربعين يوماً، وتوفي ودفن

إليها إلّا بالخذلان. معجم البلدان، ج 4، ص 434.

(1) روئيل بن يعقوب: هو روبيل بن يعقوب، كان أكبر أبناء يعقوب، وأمه هى ليا ابنة لبان بن بتويل بن إلياس. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج1، 317.

بدمشق. ثم مروان بن الحكم [1] ، فعبد الملك بن مروان [2] وتولى نيفاً وعشرين سنة، وتوفي ودفن بدمشق. وخلفه من بعده الوليد بن عبد الملك بن مروان [3]، ومات ودفن بدمشق. ثم من بعده عمر بن عبد العزيز [4]، ومات ودفن بدمشق. رجعلنا إلى

(1) مروان بن الحكم: هو مروان بن الحكم ابن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النّضر بن كنانة. وكان «مروان» ولد لسنتين خلتا من الهجرة. وقبض رسول الله – صلّى الله عليه وسلم – وهو ابن ثمان سنين. وكان مروان يكنى أبا عبد الملك. وأبوه الحكم بن أبى العاص كان طريد رسول الله – صلّى الله عليه وسلم – وأسلم يوم فتح مكة. ومات في خلافة عثمان وكان سبب طرد رسول الله – صلّى الله عليه وسلم – إيّاه: أنه كان يفشي سرّه، فلعنه وسيّره إلى بطن وجّ، فلم يزل طريدا، حياة النبي – صلّى الله عليه وسلم – وخلافة أبى بكر و عمر، ثم أدخله عثمان وأعطاه مائة ألف درهم. وكانت ولاية «مروان» عشرة أشهر. ومات بالشام سنة خمس وستين، وهو ابن ثلاث وستين سنة. فولد مروان: عبد الملك: ومعاوية، وأم عمرو، وعبيد الله، وأبانا، وداود، وعبد العزيز، وعبد الرحمن، وأم عثمان، وعمرا، وأم عمرو، وبشرا، ومحمدا. ابن قتيبة الدينوري: المعارف، ص 353.

(2) عبد الملك بن مروان: يكنى: أبا الوليد، ويلقّب: رشح الحجر، لبخله. ويكنى: أبا ذبّان لبخره. وكان معاوية جعله مكان زيد بن ثابت على ديوان المدينة، وهو ابن ست عشرة سنة. وولّاه أبوه مروان. ثم جعله الخليفة بعده. وكانت خلافته بعد أبيه سنة خمس وستين. ابن قتيبة الدينوري: المعارف، ص 355.

(3) الوليد بن عبد الملك: يكنى: أبا العباس. وولى الخلافة بعد أبيه. وكان خبيث الولاية. ولى سنة ست وثمانين. وفي سنة ثمان وثمانين كان فتح الطّوانة – من أرض الروم – فتحها مسلمة أخوه. وفيها بنى مسجد دمشق، واستعمل الوليدعمر بن عبد العزيز على المدينة سبع سنين، وخمسة أشهر. وتوفى الحجّاج في خلافته بواسط، في شهر رمضان سنة خمس وتسعين، وقد بلغ من السن ثلاثا وخمسين سنة. واستخلف ابنه عبد الملك بن الحجاج على الصلاة، و يزيد بن أبى مسلم على الخراج. فلما انتهى موت الحجاج إلى الوليد بعث يزيد بن أبى كبشة على الصلاة.

وتوفى الوليد بن عبد الملك بدمشق، سنة ست وسبعين، وقد بلغ من العمر ثمانيا وأربعين سنة. وكانت ولايته تسع سنين، وثمانية أشهر. ابن قتيبة الدينوري: المعارف، ص 355.

(4) عمر بن عبد العزيز:يكنى: أبا حفص، وهو أشجّ بنى أمية، ضربته دابة في وجهه، وكان عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – يقول: إن من ولدى رجلا بوجهه أثر يملأ الأرض عدلا. فولى بعد

ذكر البحيرة.

ورأينا بحيرة من المنارة وهي بين نبط سعيد ودمياط. وهذه البحيرة عليها جملة بلدان يسير الإنسان لها أياماً، وبحرها أقل من قامة الإنسان لا تسافر فيه غير السفن الصغار وليس لهن هيارب من أسفلهن ألواح وفيها آية من الصيد والطير، شيء كثير. ويذكرون أنها مؤجرة في كل سنة بستين ألف جني طبع مصر، من خمسة ريالات إلى ثلاثة لكل ريال، مدخولها لإسماعيل باشا وإلى مصر طرق من البحر الكبير.

ودمياط بدل يسير إليها القاصد من نبط سعيد في البحيرة والمسافة بينهما وضح. ويسير لها كذلك من البحر الكبير ومن مصر في جاري الدخان، هكذا أخبرونا، والله أعلم.

ثم سافرنا من نبط سعيد إلى الإسماعيلية في ماشوة الدخان الكبيرة يسمونه مركب البوسطة، وكان سفرنا في البحر الجديد، وأخذنا في البحر ست ساعات تزيد وتنقص. ثم مشينا في الأماكن التي رسونا بها من أجل الماء وراحة الركاب وقضاء حوائجهم، ورسونا في مكانين، والبحر الجديد في بعض الأماكن لا يتسع إلا لمرور مركب واحد لا زيادة. وبعض الأماكن متسع حد النظر، وهو في وسطه أوسع، وفي طرفيه أضيق، وإذا رميت حجراً يصل الجانب الآخر من غير تكلف، الحاصل أن الاتساع بقدر مرور مركب واحد. وهناك كراكات تحفر في هذا البحر وهم دائما في شغل، يتوقفون للحفر حيث يشاءون، ويعزلون الرمل وحده والحجر وحده. وإذا أراد مركب أن يمر في هذا المكان الضيق يعطي خبراً في تلغراف لئلا يقدم عليه مركب آخر من الجهة الأخرى ويصير التصادم.

والسلك مساير البحر الجديد والمكان المتسع أصله نازل، ولما قطعوه من الطرفين

سليمان بن عبد الملك عمر، بعهده إليه. فعزل يزيد بن المهلّب، و صالح بن عبد الرحمن عن العراق، واستعمل على الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، وعلى البصرة عدي ابن أرطاة الفزاري.وتوفى بدير سمعان من أرض حمص، سنة إحدى ومائة، وهو ابن تسع وثلاثين سنة. فولد عمر بن عبد العزيز أربعة عشر ذكرا، منهم: عبد الملك بن عمر ابن عبد العزيز ومنهم: عبد الله بن عمر. ابن قتيبة الدينوري: المعارف، ص 355.

امتلأ بحراً فصار بحراً واسعاً، وبنى الفلاحون والصيادون على شواطئه جميعها. ومررنا على البحيرة المتقدم ذكرها ورأينا فيها آية من الطير، شيء لا يحصى ولا يعد، منه على الماء ومنه في السماء، لأن البحر الحديد يمر بقربها.

ومن الإسماعيلية ركبنا في بابور الدخان البري إلى السويس، وفي يومنا وصلنا السويس صلاة العتمة، لأننا مكثنا بالإسماعيلية من هذا السبب. والعجب في خدمة الكراكات حكمة بالغة لا توصف، وهي أشكال كثيرة ليست واحدة تشبه الأخرى؛ منها التي تحفر البحر من وسطه وتأتيها أخرى تحمل الطين وتلقيه في محل آخر، ومنها تحفر طوب البحر وترمى الطين بالآلة بعيداً عن البحر والآلة في نفس الكراكة. الحاصل أنها حكمة بالغة ولهن آلات كثيرة، وعمال كثر لمقابلة الشغل، وهي في أماكن كثيرة.

ويوم ثاني سافرنا من السويس في مركب إسماعيل باشا، وهو دخان اسمه الحديدة واسم قبطانه حافظ، وطاقمه كلهم أخيار كما ينبغي، فوصلنا بندر جدة يوم حادي والجمعة من شهر شعبان في ثماي ساعات من النهار ثم منها إلى مكة المشرفة. وبلغنا عن السلطان عبد العزيز خان [1] أن في دولته العثمانية [2] عساكر كثيرون، من ذلك قول

(1) السلطان عبد العزيز خان: الْمَوْلُود فِي 14 شعْبَان سنة 1245 8 فبراير سنة 1830 وَفِي 18 ذِي الْحجَّة سنة 1277 7 يونيه سنة 1861 توجه فِي موكب حافل إِلَى ضريح سَيِّدي ابي ايوب الانصاري وَهُنَاكَ تقلد السَّيْف السلطاني على مَا جرت بِهِ الْعَادة وَمِنْه سَار لزيارة قبر السُّلْطَان الْغَازِي مُحَمَّد الثَّانِي فاتح الاستانة ثمَّ قبر وَالِده السُّلْطَان مَحْمُود الثَّانِي رَحِمهم الله جَمِيعًا وَكَانَت فَاتِحَة اعماله انه اقر الوزراء فِي مراكزهم مَا عدا نَاظر الجهادية رضَا باشا فانه ابدل بنامق باشا. محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1401 / 1981، ص 530.

(2) الدولة العثمانية: بالتركية العثمانية :دَوْلَتِ عَلِيّهٔ عُثمَانِيّه؛ بالتركية الحديثة-Yüce Osmanlı Dev: (letiهي إمبراطورية إسلامية أسسها عثمان الأول بن أرطغرل، واستمرت قائمة لما يقرب من 600 سنة، وبالتحديد منذ حوالي 27 يوليو سنة1299 م حتى 29 أكتوبر سنة1923 م .بلغت الدولة العثمانية ذروة مجدها وقوتها خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، فامتدت أراضيها لتشمل أنحاء واسعة من قارات العالم القديم الثلاثة :أوروبا وآسيا وأفريقيا، حيث خضعت لها كامل آسيا الصغرى وأجزاء كبيرة من جنوب شرق أوروبا، وغربي آسيا، وشمالي أفريقيا[5]. وصل عدد الولايات العثمانية إلى 29 ولاية، وكان للدولة سيادة اسمية على عدد من الدول

أنهم خمسة وعشرون لكاً، وقول ثمانية وعشرون لكاً. وقد رأينا خارج مدينة دمشق الشام خيام العساكر وأخبرونا في ذلك المحل عن عدد أقل يبلغون خمسة عشر ألف عسكري. وكل سنة يعملون قرعة في كل بلد من بلدانهم خلاف الحرمين والذي تخرج عليه القرعة يدخلونه في العسكرة إلى ست سنين، وبعد ذلك يكون رديفاً، وهو أن يرخصوا له يخدم على نفسه في بلده أو غيرها إلى وقت الحاجة المهمة، ودائماً هكذا كل سنة. وبهذا السبب كثرت عساكرهم في سائر ممالكهم. نسأل الله أن ينصر دولة المسلمين.

وبلغنا أنه لما سافر إسماعيل باشا وإلى مصر إلى اسطنبول لمواجهة السلطان أهداه ميلوني جنيه مصري من خمسة ريال عن عشرة مليون ريال غير الذي أهداه لأرباب

والإمارات المجاورة في أوروبا، التي أضحى بعضها يُشكل جزءًا فعليًا من الدولة مع مرور الزمن، بينما حصل بعضها الآخر على نوع من الاستقلال الذاتي. كان للدولة العثمانية سيادة على بضعة دول بعيدة كذلك الأمر، إما بحكم كونها دولاً إسلامية تتبع شرعًا سلطان آل عثمان كونه يحمل لقب» أمير المؤمنين «و«خليفة المسلمين«، كما في حالة سلطنة آتشيه السومطرية التي أعلنت ولاءها للسلطان في سنة1565 م؛ أو عن طريق استحواذها عليها لفترة مؤقتة، كما في حالة جزيرة "أنزاروت" في المحيط الأطلسي، والتي فتحها العثمانيون سنة1585 م.أضحت الدولة العثمانية في عهد السلطان سليمان الأول "القانوني) «حكم منذ عام1520 م حتى عام1566 م(، قوّة عظمى من الناحيتين السياسية والعسكرية، وأصبحت عاصمتها القسطنطينية تلعب دور صلة الوصل بين العالمين الأوروبي المسيحي والشرقي الإسلامي، وبعد انتهاء عهد السلطان سالف الذكر، الذي يُعتبر عصر الدولة العثمانية الذهبي، أصيبت الدولة بالضعف والتفسخ وأخذت تفقد ممتلكاتها شيئًا فشيئًا، على الرغم من أنها عرفت فترات من الانتعاش والإصلاح إلا أنها لم تكن كافية لإعادتها إلى وضعها السابق. انتهت الدولة العثمانية بصفتها السياسية بتاريخ 1 نوفمبر سنة 1922م، وأزيلت بوصفها دولة قائمة بحكم القانون في 24 يوليو سنة1923 م، بعد توقيعها على معاهدة لوزان، وزالت نهائيًا في 29 أكتوبر من نفس السنة عند قيام الجمهورية التركية، التي تعتبر حاليًا الوريث الشرعي للدولة العثمانية .عُرفت الدولة العثمانية بأسماء مختلفة في اللغة العربية، لعلّ أبرزها هو» الدولة العليّة «وهو اختصار لاسمها الرسمي» الدولة العليّة العثمانية«، كذلك كان يُطلق عليها محليًا في العديد من الدول العربية، وخصوصًا بلاد الشام ومصر، »الدولة العثمليّة«، اشتقاقًا من كلمة» عثملى «Osmanlı – التركية، التي تعني "عثماني". ومن الأسماء الأخرى التي أضيفت للأسماء العربية نقلاً من تلك الأوروبية» :الإمبراطورية العثمانية) «بالتركيةOsmanlı : (İmparatorluğu، كذلك يُطلق البعض عليها تسمية» السلطنة العثمانية«، و«دولة آل عثمان.»

الدولة، ومن السلاح ثمانين نفراً من الشكل الجديد، وصارت له وجاهة عظيمة، ورجع إلى مصر. وكان سفره من اسطنبول في الساعة الثامنة من الليل بلا علم من السلطان، وبعد سفره عزل الصدر الأعظم بسبب ذلك، كيف تركه يسافر وهو عنده علم بذلك، وربما كان في نفس السلطان شيء على إسماعيل باشا، وولوا مكانه مدحت باشا [1] الذي كان والياً في بغداد [2] ثم عزل ثم ولوا مكانه غيره، والله أعلم.

(1) مدحت باشا: مدحت باشا (أو أحمد مدحت) ابن حاجي حافظ أشرف أفندي: أبو الأحرار، العثماني. ظهر أنه كان يحسن العربية وربما قال بها الشعر. ولد في إسطنبول عام 1822م وكان أبوه قاضيا، وسماه (محمد شفيق) وغلب عليه اسم (أحمد مدحت) ثم (مدحت) وتعلم العربية والفارسية وتقلب في الوظائف حتى كان واليا على الدانوب (الطونة) وقضى على ثورات البلغار بشجاعة. ثم انتقل الى الأستانة، رئيسا لمجلس شورى الدولة. عين واليا على بغداد (1286 – 1288) ودعي الى الأستانة معزولا، فما لبث أن تولى منصب الصدارة العظمى. وأصدر الدستور (العثماني) في أواخر 1293 هـ (1876 م) ولم تتفق وجهتا نظره ونظر السلطان عبد الحميد في سياسة الدولة فجرد من الوزارة وضيق عليه فسافر إلى اوربا واستقر مدة في لندن الى ان صدر أمر بتعيينه واليا على الشام فقيل: أنشأ فيها جمعيات علمية وأدبية.ونُقل منها إلى إزمير، حيث اعتقل وحوكم متهما بالمشاركة في قتل السلطان عبد العَزِيز (1293 هـ/ 1876 م) وحكم عليه بالإعدام. ثم اكتفى السلطان بنفيه الى قلعة الطائف بالحجاز. وتوفى عام 1883م. الزركلي: الأعلام، ج7، ص 195، 196.

(2) بغداد: سميت مدينة السلام لأن السلام هو الله فأرادوا مدينة الله، وأما طولها فذكر بطلميوس في كتاب الملحمة المنسوب إليه أن مدينة بغداد طولها خمس وسبعون درجة وعرضها أربع وثلاثون درجة داخلة في الإقليم الرابع، وقال أبو عون وغيره: إنها في الإقليم الثالث. كان أول من مصّرها وجعلها مدينة المنصور بالله أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي ابن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ثاني الخلفاء، وانتقل إليها من الهاشمية، وهي مدينة كان قد اختطّها أخوه أبو العباس السّفّاح قرب الكوفة وشرع في عمارتها سنة 145 ونزلها سنة 149، وكان سبب عمارتها أن أهل الكوفة كانوا يفسدون جنده فبلغه ذلك من فعلهم، فانتقل عنهم يرتاد موضعا، وقال ابن عيّاش: بعث المنصور روّادا وهو بالهاشمية يرتادون له موضعا يبني فيه مدينة ويكون الموضع واسطا رافقا بالعامة والجند، فنعت له موضع قريب من ارمّا، وذكر له غذاؤه وطيب هوائه، فخرج إليه بنفسه حتى نظر إليه وبات فيه، فرأى موضعا طيبا فقال لجماعة، منهم سليمان بن مجالد وأبو أيوب المرزباني وعبد الملك بن حميد الكاتب: ما رأيكم في هذا الموضع؟ قالوا: طيب موافق، فقال: صدقتم ولكن لا مرفق فيه للرعية، وقد مررت في طريقي بموضع تجلب إليه الميرة والامتعة في

ومن أرد التوجه إلى مصر يأخذ معه البتنوا لأجل كراء البوابير وخرجه. وفي القدس الشريف يأخذ معه ريالات مجيدية بيضاء، والزلط سائر بجده ومكة لخرجه. والذهب كله يخسر. وريال الفرنسة والمجيدي بينهما فرق عشرين ديواني لا زيادة، ليعلم الواقف على ذلك.

البرّ والبحر وأنا راجع إليه وبائت فيه، فإن اجتمع لي ما أريد من طيب الليل فهو موافق لما أريده لي وللناس، قال: فأتى موضع بغداد وعبر موضع قصر السلام ثم صلى العصر، وذلك في صيف وحرّ شديد، وكان في ذلك الموضع بيعة فبات أطيب مبيت وأقام يومه فلم ير إلا خيرا فقال: هذا موضع صالح للبناء، فإن المادة تأتيه من الفرات ودجلة وجماعة الأنهار، ولا يحمل الجند والرعية إلا مثله، فخطّ البناء وقدّر المدينة ووضع أول لبنة بيده فقال: بسم الله والحمد لله والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين. ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج1، ص 457، 458.

الباب الرابع

فيما يتعلق بنول البوابير وشروطها وكراء الدواب لتحصل به الفائدة للمتأمل

نول بابور البحر من جدة إلى السويس أول لمبر عشرون ريالاً للنفر وثاني لمبر خمسة عشر ريال وثالث لمر عشرة ريالات، وأكلهم على أنفسهم. ومدة السير من جدة إلى السويس أربعة أيام، ومن السويس إلى مصر في بابور أول لمبر جني ونصف، وثاني لمبر جني واحد، وثالث لمبر نصف جني. والمسافة من السويس إلى مصر ست ساعات وعشرون دقيقة. ومن مصر إلى مغاغة في بابور البر أول لمبر جني إلا ربعاً، وثالث لمبر نصف جني، والمسافة خمس ساعات وخمس دقائق، الذي هو مشي البابور غير مدة الإقامات.

وركبنا الخيل من مغاغة إلى بهنسا من غير كراء ومن مصر إلى الإسكندرية في بابور البر، أول لمبر جني ونصف، وثاني لمبر جني إلا ربعاً والثالث نصف جني، ومسافتها ثمان ساعات إلى خمس دقائق. ومن إسكندرية إلى يافا في بابور البحر، أول لمبر ستة جني، وثاني لمبر جني واحد، والمسافة ليلتان. ومن أراد التدقيق فليطالع الكتاب في محله.

ومن يافا إلى بيت المقدس براً على الدواب بكراء كل دابة ريالان إلا ربعاً، والمسافة اثنتا عشرة ساعة وربع. ومن بيت المقدس إلى الخليل ثم إلى يافا كراء كل دابة ثلاثة ريالات مع بعض المزارات، ومن يافا إلى بيروت في بابور البحر أول لمبر أربعة جني، وثاني لمبر جنيان، وثالث لمبر نصف جني. والمسافة من يافا إلى بيروت ساعة ونصف، ومن بيروت إلى دمشق الشام براً في الكروسة وهي العربية نوال كل نفر

جني، والمسافة ثلاث عشرة ساعة إلا ثلثا.

ومن بيروت إلى نبط سعيد في بابور البحر، أول لمبر ثمانية جني، ثاني لمبر أربعة جني إلا ربعاً، ثالث لمبر جني واحد. ومن نبط سعيد إلى الإسماعيلية ساعة في البحر الجديد في بابور البوسطة، أول لبمر جني، وثاني لمبر نصف جني. ومن الإسماعيلية إلى السويس في بابور البر، أول لمبر جني إلا ربعاً، والثالث جني إلا ربعاً، والجني المذكور عن أربعة ريالات وربع.

وشروط بوابير البحر المذكور الأول أن يكون الركاب قد دفعوا للضابطية ولدار الصحة ولدار الجمرك الرسومات المحدودة بقوانين ونظم البلد المسافر منها والمتوجه إليها. فقوله الضابطية يعني دار الحكومة، وقوله دار الصحة يعني دار الكرنتين، والجمرك هو موضع المعشر بحيث يكون مخلص نفسه. الثاني من الشروط أن يبروا ويعطوا هذه التذكرة إلى القبطان عند نزولهم من البابور ويسلموها إليه عند خروجهم منه.

والثالث أن يحضروا إلى البابور مع عيشهم قبل الوقت المعين لقيامه بساعة، ومن غاب وتأخر عن ذلك الوقت وقام البابور وتركه لا يمكن له أن يطالب بالأجرة، إنما يكون له أن ينزل بالبابور الذي يعقب البابور الذي تركه بحيث يكون ملزوماً أن يخبر محل التوكيل سريعاً، ولا ترد له الأجرة مطلقاً. وإذا تأخر قيام البابور عن الوقت الذي تعين لسفره لا يكون لأحد حق في طلب بدل ضرر نظير ذلك التأخير.

الشرط الرابع الحذر أن يحمل أحد من الركاب أمولاً مهربة أو مكاتيب أو مظروفات أو ما أشبه ذلك، سواء كان وسط عفشهم أو على أبدانهم. وكل من ارتكب شيئا من هذه المخالفات فإنه يدفع عن كل مكتوب أو مظروف عشرين قرشاً تعريفه، ويدفع نولاً مضاعفاً عن الأشياء ذات القيمة ضعف ما في التعريف. كذلك لا يسوغ للركاب أن يضعوا داخل عفشهم بضائع أو شيئاً ثميناً كالتحف والمجوهرات والحلي ونحو ذلك. لا يرخص للركاب خلاف ما هو مخصوص لذاتهم وإذا ظهر أن شيئاً مما

ذكر مهربة داخل عفشهم تؤخذ منهم أجرتها مضاعفة.

الشرط الخامس العفش المرخص لكل راكب للدرجة الأولى خمسة قناطير، وللثانية ثلاثة قناطير، والثالثة قنطاران، وما زاد عن هذا المقدار يدفع عليه نولين باعتبار أجرة البضاعة والدرجة التي يكون بها. ويكون بيساتهم مع من يرفقهم، وإذا طلبوا قرشاً تماماً للولد الصغير فأنه يدفع النول بالتمام، ويمكن على الولدين الصغيرين أن يأخذوا قرشاً واحداً، والأطفال الذين من سن سنتين لا يؤخذ عنهم أجرة أبداً.

السادس أكل ركاب الدرجة الثالثة من عندهم، وركاب الدرجة الأولى والثانية يأكلون من اللوكانتة المصلحة وهي موضع الأكل.

السابع من الشروط أن لا تضمن البوسطة عفش الركاب من الضياع إلا إذا سلمه للوكيل وأخذ منه بوليصة [1] يتعين بها قيمته.

ولا تضمن أيضاً النقود والحلي والمجوهرات التي تكون ضمن عفش الركاب فلأجل اطمئنانهم يجرون تسليمه عند نزولهم البابور إلى الضابط الموكل بأمور الركاب ويعيطهم بها سلمه. ومشروط أن النقود التي يحملها كل مسافر لا تزيد عن خمسمائة ريال، وأما الحجاج ركاب الدرجة الأولى أربعمائة ريال والدرجة الثانية مائتا ريال، والحجاج حدهم أن يحملوا ألف ريال، ومازاد عن ذلك يدفع عليه أجرة باعتبار واحد على ريال، واثنين على المائة إذا صار إخفاؤه واستكشف عليه.

الشرط الثامن، أنه ممنوع كلياً حمل أسلحة نارية أو جارحة أو باروت أو رصاص

(1) بوليصة: كلمة ايطالية مأخوذة من پوليتزه، وتعنى وثيقة، وأنواعها: بوليصة التَّأمين: بيان يعطي لصاحبه الحق في طلب التعويض أو صرفه من شركة التأمين.بوليصة الشَّحن: السَّند أو الإيصال الذي يتسلّمه صاحب البضائع الجاهزة للشحن من الشركة التي تنقل هذه البضائع. محمد رواس قلعجي و حامد صادق قنيبي: معجم لغة الفقهاء، ط2، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، 1408 هـ/ 1988 م، ص 20 ؛ أحمد مختار عبد الحميد عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة ج1، ص 256.

أو مواد قابلة للإحراق والفرقعة، ومن كان معه شيء فملزوم أن يخبر القبطان قبل نزوله البابور وتسليمه له حالاً، وعند خروجه يرده عليه، وإلا فلا سبيل لدخوله في البابور.

الشرط التاسع، كل راكب ملزوم بأن يتبع الأصول. والأنظمة الموضوعة للبابور معلقة بالقمرة الكبيرة، وبسائر البابور، من خالفها عادت عليه العواقب. ومن الممنوع ترك الكلاب والحيوانات الأليفة مطلقة في القمرات أو غيرها بل يصير ربطها في البروة، وأصحابها يدفعون نولها عند نزولها. وكذلك بوابير البرليس فيها مراجعة في الدراهم بعد قبضهم إياها كما قدمنا ذكر ذلك. والكراء بحسب أقوالهم ليس فيه مراجعة في النقص، وإن أعطيت الكراء أعطوك ورقة بالشروط. والبوابير المذكورة هي مراكب الدخان وجواري الدخان. والجني المذكور عن أربعة ريالات وربع فضة.

الباب الخامس

في ذكر مزارات قبور الأنبياء عليهم السلام والصحابة والأولياء وغيرهم ممن تقدم ذكرهم في الكتاب

(نعيد ذكر المزارات هنا) ليسهل على من طالعه واحتاج إليه، أما مزارات الأنبياء عليهم السلام فأما أولاد النبي الطاهر والطيب بالطائف وأما حواء عليها السلام بجدة، ونبي الله دانيال عليه السلام بالإسكندرية وكذلك ذو القرنين، ونبي الله صالح عليه السلام وأربعون من قومه بالرملة وهي بين بيت المقدس ويافا، ونبي الله روئيل عليه السلام بقرب يافا مسير ثلاث ساعات، عنها والسيدة مريم بنت عمران عليها السلام ما بين جبل الزيتون وحرم بيت المقدس، ونبي الله سليمان بن داود عليهما السلام ببيت المقدس مختلف في قبره، قيل إنه محل كرسيه هناك، وقيل عند قبر أبيه داود عليه السلام، وقيل في القبة قرب الصخرة، وهذه الأقوال كلها في بيت المقدس خارج عن البلد مقدار ساعة إلا ربعاً، وكهفه قرب قبره الذي كان يتعبد فيه أو كان سكنه فالله تعالى أعلم. وسيدنا موسى الكليم [1] عليه السلام قبره ببيت المقدس بعيداً عن البلد بأربع ساعات ونصف إلى خمس ساعات، والراعي الذي كان

(1) موسى الكليم: هو موسى بن عمران بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم. ولم يكن بين آل يعقوب وأيوب نبيّ، حتى كان موسى. وكان موسى عليه السلام آدم جعدا طوالا، كأنه من رجال شنوءة وعلى طرف لسانه شامة، ولا يعرف أحد، قبله ولا بعده، كانت على طرف لسانه شامة غيره، وهي العقدة التي ذكرها. ابن قتيبة الدينوري: المعارف، ص 43.

يرعى له الغنم قربه بناحية عنه، وأولاد نبي الله هارون [1] عليه السلام في باطن مسجد بيت المقدس، والخليل راحيل يعقوب عليهما السلام بقرب بيت المقدس، ونبي الله إبراهيم عليه السلام وزوجته سارة والنبي يعقوب عليهم السلام وزوجته لايقة، والنبي يوسف الصديق عليه السلام الجميع في مدينة الخليل من أرض المقدس في محل واحد في غار تحت المسجد. ونبي الله لوط عليه السلام بعيداً عن مدينة الخليل بقدر ساعة وربع، وأما نبي الله العيص عليه السلام بعده مقدار ساعة ونصف عن مدينة الخليل، ونبي الله نوح عليه السلام بينه وبين الخليل والرملة وقيل هو محل قبره في غار تحت المسجد، ويد سيدنا يحي عليه السلام ابن زكريا في بيروت، ورأسه بدمشق الشام في المسجد الأموي، ومقام النبي هود عليه السلام وقيل قبره ومعه سبعون نبياً عليهم الصلاة والسلام تحت مسجد في غار بدمشق الشام، وفي المسجد المذكور موضع قيل أنه مقام نبي الله الخضر عليه السلام، ونبي الله ذو الكفل عليه السلام في محل يقال له الصالحية بدمشق الشام ومعه جملة من الأنبياء لم نعرف أسماءهم، عليهم الصلاة والسلام. ويوجد ما بين بيروت ودمشق سيدنا إلياس ونبي الله شيث عليهما السلام.

وأما ذكر الصحابة رضي الله عنهم فسيدنا عبدالله بن العباس بالطائف ومحمد بن الحنفية وهو ابن علي بن أبي طالب بالطائف وسيدنا زيد بن ثابت بالطائف ومعه اثني عشر من الصحابة الشهداء بالطائف، والسيدة خديجة الكبرى[2] أم

(1) هارون: هو هارون بن عمران بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم. وكان هارون أطول من موسى وأكنز لحما، وأبيض جسما، وأغلظ ألواحا، وأسنّ من موسى بثلاث سنين. وكانت في جبهة هارون شامة. وقارون، هو ابن صافر بن قاهث بن لاوى، وهو ابن عمّ: موسى بن عمران، عليه السلام.وقبض هارون، وهو ابن مائة سنة وسبع عشرة سنة. ابن قتيبة الدينوري: المعارف، ص 43، 44.

(2) خديجة الكبرى: وَهِيَ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيٍّ الْأَسَدِيَّةُ. قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: كَانَتْ تُدْعَى فِي الْجَاهِلِيَّةِ الطَّاهِرَةَ، وَأُمُّهَا فَاطِمَةُ بِنْتُ زَائِدَةَ بْنِ الْأَصَمِّ الْعَامِرِيَّةُ. وَكَانَتْ خَدِيجَةُ تَحْتَ أَبِي هَالَةَ بْنِ زُرَارَةَ التَّمِيمِيِّ، وَاخْتُلِفَ فِي اسْمِ أَبِي هَالَةَ، ثُمَّ خَلَفَ عَلَيْهَا بَعْدَهُ عَتِيقُ

المؤمنين بمكة، وسيدنا عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق بمكة بالمعلا [1]، وسيدنا عبدالله بن الزبير بن العوام [2] بمكة بالمعلا، وسيدنا عبدالله بن عمر بن الخطاب [3] بمكة وسيدنا العباس ابن مرداس السلمي[4] بمكة وسيدنا عتاب بن أسيد [5]

بْنُ عَائِذِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُوم، ثُمَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: بَلْ تَزَوَّجَهَا أَبُو هَالَةَ بَعْدَ عَتِيقٍ. وَكَانَتْ وَزِيرَةً صِدْقٍ عَلَى الْإِسْلَام. وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: تُوُفِّيَتْ خَدِيجَةُ قَبْلَ أَنْ تُفْرَضَ الصَّلَاةُ، وَقِيلَ: كَانَ مَوْتُهَا فِي رَمَضَانَ، وَدُفِنَتْ بِالْحَجُونِ، وَقِيلَ: إِنَّهَا عَاشَتْ خَمْسًا وَسِتِّينَ سَنَةً.وَقَالَ الزُّبَيْرُ: تَزَوَّجَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَهَا أَرْبَعُونَ سَنَةً، وَأَقَامَتْ مَعَهُ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج1، ص 237.

(1) المعلا: موضع بين مكة وبدر بينه وبين بدر الأثيل. والمعلاة: من قرى الخرج باليمامة.ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج5، ص158.

(2)) عبد الله بن الزبير بن العوام: كان يكنى: أبا بكر، وأبا خبيب. ولد بعد الهجرة بعشرين شهرا. هذا قول الواقدي. وقال أبو اليقظان: هو أوّل مولود ولد بالمدينة في الإسلام. وبنى الكعبة وجعل لها بابين. وطلب الخلافة فظفر بالحجاز والعراق واليمن ومصر، فمكث كذلك تسع سنين. فسار إليه «الحجّاج» فحاصره بمكة، ثم أصابته رمية فمات منها وقتل وهو ابن ثلاث وستين سنة. وصلب حيث أصيب.فولد عبد الله حمزة، وخبيبا، وثابتا، وموسى، وعبّادا، وقيسا، وعامرا، وعبد الله. ابن قتيبة الدينورى: المعارف، ص 224: 226.

(3) عبد الله بن عمر: هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب،أسلم بمكة مع أبيه وهو صغير قبل أن يبلغ، وهاجر مع أبيه، وشهد غزوة الخندق وما بعدها، وحضر يوم القادسية ويوم جلولاء وما بينهما من وقائع لفرس.وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ عبد الله رجل صالح» وقال جابر بن عبد الله: ما أدركنا أحدا إلا وقد مالت به الدنيا إلا ابن عمر.وقالت عائشة: ما رأيت أحدا ألزم للأمر الأول من ابن عمر. مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ سَنَةَ ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ. وقيل: إنه مات في سنة أربع وسبعين.وعن سعيد بن عفير قال: في سنة أربع وسبعين مات عبد الله بن عمر بمكة، فدفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين وقيل: إنه دفن بفج وهو ابن أربع وثمانين. الجوزي: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 133، 137.

(4) العباس بن مرداس السلمى: هو أحد المؤلفة قلوبهم من قريش. البغدادي: المحبر، تحقيق: إيلزة ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ص 473.

(5) عتاب بن أسيد: هو عتّاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية. أسلم يوم فتح مكة. ولما خرج النبي – صلّى الله عليه وسلّم – إلى حنين، استعمله على مكة، فلم يزل عليها حتى قبض النبيّ – صلّى

بمكة بالمعلا. وسيدنا أبو هريرة رضي الله عنه في البهنسا بمصر وسيدنا عمرو بن العاص [1] بمصر، ورأس سيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب بمصر، وله مزار بدمشق، وسيدنا محمد المعلم حامل راية المسلمين في جبل الزيتون وسيدنا سلمان الفارسي والشهداء الأربعون بجبل الزيتون بالقدس، وسيدنا بلال الحبشي بدمشق، وسيدنا الفضل بن العباس [2] بالرملة بين يافا والقدس وسيدنا كعب بن أبي، وسيدنا أبو عبيدة عامر بن الجراح، وسيدنا طلحة وسيدنا الزبير، ومعاوية بن أبي سفيان كل هؤلاء بدمشق الشام، ومحمد وسيدنا عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق بدمشق وجملة من الصحابة بدمشق في مواضع متفرقة والسيدة زينب بنت علي بن أبي طالب بمصر.

وأما ذكر الأولياء الصالحين فالإمام الشافعي رحمه الله بمصر والسيدة نفسية بمصر والسيدة سكينة بنت الحسين بمصر والشيخ أحمد البدوى بطنطا من أرض مصر

الله عليه وسلّم – وفي خلافة أبى بكر.ومات هو وأبو بكر في وقت واحد، لم يعلم أحد منهما بموت الآخر. وأخوه خالد بن أسيد لأبويه، أسلم يوم فتح مكة أيضا، وكان فيه تيه شديد، فقال النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم –: اللَّهمّ زده تيها. فكان ذلك في ولده إلى اليوم. وله عقب. ابن قتيبة الدينورى: المعارف، ص 283.

(1) عمرو بن العاص: هو: عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن هصيص ابن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النّضر بن كنانة.وكان أبوه العاص من المستهزءين، وفيه نزلت: (إِنَّ شانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) والأبتر. الّذي ليس له ولد – فأراد أنه ينقطع ذكره. وأمه: النابغة، له. وكان يكنى: أبا عبد الله، وأسلم سنة ثمان مع «خالد بن الوليد».وولّاه «معاوية» مصر ثلاث سنين ابن قتيبة الدينورى: المعارف، ص 285.

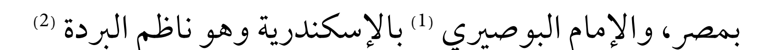
(2) الفضل بن العباس: الفَضْلُ بنُ العبَّاسِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ بنِ هَاشِمِ بنِ عَبْدِ مَنَافٍ، استشهد يَوْمَ اليرمُوكِ، وقِيلَ: بمَرْجِ الصُّفَّرِ سنةَ ثَلَاثَ عَشَرةَ. الأصبهاني:المستَخرجُ، ج 2، ص 414.

والشيخ إبراهيم الدسوقي [1] بدسوق من أرض مصر، والشيخ عمر بن الفارض [2]

(1) ابرهيم الدسوقى: هو السيد إبراهيم الدسوقي. الشهير بعبد الغفار. من نسل موسى الدسوقي. أخي سيدي إبراهيم الدسوقي بدسوق. من أسرة تنتمي إلى الحسين بن عليّ أبي طالب –رضي الله عنهم. ولد ببلدة دسوق سنة 1226هـ –1811م. ومات والده وهو صغير. فحفظ القرآن ببلده، وكان بها معهد ديني صغير. يعتبر صورةً مصغرةً من الأزهر. فتلقى بعض دروسه فيه. ثم قدم إلى الأزهر. فحضر دروسه على كثير من الأساتذة الأعلام. أمثال الشيخ: أحمد المرصفي. والشيخ: محمد عليش. شيخ المالكية. كما تلقى العلم عن علماء بلده. أمثال الشيخ: محمد عرفة الدسوقي. والشيخ: مصطفى البولاقي. وتوفى عام 1300هـ 1883م. محمد كامل الفقي:الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة، ج1، المطبعة المنيرية بالأزهر الشريف، د. ت، ص 131.

(2)) عمر بن الفارض: عمر بن علي بن مرشد بن علي الحموي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة، أبو حفص وأبو القاسم، شرف الدين ابن الفارض ولد عام 576 هـ، أشعر المتصوفين. يلقب بسلطان العاشقين. في شعره فلسفة تتصل بما يسمى " وحدة الوجود " قدم أبوه من حماة (بسورية) إلى مصر، فكسنها، وصار يثبت الفروض للنساء على الرجال بين يدي الحكام، ثم ولي نيابة الحكم فغلب عليه التلقيب بالفارض. وولد له " عمر " فنشأ بمصر في بيت علم وورع. ولما شبّ اشتغل بفقه الشافعية وأخذ الحديث عن ابن عساكر، وأخذ عنه الحافظ المنذري وغيره. ثم حبّب إليه سلوك طريق الصوفية، فتزهد وتجرد، وجعل يأوي إلى المساجد المهجورة في خرابات القرافة (بالقاهرة) وأطراف جبل المقطم. وذهب إلى مكة في غير أشهر الحج، فكان يصلي بالحرم، ويكثر العزلة في واد بعيد عن مكة، وفي تلك الحال نظم أكثر شعره. وعاد إلى مصر بعد خمسة عشر عاما، فأقام بقاعة الخطابة بالأزهر، وقصده الناس بالزيارة، حتى أن الملك الكامل كان ينزل لزيارته. وكان جميلا نبيلا، حسن الهيئة والملبس، حسن الصحبة والعشرة، رقيق الطبع، فصيح العبارة، سلس القياد، سخيا جوادا. وكان أيام ارتفاع النيل يتردد إلى مسجد في " الروضة " يعرف بالمشتهى، ويحب مشاهدة البحر في المساء. وكان يعشق مطلق الجمال. ونقل المناوي عن القوصي أنه كانت للشيخ جوار بالبهنسا، يذهب إليهن فيغنين له بالدف والشبابة وهو يرقص ويتواجد، قال المناوي: " ولكل قوم مشرب، ولكل مطلب، وليس سماع الفساق كسماع سلطان العشاق " ثم قال: " واختلف في شأنه، كشأن ابن عربي، والعفيف التلمساني، والقونوي، وابن هود، وابن سبعين، وتلميذه الششتري، وابن مظفر، والصفار، من الكفر إلى القطبانية، وكثرت التصانيف من الفريقين في هذه القضية " وقال الذهبي: كان سيد شعراء عصره وشيخ " الاتحادية " وماثم الازي الصوفية وإشارات مجملة، وتحت الزّي والعبارة فلسفة وأفاعي! (كذا) وأورد ابن حجر أبياتا صرح فيها ابن الفارض بالاتحاد، كقوله:

" وفي موقفي لا بـل إليَّ توجهي ولكن صـلاتي لي ومني كعبتي "



بمصر، والإمام البوصيري [1] بالإسكندرية وهو ناظم البردة [2]

له" ديوان شعر " جمعه سبطه عليّ. وشرحه كثيرون منهم حسن البوريني وعبد الغني النابلسي. وشرحاهما مطبوعان. ولمحمد مصطفى حلمي " ابن الفارض والحب الإلهي " وليوحنا قمير " ابن الفارض – ط " وتوفى عام 632 هـ.الزركلى: الاعلام، ج5، ص55، 56.

(1) الامام البوصيرى: أحمد بن أبي بكر (عبد الرحمن) ابن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني الشافعيّ، أبو العباس، شهاب الدين: من حفاظ الحديث. مصري. ولد بأبو صير (من الغربية، قرب سمنود) عام 762 هـ وتعلم بها وبالقاهرة. وعمل في نسخ الكتب، فنسخ كثيرا مع تحريف كثير. وتوفي بالثانية عام 840 هـ. من كتبه (فوائد المنتقي لزوائد البيهقي) و (زوائد ابن ماجة على باقي الكتب الخمسة، مع الكلام على أسانيدها) و (تحفة الحبيب للحبيب بالزوائد في الترغيب والترهيب) و (إتحاف المَهرة بزوائد المسانيد العشرة). الزركلى: الأعلام، ج 1، ص 104، 105.

(2) البردة من أشهر ما قيل في الرسول صلى الله عليه وسلم، وهى من أشهر قصائد البوصيري، ولهذا عارضها كثيرون، منهم أحمد شوقي في (نهج البردة). وقصيدة البردة هى كالأتى:

١ - أمن تذكّر جيران بذي سلم... مزجت دمعا جرى من مقلة بدم
٢ - أم هبّت الرّيح من تلقاء كاظمة... وأومض البرق في الظّلماء من إضم
٣ - فما لعينيك إن قلت اكففا همتا... وما لقلبك إن قلت استفق يهم
٤ - أيحسب الصّبّ أنّ الحبّ منكتم... ما بين منسجم منه ومضطّرم
٥ - لولا الهوى لم ترق دمعا على طلل... ولا أرقت لذكر البان والعلم
٦ - فكيف تنكر حبّا بعد ما شهدت... به عليك عدول الدّمع والسّقم
٧ - وأثبت الوجد خطّي عبرة وضنى... مثل البهار على خدّيك والعنم
٨ - نعم سرى طيف من أهوى فأرّقني... والحبّ يعترض الّلذّات بالألم
٩ - يالائمي في الهويا لعذريّ معذرة... منّي إليك ولو أنصفت لم تلم
١٠ - عدتك حالي لا سرّي بمستتر... عن الوشاة، ولا دائي بمنحسم
١١ - محضتني النّصح لكن لست أسمعه... إنّ المحبّ عن العذّال في صمم
١٢ - إنّي اتّهمت نصيح الشّيب في عذل... والشّيب أبعد في نصح عن التّهم
١٣ - فإنّ أمّارتي بالسّوء ما اتّعظت... من جهلها بنذير الشّيب والهرم
١٤ - ولا أعدّت من الفعل الجميل قرى... ضيف ألمّ برأسي غير محتشم
١٥ - لو كنت أعلم أنّي ما أوقّره... كتمت سرّا بدا لي منه بالكتم
١٦ - من لي بردّ جماح من غوايتها... كما يردّ جماح الخيل باللّجم

١٧ - فـلا تـرم بالمعاصي كـسر شـهـوتـها... إنّ الطّعام يـقـوّي شهوة النهّم
١٨ - والنّفس كالطّفل إن تهمله شبّ على... حبّ الرّضاع، وإن تفطمه ينفطم
١٩ - فـاصرف هواها وحـاذر أن تولّيه... إنّ الهـوى ما تـولّى يصم أو يصم
٢٠ - وراعها وهي في الأعـمال سائمة... وإن هي استحلت المرعى فلا تسم
٢١ - كم حسّنت لـذّة للمرء قاتلة... من حيث لم يـدر أنّ السّمّ في الدّسم
٢٢ - واخـش الدّسائس من جوع ومن شبع... فـربّ مخمصة شرّ من التّخم
٢٣ - واستفرغ الدّمع من عين قد امـتـلأت... من المحارم والـزم حمية النّدم
٢٤ - وخالف النّفس والشّيطان واعصهما... وإن هما محضاك النّصح فاتّهم
٢٥ - ولا تطع منهما خصما ولا حكما... فأنت تعرف كيد الخصم والحكم
٢٦ - أستغفر الله مـن قـول بـلا عـمـل... لقد نسبت بـه نسلا لـذي عقم
٢٧ - أمرتك الخير لكن ما ائتمرت بـه... وما استقمت، فما قولي لك استقم؟
٢٨ - ولا تـــزوّدت قبل المـوت نـافـلـة... ولم أصـلّ سـوى فـرض ولم أصم
٢٩ - ظلمات سنّة من أحيا الظّلام إلى... أن اشتكت قدماه الـضر من ورم
٣٠ - وشـدّ من سغب أحشاءه وطـوى... تحت الحجارة كشحا مـترف الادم
٣١ - وراودتـــه الجـبـال الـشّـمّ مـن ذهـــب... عـن نفسه فـأراهـا أيّـما شمم
٣٢ - وأكّـدت زهـده فيها ضرورتـــه... إنّ الـضّرورة لا تعدو على العصم
٣٣ - وكيف تدعو إلى الدّنيا ضرورة مـن... لـولاه لم تخرج الدّنيا من العدم
٣٤ - محمّد سيّد الكونين والـثّـقـلي... ن والفريقين من عـرب ومـن عجم
٣٥ - نبيّنا الامــر الـنّـاهـي فـلا أحـــد... أبـرّ في قـول لا منه ولا نعم
٣٦ - هو الحبيب الّـذي ترجى شفاعته... لكلّ هـول من الأهـوال مقتحم
٣٧ - دعـا إلى الله فالمستمسكون بـه... مستمسكون بحبل غـير منفصم
٣٨ - فـاق النّبيّين في خلق وفي خـلـق... ولم يـدانـوه في علم ولا كرم
٣٩ - وكلّهم من رسـول الله ملتمس... غرفا من البحر أو رشفا من الدّيم
٤٠ - وواقـفـون لديه عند حـدّهـم... من نقطة العلم أو من شكلة الحكم
٤١ - فهو الّــذي تـمّ معناه وصـورتـه... ثـمّ اصطفاه حبيبا بـارئ النّسم
٤٢ - مـنـزّه عـن شريـك في محـاسـنـه... فجوهر الحسـن فيه غـير منقسم
٤٣ - دع ما ادّعته النّصارى في نبيّهم... واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
٤٤ - وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف... وانسب إلى قدره ما شئت من عظم
٤٥ - فـإنّ فضل رسـول الله ليس لـه... حـدّ فيعرب عنه نـاطـق بفم

٤٦ - لو ناسبت قدره آياته عظاما... أحيا اسمه حين يدعى دارس الرّمم
٤٧ - لم يمتحنّا بما تعيا العقول بـه... حرصا علينا، فلم نرتب ولم نهم
٤٨ - أعيا الورى فهم معناه فليس يرى... في القرب والبعد فيه غير منفحم
٤٩ - كالشّمس تظهر للعينين من بعد... صغيرة، وتكلّ الطّرف من أمم
٥٠ - وكيف يدرك في الدّنيا حقيقته... قوم نيام تسلّوا عنه بالحلم
٥١ - فمبلغ العلم فيه أنّه بشر... وأنّه خير خلق الله كلّهم
٥٢ - وكلّ اي أتى الرّسل الكرام بها... فإنّما اتّصلت من نوره بهم
٥٣ - فإنّه شمس فضل هم كواكبها... يظهرن أنوارها للنّاس في الظّلم
٥٤ - أكرم بخلق نبيّ زانه خلق... بالحسن مشتمل بالبشر متّسم
٥٥ - كالزّهر في ترف والبدر في شرف... والبحر في كرم والدّهر في همم
٥٦ - كأنّه وهو فرد من جلالته... في عسكر حين تلقاه وفي حشم
٥٧ - كأنّما اللّؤلؤ المكنون في صدف... من معدني منطق منه ومبتسم
٥٨ - لا طيب يعدل تربا ضمّ أعظمه... طوبى لمنتشق منه وملتثم
٥٩ - أبان مولده عن طيب عنصره... يا طيب مبتدأ منه ومختتم
٦٠ - يوم تفرّس فيه الفرس أنّهم... قد أنذروا بحلول البؤس والنّقم
٦١ - وبات إيوان كسرى وهو منصدع... كشمل أصحاب كسرى غير ملتئم
٦٢ - والنّار خامدة الأنفاس من أسف... عليه والنّهر ساهي العين من سدم
٦٣ - وساء ساوة أن غاضت بحيرتها... وردّ واردها بالغيظ حين ظمي
٦٤ - كأنّ بالنّار ما بالماء من بلل... حزنا، وبالماء ما بالنّار من ضرم
٦٥ - والجنّ تهتف والأنوار ساطعة... والحقّ يظهر من معنى ومن كلم
٦٦ - عموا وصمّوا، فإعلان البشائر لم... يسمع، وبارقة الإنذار لم تشم
٦٧ - من بعد ما أخبر الأقوام كاهنهم... بأنّ دينهم المعوجّ لم يقم
٦٨ - وبعد ما عاينوا في الأفق من شهب... منقضّة وفق ما في الأرض من صنم
٦٩ - حتّى غدا عن طريق الوحي منهزم... من الشّياطين يقفو إثر منهزم
٧٠ - كأنّهم هربا أبطال أبرهة... أو عسكر بالحصى من راحتيه رمي
٧١ - نبذا به بعد تسبيح ببطنهما... نبذ المسبّح من أحشاء ملتقم
٧٢ - جاءت لدعوته الأشجار ساجدة... تمشي إليه على ساق بلا قدم
٧٣ - كأنّما سطرت سطرا لما كتبت... فروعها من بديع الخطّ باللّقم
٧٤ - مثل الغمامة أنّى سار سائرة... تقيه حرّ وطيس للهجير حمي

٧٥ - أقسمت بالقمر المنشقّ إنّ لــه... مــن قلبه نسبة مــبرورة القسم
٧٦ - وما حوى الغار من خير ومن كـرم... وكلّ طرف من الكفّار عنه عمي
٧٧ - فالصّدق في الغار والصّدّيق لم يرما... وهم يقولون: ما بالغار من أرم
٧٨ - ظنّوا الحـمام وظـنّـوا العنكبوت عــلى... خير الـبريّـة لم تنسج ولم تحم
٧٩ - وقاية الله أغنت عن مضاعفة... من الــدّروع وعــن عــال من الأطم
٨٠ - ما سامني الدّهر ضيما واستجرت بـه... إلّا ونلت جـوارا منه لم يضم
٨١ - ولا التمست غنى الدّارين من يـده... إلا استلمت النّدى من خير مستلم
٨٢ - لا تنكر الـوحـي مـن رؤيــاه إنّ لــه... قلبا إذا نامت العينان لم ينم
٨٣ - وذاك حـين بـلـوغ مـن نـبـوّتـه... فليس ينكر فـيـه حــال محتلم
٨٤ - تـبـارك الله مـا وحـي بـمـكـتـسـب... ولا نـبـيّ عـلى غـيـب بمتّهم
٨٥ - كم أبــرأت وصبا باللّمس راحـتـه... وأطلقت أربـا من ربقة اللّمم
٨٦ - وأحيت السّنة الشّهباء دعـوتـه... حتّى حكت غـرّة في الأعـصر الدّهم
٨٧ - بعارض جاد أو خلت البطاح بهـا... سيب من اليمّ أو سيل من العرم
٨٨ - دعني ووصفي ايـات له ظـهـرت... ظهور نـار القرى ليلا على علم
٨٩ - فـالـدّرّ يــزداد حسنا وهـو منتظم... وليس ينقص قـدرا غير منتظم
٩٠ - فـما تـطـاول امــال المديـح إلى... مـا فيه مـن كـرم الأخـلاق والشّيم
٩١ - ايــات حـقّ مـن الـرّحمـن محـدثـة... قديمة صفة الموصـوف بالقدم
٩٢ - لم تـقـترن بـزمـان وهــي تخـبرنـا... عـن المـعـاد وعــن عــاد وعــن إرم
٩٣ - دامــت لدينا ففاقت كـلّ مـعـجـزة... مـن النّبيّين إذ جـاءت ولم تدم
٩٤ - محكّـمات فـما يبقين مـن شـبـه... لـذي شـقـاق ومـا يبغين مـن حكم
٩٥ - ما حوربت قطّ إلا عاد من حـرب... أعدى الأعـادي إليها ملقي السّلم
٩٦ - ردّت بلاغتها دعـوى معارضها... ردّ الغيور يد الجـاني عن الحرم
٩٧ - لها معان كموج البحر في مـــدد... وفـوق جوهره في الحسن والقيم
٩٨ - فـما تـعـدّ ولا تحـصى عجائبها... ولا تـسـام عـلى الإكـثـار بالسّأم
٩٩ - قــرّت بها عـين قـاريهـا فقلت لــه... لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم
١٠٠ - إن تتلها خيفة من حرّ نار لظى... أطفأت حرّ لظى من وردهـا الشّبم
١٠١ - كأنّها الحـوض تبيضّ الوجوه بـه... من العصاة وقد جـاؤوه كالحمم
١٠٢ - وكالصّراط وكالميزان معدلة... فالقسط من غيرها من النّاس لم يقم
١٠٣ - لا تعجبن لحسود راح ينكرها... تجاهلا، وهـو عين الحـاذق الفهم

١٠٤ - قد تنكر العين ضوء الشّمس من رمد... وينكر الفم طعم الماء من سقم
١٠٥ - يا خير من يمّم العافون ساحته... سعيا وفوق متون الأينق الرّسم
١٠٦ - ومن هو الاية الكبرى لمعتبر... ومن هو النّعمة العظمى لمغتنم
١٠٧ - سريت من حرم ليلا إلى حرم... كما سرى البدر في داج من الظّلم
١٠٨ - وبتّ ترقى إلى أن نلت منزلة... من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم
١٠٩ - وقدّمتك جميع الأنبياء بها... والرّسل تقديم مخدوم على خدم
١١٠ - وأنت تخترق السّبع الطّباق بهم... في موكب كنت فيه صاحب العلم
١١١ - حتّى إذا لم تدع شأوا لمستبق... من الدّنوّ ولا مرقى لمستنم
١١٢ - خفضت كلّ مقام بالإضافة إذ... نوديت بالرّفع مثل المفرد العلم
١١٣ - كيما تفوز بوصل أيّ مستتر... عن العيون وسرّ أيّ مكتتم
١١٤ - فحزت كلّ فخار غير مشترك... وجزت كلّ مقام غير مزدحم
١١٥ - وجلّ مقدار ما ولّيت من رتب... وعزّ مقدار ما أوليت من نعم
١١٦ - بشرى لنا معشر الإسلام إنّ لنا... من العناية ركنا غير منهدم
١١٧ - لّما دعا الله داعينا لطاعته... بأكرم الرّسل كنّا أكرم الأمم
١١٨ - راعت قلوب العدا أنباء بعثته... كنبأة أجفلت غفلا من الغنم
١١٩ - ما زال يلقاهم في كلّ معترك... حتّى حكوا بالقنا لحما على وضم
١٢٠ - ودّوا الفرار فكادوا يغبطون به... أشلاء شالت مع العقبان والرّخم
١٢١ - تمضي اللّيالي ولا يدرون عدّتها... ما لم تكن من ليالي الأشهر الحرم
١٢٢ - كأنّما الدّين ضيف حلّ ساحتهم... بكلّ قرم إلى لحم العدا قرم
١٢٣ - يجرّ بحر خميس فوق سابحة... يرمي بموج من الأبطال ملتطم
١٢٤ - من كلّ منتدب لله محتسب... يسطو بمستأصل للكفر مصطلم
١٢٥ - حتّى غدت ملّة الإسلام وهي بهم... من بعد غربتها موصولة الرّحم
١٢٦ - مكفولة أبدا منهم بخير أب... وخير بعل، فلم تيتم ولم تئم
١٢٧ - هم الجبال فسل عنهم مصادمهم... ماذا رأى منهم في كلّ مصطدم
١٢٨ - وسل حنينا وسل بدرا وسل أحدا... فصول حتف لهم أدهى من الوخم
١٢٩ - المصدري البيض حمرا بعد ما وردت... من العدا كلّ مسودّ من اللّمم
١٣٠ - والكاتبين بسمر الخطّ ما تركت... أقلامهم حرف جسم غير منعجم
١٣١ - شاكي السّلاح، لهم سيما تميّزهم... والورد يمتاز بالسّيما عن السّلم
١٣٢ - تهدي إليك رياح النّصر نشرهم... فتحسب الزّهر في الأكمام كلّ كمي

١٣٣ - كأنّهم في ظهور الخيل نبت ربـا... من شـدّة الحـزم لا من شـدّة الحزم
١٣٤ - طـارت قلوب العدا من بأسهم فـرقـا... فما تفرّق بين البهم والبهم
١٣٥ - ومــن تكن بـرسـول الله نـصرتـه... إن تلقه الأســد في اجامها تجم
١٣٦ - ولــن تـرى مـن وليّ غـير مـنـتـصر... بـه ولا مـن عــدوّ غـير منقصم
١٣٧ - أحــلّ أمته في حـرز ملّـتـه... كالليث حـلّ مـع الأشـبـال في أجم
١٣٨ - كم جدّلت كلمات الله من جـدل... فيه، وكم خصم البرهان من خصم
١٣٩ - كفاك بالعلم في الأمّــيّ معجزة... في الجاهليّة والتّأديب في اليتم
١٤٠ - خدمته بمديح أستقيل بــه... ذنــوب عمر مضى في الشّعر والخـدم
١٤١ - إذ قـلّـداني مـا تخشى عـواقـبـه... كـأنّـني بهـما هــدي مــن النّعم
١٤٢ - أطعت غيّ الصّبا في الحالتين ومـا... حصلت إلّا على الاثـام والنّدم
١٤٣ - فيا خـسـارة نفس في تجـارتهـا... لم تشتر الـدّيــن بالدّنيا ولم تسم
١٤٤ - ومــن يبع اجـلا منه بـعـاجـلـه... يبن لـه الغبن في بيع وفي سلم
١٤٥ - إن ات ذنبا فـما عهدي بمنتقض... مـن النبيّ ولا حبلي بمنصرم
١٤٦ - فــإنّ لي ذمّــة منه بتسميتي... محـمّـدا وهــو أوفى الخـلـق بالذّمم
١٤٧ - إن لم يكن في معادي اخـذا بـيـدي... فضلا، وإلّا فقل يا زلّـة القدم
١٤٨ - حاشاه أن يحـرم الـرّاجـي مكارمه... أو يرجع الجـار منه غير محترم
١٤٩ - ومـنـذ ألـزمـت أفـكـاري مـدائـحـه... وجـدتـه لخـلاصي خـير ملتزم
١٥٠ - ولن يفوت الغنى منه يدا تربت... إنّ الحيا ينبت الأزهــار في الأكم
١٥١ - ولم أرد زهــرة الدّنيا التي اقتطفت... يـدا زهـير بما أثنى على هرم
١٥٢ - يا أكـرم الخلق مالي من ألـوذ بـه... سـواك عند حلول الحـادث العمم
١٥٣ - ولــن يضيق رسـول الله جاهك بي... إذا الكريم تحـلّى باسم منتقم.
١٥٤ - فــإنّ من جـودك الدّنيا وضرّتهــا... ومـن علومك علم اللّوح والقلم
١٥٥ - يا نفس لا تقنطي من زلّـة عظمت... إنّ الكبائر في الغفران كاللّمم
١٥٦ - لعلّ رحمـة ربّي حين يقسمها... تـأتي على حسب العصيان في القسم
١٥٧ - يا ربّ واجعل رجائي غير منعكس... لديك، واجعل حسابي غير منخرم
١٥٨ - والطف بعبدك في الدّارين إنّ لـه... صـبرا، متى تدعه الأهــوال ينهزم
١٥٩ - وأذن لسحب صــلاة منك دائـمـة... عـلى النّبيّ بمنهلّ ومنسجم
١٦٠ - ما رنّحت عذبات البان ريح صبا... وأطرب العيس حادي العيس بالنّغم

محمد يحيى حلو: البردة شرحا وإعرابا وبلاغة لطلاب المعاهد والجامعات، مراجعة: محمد علي

والهمزية [1].

حميد الله، ط3، دار البيروتي، دمشق، 1426 هـ، ص 6، ص 222: 239.

(1) الهمزية: قصيدة فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وهى:

ولد الهدى، فالكائنات ضياء... وفم الزّمان تبسّم وثناء

الرّوح والملأ الملائك حوله... للدّين والدنيا به بشراء

والعرش يزهو، والحظيرة تزدهى... والمنتهى، والسّدرة العصماء

وحديقة الفرقان ضاحكة الربا... بالترجمان، شذيّة، غنّاء

والوحى يقطر سلسلا من سلسل... واللوح والقلم البديع رواء

نظمت أسامى الرّسل فهي صحيفة... في اللوح، واسم محمد طغراء

اسم الجلالة في بديع حروفه... ألف هنالك، واسم (طه) الباء

يا خير من جاء الوجود، تحية... من مرسلين إلى الهدى بك جاءوا

بيت النبيّين الذي لا يلتقى... إلا الحنائف فيه والحنفاء

خير الأبوة حازهم لك (آدم)... دون الأنام، وأحرزت حوّاء

هم أدركوا عزّ النبوّة وانتهت... فيها إليك العزّة القعساء

خلقت لبيتك، وهو مخلوق لها... إن العظائم كفؤها العظماء

بك بشّر الله السماء فزيّنت... وتضوّعت مسكا بك الغبراء

وبدا محيّاك الذي قسماته... حق، وغرّته هدى وحياء

وعليه من نور النّبوّة رونق... ومن الخليل وهديه سيماء

أثنى (المسيح) عليه خلف سمائه... وتهلّلت واهتزّت (العذراء)

يوم يتيه على الزمان صباحه... ومساؤه (بمحمد) وضّاء

الحقّ عالى الركن فيه، مظفّر... في الملك، لا يعلو عليه لواء

ذعرت عروش الظالمين، فزلزلت... وعلت على تيجانهم أصداء

والنار خاوية الجوانب حولهم... خمدت ذوائبها، وغاض الماء

والآى تترى، والخوارق جمّة... (جبريل) روّاح بها غدّاء

نعم اليتيم بدت مخايل فضله... واليتيم رزق بعضه وذكاء

في المهد يستسقى الحيا برجائه... وبقصده تستدفع البأساء

بسوى الأمانة في الصّبا والصدق لم... يعرفه أهل الصدق والأمناء

يا من له الأخلاق ما تهوى العلا... منها وما يتعشّق الكبراء

لو لم تقم دينا؛ لقامت وحدها... دينا تضيء بنوره الآناء

زانتك في الخلق العظيم شمائل... يغرى بهنّ ويولع الكرماء
أما الجمال؛ فأنت شمس سمائه... وملاحة (الصّدّيق) منك أياء
والحسن من كرم الوجوه، وخيره... ما أوتي القوّاد والزعماء
فإذا سخوت بلغت بالجود المدى... وفعلت ما لا تفعل الأنواء
وإذا عفوت فقادرا، ومقدّرا... لا يستهين بعفوك الجهلاء
وإذا رحمت فأنت أم، أو أب... هذان في الدنيا هما الرّحماء
وإذا غضبت فإنما هي غضبة... في الحق، لا ضغن ولا بغضاء
وإذا رضيت فذاك في مرضاته... ورضى الكثير تحلّم ورياء
وإذا خطبت فللمنابر هزّة... تعرو النّديّ، وللقلوب بكاء
وإذا قضيت فلا ارتياب، كأنما... جاء الخصوم من السماء قضاء
وإذا حميت الماء لم يورد، ولو... أن القياصر والملوك ظماء
وإذا أجرت فأنت بيت الله، لم... يدخل عليه المستجير عداء
وإذا ملكت النفس قمت ببرّها... ولو أن ما ملكت يداك الشاء
وإذا بنيت فخير زوج عشرة... وإذا ابتنيت فدونك الآباء
وإذا صحبت رأى الوفاء مجسّما... في بردك الأصحاب والخلطاء
وإذا أخذت العهد، أو أعطيته... فجميع عهدك ذمّة ووفاء
وإذا مشيت إلى العدا فغضنفر... وإذا جريت فإنك النكباء
وتمدّ حلمك للسفيه مداريا... حتى يضيف بعرضك السفهاء
في كل نفس من سطاك مهابة... ولكل نفس في نداك رجاء
والرأى لم ينض المهنّد دونه... كالسيف لم تضرب به الآراء
يأيها الأمّي، حسبك رتبة... في العلم أن دانت بك العلماء
الذكر آية ربّك الكبرى التي... فيها لباغي المعجزات غناء
صدر البيان له إذا التقت اللّغى... وتقدّم البلغاء والفصحاء
نسخت به التوراة وهي وضيئة... وتخلّف الإنجيل وهو ذكاء
لما تمشّى في (الحجاز) حكيمه... فضّت (عكاظ) به، وقام حراء
أزرى بمنطق أهله وبيانهم... وحي يقصّر دونه البلغاء
حسدوا، فقالوا: شاعر، أو ساحر... ومن الحسود يكون الاستهزاء
قد نال (بالهادى) الكريم و (بالهدى)... ما لم تنل من سؤدد سيناء
أمسى كأنك من جلالك أمّة... وكأنه من أنسه بيداء

يوحى إليك الفوز في ظلماته... متتابعا، تجلى به الظلماء
دين يشيّد آية في آية... لبناته السّورات والأضواء
الحقّ فيه هو الأساس، وكيف لا... والله جلّ جلاله البنّاء؟
أما حديثك في العقول فمشرع... والعلم والحكم الغوالى الماء
هو صبغة الفرقان، نفحة قدسه... والسين من سوراته والراء
جرت الفصاحة من ينابيع النّهى... من دوحه، وتفجّر الإنشاء
في بحره للسابحين به على... أدب الحياة وعلمها إرساء
أتت الدّهور على سلافته، ولم... تفن السّلاف، ولا سلا النّدماء
بك يا ابن عبد الله قامت سمحة... بالحقّ من ملل الهدى غرّاء
بنيت على التوحيد، وهي حقيقة... نادى بها سقراط والقدماء
وجد الزّعاف من السّموم لأجلها... كالشّهد، ثم تتابع الشّهداء
ومشى على وجه الزمان بنورها... كهّان وادي النيل والعرفاء
إيزيس ذات الملك حين توحّدت... أخذت قوام أمورها الأشياء
لما دعوت الناس لبّى عاقل... وأصمّ منك الجاهلين نداء
أبوا الخروج إليك من أوهامهم... والناس في أوهامهم سجناء
ومن العقول جداول وجلامد... ومن النفوس حرائر وإماء
داء الجماعة من أرسطاليس لم... يوصف له حتى أتيت دواء
فرسمت بعدك للعباد حكومة... لا سوقة فيها ولا أمراء
الله فوق الخلق فيها وحده... والناس تحت لوائها أكفاء
والدّين يسر، والخلافة بيعة... والأمر شورى، والحقوق قضاء
الإشتراكيون أنت إمامهم... لولا دعاوى القوم والغلواء
داويت متّئدا، وداووا ظفرة... وأخفّ من بعض الدواء الداء
الحرب في حقّ لديك شريعة... ومن السّموم الناقعات دواء
والبرّ عندك ذمّة وفريضة... لا منّة ممنونة وجباء
جاءت فوحّدت الزكاة سبيله... حتى التقى الكرماء والبخلاء
أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى... فالكلّ في حقّ الحياة سواء
فلو انّ إنسانا تخيّر ملّة... ما اختار إلا دينك الفقراء
يأيها المسرى به شرفا إلى... ما لا تنال الشمس والجوزاء
يتساءلون - وأنت أطهر هيكل -...: بالروح أم بالهيكل الإسراء؟

بهـا سـمـوت مـطـهّـريـن، كــلاهمــا... نـــور، وريحـــانـــيّـــة، وبهـــاء
فـضـل عليك لــذى الجــلال ومــنّـــة... والله يفعل مــا يــرى ويـشـاء
تغشى الـغـيـوب مـن الـعــوالم، كــلّــما... طـويـت سـماء قـلّـدتـك سماء
في كـل منطقة حـواشـي نـورهـا... نـون، وأنـت النقطة الـزهـراء
أنـت الجــمال، وأنـت المـجـتـلى... والـكـفّ، والمــرآه، والحـسـنـاء
الله هـيّـأ مـن حـظـيرة قـدسـه... نــزلا لــذاتـك لم يجــزه عـلاء
الـعـرش تحـتـك سـدّة وقـوائـمـا... ومـنـاكـب الــروح الأمـين وطـاء
والـرّسـل دون الـعـرش لم يـؤذن لهـم... حـاشـا لـغـيرك مـوعـد ولقاء
الخـيـل تـأبـى غـير (أحمـد) حـامـيـا... وبهـا إذا ذكـر اسـمـه خيلاء
شيخ الـفـوارس يعلمون مـكـانـه... إن هيّجت آسـادهـا الهيجاء
وإذا تـصـدّى لـلـظّـبى فـمـهـنّـد... أو لـلـرّمـاح فـصـعـدة سمـراء
وإذا رمـى عـن قـوسـه فـيـمـيـنـه... قـدر، ومـا تـرمـي الـيـمـين قضاء
مـن كـل داعـي الحـق همّـة سـيـفـه... فلسيفه في الـراسـيـات مضاء
ساقي الجريح ومطعم الأسرى. ومـن... أمنت سنابك خيله الأشـلاء
إن الـشـجـاعـة في الـرجـال غـلاظـة... مـا لم تـزنهـا رأفـة وسـخـاء
والحـرب مـن شرف الـشـعـوب، فـإن بـغـوا... فالمجد مما يـدّعـون بـراء
والحـرب يبعثها الـقـويّ تجـبّرا... ويـنـوء تحـت بـلائـهـا الضعفاء
كـم مـن غـزاة لـلـرسـول كـريـمـة... فيها رضى لـلـحـقّ أو إعـلاء
كـانـت لجـنـد الله فـيـهـا شـدّة... في إثـرهـا لـلـعـالمين رخـاء
ضربـوا الضلالة ضربـة ذهـبـت بهـا... فعلى الجهالة والـضـلال عفاء
دعـمـوا عـلى الحـرب الـسـلام، وطـالمـا... حقنت دمـاء في الـزمـان دمـاء
الحـقّ عـرض الله، كـلّ أبـيّـة... بـين الـنـفـوس حمـى لـه ووقـاء
هـل كـان حـول محـمـد مـن قـومـه... إلا صـبـيّ واحـد ونـسـاء؟
فـدعـا، فـلـبّـى في الـقـبـائـل عـصـبـة... مستضعفون، قـلائـل أنـضـاء
ردّوا بـبـأس الـعـزم عنه مـن الأذى... مـا لا تـردّ الـصـخـرة الصماء
والحـقّ والإيـمان إن صـبّـا عـلى... بـرد فـفـيـه كـتـيـبـة خـرسـاء
نسفوا بناء الـشّرك، فهو خـرائـب... واستأصلوا الأصـنـام، فهي هباء
يمشون تغضي الأرض منهم هـيـبـة... وبهـم حـيـال نعيمها إعـياء
حـتـى إذا فـتـحـت لهـم أطـرافـهـا... لم يطغهم تـرف ولا نعماء

وبأرض مصر ما لا يحصى من قبور الأولياء والعلماء والصالحين. والسيدة رابعة العدوية بجبل الزيتون بالقدس والشيخ عبدالغني النابلسي والشيخ محي الدين بن عربي، والشيخ رسلان كل هؤلاء بدمشق الشام بمحل اسمه الصالحية، وبمدينة دمشق الأكراد الأيوبية والمنسوبون لنبي الله أيوب عليه السلام، ومعاوية الصغير بل ومعاوية الكبير بدمشق الشام، وبها يزيد ومعاوية أيضاً.

وأما ذكر محلات المزارات وغيرها، فموضع نزول المائدة بيافا من أرض الشام، ومهد سيدنا عيسى عليه السلام ببيت المقدس، وموضع السلسلة التي

يا من له عزّ الشفاعة وحده... وهو المنزّه، ما له شفعاء
عرش القيامة أنت تحت لوائه... والحوض أنت حياله السّقاء
تروي وتسقي الصالحين ثوابهم... والصالحات ذخائر وجزاء
ألمثل هذا ذقت في الدنيا الطّوى... وانشقّ من خلق عليك رداء؟
لي في مديحك يا رسول عرائس... تيّمن فيك، وشاقهنّ جلاء
هنّ الحسان، فإن قبلت تكرّما... فمهورهن شفاعة حسناء
أنت الذي نظم البريّة دينه... ماذا يقول وينظم الشّعراء؟
المصلحون أصابع جمعت يدا... هي أنت، بل أنت اليد البيضاء
ما جئت بابك مادحا، بل داعيا... ومن المديح تضرّع ودعاء
أدعوك عن قومى الضّعاف لأزمة... في مثلها يلقى عليك رجاء
أدرى رسول الله أنّ نفوسهم... ركبت هواها، والقلوب هواء؟
متفكّكون، فما تضمّ نفوسهم... ثقة، ولا جمع القلوب صفاء
رقدوا، وغرّهم نعيم باطل... ونعيم قوم في القيود بلاء
ظلموا شريعتك التي نلنا بها... ما لم ينل في رومة الفقهاء
مشت الحضارة في سناها، واهتدى... في الدّين والدّنيا بها السعداء
صلى عليك الله ما صحب الدّجى... حاد، وحنّت بالفلا وجناء
واستقبل الرّضوان في غرفاتهم... بجنان عدن آلك السّمحاء
خير الوسائل، من يقع منهم على... سبب إليك فحسبى (الزّهراء)

محمّد سَعيد رَمضان البوطي: مختارات من أجمل الشعر في مدح الرسول، ط1، دار المعرفة، دمشق، 1408 هـ، ص 6،ص 28: 35.

كانت مدت لنبي الله داود عليه السلام يحلفون عندها ببيت المقدس ويبرئ الأرواح كذلك هناك بزعمهم، ومربط براق النبي [1] صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء ببيت المقدس. وفي جبل الزيتون من أرض القدس الموضع الذي رفع الله منه نبيه عيسى عليه السلام إلى السماء، وفي مصر سجن النبي يوسف عليه السلام، وهي بئر كبيرة عميقة في القلعة، في جبل سيدنا موسى عليه السلام قرب بيت المقدس حجارة الجبل إذا أوقدها الإنسان تشتعل مثل الفحم، والبحيرة التي اغرق الله فيها قوم لوط عليه السلام ترى من جبل الزيتون، وهي آية من آيات الله تعالى. وموضع ولادة سيدنا عيسى عليه السلام في قرية بين بيت المقدس ومدينة الخليل تسمى بيت لحم وموضع النخلة التي هزتها السيدة مريم عليها السلام أيضاً عنده غار الأنبياء، بمدينة الخليل بمقدار أربعين دقيقة عن البلد وهو السرداب الشريف المشهور. وغار أهل الكهف بالصالحية من أرض دمشق الشام على الجبل هو محل عبادتهم، وبقربه غار الأولياء الأربعين.

وإلى هنا انتهينا ما تم لنا من السياحة مما شاهدناه وبالسماع نقلناه، ونسأل الله حسن الخاتمة في البدء، والمختتم. وما قصدت غير نفع إخوتي المسلمين. ثم أعلم أيها الواقف على كتابي هذا والمتأمل فيما نقلته من المسلمين والإخوان في الله، فلا تسيء بنا الظن في دخولنا بيوت الاصنام مواضع الملاهي لأني لم اقصد بذلك اللهو ومعصية الله تعالى، أعوذ بالله من ذلك. وفي الحديث إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى. فأما الانتيكة قصدنا دخولها لأجل الاعتبار برؤية صور أمم الماضين، وعظم أجسامهم وقوة صنائعهم وما أشبه ذلك، والكنائس أردنا أن نطلع على ما فيها وكيف صفة عبادة أهلها حتى نحيط علماً بذلك، ونزداد شكراً لله على نعمة الإسلام. وموضع الملاهي قصدنا التفرج على البساتين وكيفية أشجارها

(1) البراق: الدَّابَّة الَّتِي حمل عَلَيْهَا النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم. اشتقاقها من الْبَرْق. الأزدي: جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ج1، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م، ص 322.

وأنهارها، ورأينا ما رأينا بها بغير قصد إلى ذلك فحسن الظن بالمسلمين أحب. وكما لا يخفى عليكم ما جاء في الآثار إنما حرم على المسلم لحمه ودمه وأن يظن به السوء، والله علام الغيوب. وأنا أستغفر الله تعالى وأتوب اليه من كل ما وقع مني غير موافق للحق والصواب، وأسأل الله الإعانة والتوفيق على طاعته لما يجب ويرضى عني مدة عمري. وصلى الله على سيدنا محمد كلما ذكره الذاكرون وكلما غفل عن ذلك الغافلون، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

بيان بالذين توجهوا في أشغالنا وخدمونا في البلدان مدة السياحة

بيان بالذين توجهوا في أشغالنا وخدمونا في البلدان مدة السياحة أحببنا ذكرهم تذكرة، وربما تبدو لنا حاجة إليهم. في السويس السيد هاشم يوسف بمعرفة الشيخ محمد بن يوسف باناجي بجدة [1]، في مصر الشيخ عبدالله بن سعيد بن سالم الحضرمي والشيخ صالح بن محمد بن عيسى الحضرمي شيخ التجار بمعرفته. في الإسكندرية الحاج سعد الله اخوته بمعرفة محمد بن يوسف باناجي أيضا. في نبط سعيد الخواجه ميخائيل خورى بمعروفة المذكور. في يافا الخواجه يوسف الدباس وأولاده بمعرفة بانجة. في القدس الحاج يوسف حب الرمان والمزور الشيخ الدنف بمعرفة الخواجه يوسف الدباس. وفي مدينة الخليل الشيخ عبد الفتاح شيخ المدرسين وإخوانه. في بيروت السيد محمد الظلمات بمعرفة بالخاجى. في دمشق الشامخ والشيخ محمد بن راشد الجلاد، والشيخ سعيد الغبره المدرس في الجامع الاموى بمعرفة السيد محمد الظلمات.

وعند إتمام كتابته وضوع فرائد بشارته قال يقرضه الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد الخضرواي المكي الهاشمي [2] شعرا:

---

(1) الشيخ محمد بن يوسف باناجى: أحد التجار الثقات. لم نجد الكثير من المعلومات الكثيرة عنه. وما وجدناه أنه توجه فى سلخ محرم عام 1292هـ إلى جدة بمركب يسمى كنكا وذلك بغرض الوصول للبصرة.

(2) أحمد بن محمد بن أحمد الخضراوي المكي الهاشمي: مؤرخ. ولد بالإسكندرية عام 1836م، و جده مسعود الخضراوي بن علي بن حمزة بن منصور بن يحيى بن جعفر بن إسحاق بن عبدالخالق بن محسن بن إبراهيم بن محسن بن علي بن الحسين بن حمزة بن حمزة بن محمد بن علي بن

أجواهر سطعت برحلة ماجد يرقا إلى العليا والمحاسن
أم هي شموس بالفضائل أشرقت للبوسعيدي ناقد المعادن
قد فاز بالزيارة والمنا لأنبياء وكل حبر قاطن
كم في السياحة نال كل فضيلة وهي التي لحمود في التباين
هو سيد للفكر جلب همه فوق السمك وفوق كل مراهن
تم الكتاب وقال في إرشاده بشراك يامولاي بالتباين
وبدرك المنظوم قلت مبشراً ترقاً إلى العلياء والمحاسن

قال غيره في وصف الكتاب ومؤلفه شعراً:

فمن كان مسعاه كمسعى بن أحمد فذالك إلى طرق الهداية يهتدي
له همة في كل ما كان راجعاً لطاعة مولاه وفي دين أحمد
بدت عبر منه لنا في كتابه تلين قلباً كان قاس كجلمد
يخبر عن أهل الأراضي أميرنا لما ساح فيها فدفدا بعد فدفد
ركوبا على متن الجواري يجوبها إذا ما علا يوما بصهوة أجرد
تباري النعام الربد بالسيد الذي له الفخر في العليا على كل سيد
أتانا بأخبار القرون التي مضت وما كان من تشييدهم والتشدد
وطاف مقامات النبيين زائراً قبورهم والصحب من كل مهتد
ونال بهم قربى وكل فضيلة علت في السما من دونها برج الجدي
فما سمعت أذنى شخصا كمثله ولا نظرت عيناي يوماً بمشهد
عجائب صنع الأولين كتابه حواها وأحصاها وكان بمحصد

الحسين بن العزيزي بن الحسين بن أحمد بن إسحاق بن إبراهيم بن موسى بن إبراهيم المرتضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقي بن علي زين العابدين. وتوفى عام ١٩٠٩م.

وما قد رأى في الآخرين عجائباً تضمن ما أملاه من فكر أمجد

مواعظ عم النفع منها لكل من له القلب واع خائفاً من توعد

فسماه درا وهــو در منضد بسلك حسين النظم في جيد أغيد

إذا نشرت أوراقه ضاع عرفه وضاء بليل حالك اللون أسود

وبشرى لمن يقراه إن كان خاشعاً على عبرة يتلو بقلب موحد

صلاة وتسليم مدى الدهر كله من الباري للهادي النبي محمد

تم الكتاب بعون الله الملك الوهاب ليلة الثلاثاء من الأيام، ليلة 24 من شهر الحج الأكبر سنة 1315 من الهجرة الإسلامية النبوية على مهاجرها أفضل الصلاة والسلام. بقلم الحقير المقر بالذنب والتقصير زهران بن سيف الريامي، بيده. نسخته للشيخ الأجل الوفي الأكمل الأخ عبدالله بن ناصر بن سليمان اللمكي، رزقه الله حفظه. آمين يارب العالمين.

العمانيون
وأثرهم في الجوانب العلمية والمعرفية
بشرق أفريقيا

محاضرة لسماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي المفتي العام لسلطنة عمان

أعتني بالنص

د/ عمرو عبد الحميد

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

معالي الأخ العزيز محمد بن علي القتبي وزير الكهرباء والمياه راعي هذه الندوة الطيبة المباركة.

سعادة الأخ العزيز الاستاذ سالم بن محمد الغيلاني رئيس الأدبي. أصحاب الفضيلة والسعادة.

أيها ألأخوة الحضور جميعا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

أنه ليسعدني أن أكون بينكم في هذه الليلة المباركة الطيبة الميمونة في هذا المكان الذي ينطلق منه صوت الأدب؛ وكم كنت أتمنى أن أكون قاعدا مقعد المستمع لا ستفيد ممن يدلون بدلوهم هنا من العلماء المحاضرين في المجالات الأدبية والفكرية والتاريخية ولكن دعيت لأن أكون متحدثا وليتني اعددت لهذا الحديث عدته؛ فإن الحديث في مثل هذا الموضوع الشائك هو بحاجة إلى استعداد ذلك لأن الحقائق التاريخية لا تخطلط بالخيال وإنما يجب على الباحث فيها أن يغوص في أعماق التاريخ لأجل استخراج دورها من أصدافها.

وكم كنت أود أن تتاح لي الفرصة لارجع إلى مظان هذا البحث وأن كانت شحيحة إذا نظرنا إلى ما نتطلع إليه من قدرات لما قدمه سلفنا في العصور الغابرة

السحيقة من جوانب فكرية عندما انتقلوا من وطنهم الأم إلى تلكم الديار التي اتخذوها وطنا لهم. ولكن الفرصة لم تتح لي. فما أذكره لكم إنما هو بقدر ما يسمح للخاطر في هذه الوقفة العابرة.

لا ريب أن صلات العمانيين بشرق افريقيا صلات ضاربة بجدورها في عمق التاريخ والذي دفعهم إلى أن يخوضوا تلك الغمار حتى يصلوا إلى تلمك الأماكن التي كانت في ذلك الوقت تعد بعيدة جدا عن الجزيرة العربية هو ولعهم بالبحار وخبرتهم بالملاحة البحرية فإن العمانيين قطعوا من أجل هذا المسافات فكانت سفنهم تمخر هذا العباب عباب المحبط الهندي حتى وصلت إلى قرب المحيط الهادي من جانب الشرق كما وصلت ايضا من جهة الجنوب الغربي إلى اقصى نقطة في شرق افريقيا.

ولا استطيع أن احدد الزمن الذي بدأن فيه هذه الصلات. وإنما استنتج بأ، الزمن زمن سحيق وأن البداية كانت منذ امد بعيد ذلك لانني اذكر انني اطلعت في مجلة(هنا لندن) التي صدرت في شهر يوليو في عام 1976على مقال أعيد نشره من جديد وقد نشر من قبل في نفس المجلة عندما كانت تسمى بالمستمع العربي في شهر يوليو عام 1942م هذا المقال فيه عرض لكتاب ألف حسبما قيل باللغة العربية ومؤلفه تاجر يوناني كان يقيم في الاسنكدرية. وقد وصل إلى الجزيرة العربية. ووصل إلى المنطقة الجنوبية لسلطنة عمان أي إلى ظفار. حيث اطلع هناك على كيفية استخراج اللبان من الأشجار ووصل في رحلته إلى شرق افريقيا ووصل إلى جزيرة زنجبار نفسها فيما قيل وذكر لعرب جنوبي شبه الجزيرة العربية.

ولا ريب أن هؤلاء العرب هم عرب عمان وعرب اليمن والكتاب الف في القرن الأول للميلاد فمعنى ذلك أن هذه العلاقة تمتد إلى ما قبل ألفي عام أو ما يزيد عن ذلك. وعندما جاء الاسلام الحنيف فأن هذه الصلات لم تنقطع بل زادت قوة ورسوخا.

والذي سجله التاريخ أن أول هجرة من هجرات العمانيين إلى أفريقيا الشرقية بعدما

اكرم الله - تبارك وتعالى - البشر بالإسلام وغمر هذه البلاد نوره. هي هجرة سليمان وجيفر حفيدي الجلندى بن المستكبر بعدما دارت الحروب الطاحنة ما بينهما وبين الحجاج بن يوسف. وهجرتهما إلى شرق افريقيا دون سائر بلدان العالم تدل دلالة واضحة على أن العلاقات بين العمانيين وبين افريقيا الشرقية علاقات قديمة وأن للعمانيين وجودا هناك والا فما الذي كان يدعوهما إلى ترك أرض فارس وأرض الهند وأرض الصين وغيرها من بلاد العالم والذهاب إلى شرق افريقيا لولا أن العمانيين وجودا هنالك؟

وقد اكتشف في الأيام الاخيرة أن اقدم مسجد بشرق افريقيا كان من بناء هذين الرجلين العمانيين العربيين المسلمين. وهو مسجد بنياه (بمبأ) التي سماها العرب بالجزيرة الخضراء. وكان انتقالهما من عمان إلى هناك في العالم الرابع والسبعين من القرن الاول الهجري. فمعنى هذا أن ذلك المسجد - كما يقول مكتشفوه - بني في القرن الأول الهجري. في الربع الاخير من القرن الأول الهجري.

وظلت العلاقات ما بين العمانيين وما بين المناطق الأفريقية الشرقية علاقات متصلة قائمة طيلة تلك القرون الماضية. ومن خلال وجود العمانيين هناك - مع كونهم أصحاب فكر وأصحاب مدرسة - لا بد من أن يكون لهم أنتاج فكري في المجالين العلمي والأدبي. ولكن الظروف الزمانية التي أتت على الكثير من الثراث العماني هنا في عقر داره هي بطبيعة الحال التي أتت على ذلك الثراث هناك ونتيجة لتلك العوامل فأننا لم نطلع إلا على النزر اليسير من ذاك الكم الثراثي الهائل مما يدلنا على أن العلماء العمانيين الذين ذهبوا إلى هناك كانوا ينشرون فكرهم ويقومون بدورهم في نشر الدعوة الإسلامية في اواسط الأفارقة هناك.

ومن الدلائل التي تدل على أن للعمانيين صلات علمية وفكرية بشرق أفريقيا وجود المدرسة الأباضية بشرق أفريقيا في تلكم القرون الغابرة السحيقة. فقد كانت مدينة (كلوه) حاضرة لهم وكان هنالك الكثير من علمائهم وأولئك العلماء كانوا على

صلة بأخوانهم علماء عمان.

ومما يستفاد مما اطلعنا عليه أن أحد العلماء الذين كانوا ينتمون إلى هذا المذهب وكانوا يقيمون في مدينة (كلبوه) عالم نيسابوري. مشهور (بابي الوليد سليمان الدياري) هذا الرجل كانت له مدرسة هناك. وعندما مات وترك أولادا كان من مشهور أولاده ولدان هم (يارك والوليد) الذي سمى به. وبما أن يارك كان مقدما على أخيه في رجاحة عقله وغزارة علمه وسعة اطلاعه. فقد كان وصي والده وكان وريثه في مدرسته تلك. وقد كان ذلك سببا في حقد أخيه عليه ومنافسته له. فاستصرخ أخوه ببعض علماء عمان فأرسلوا إليه وفدا للنظر في الأحوال هناك والسعي إلى رأب الصدع وجمع الكلمة.

وكتبت رسائل في ذلك من بينها رسالة كتبها العلامة القلهاتي صاحب كتاب الكشف والبيان. وهذا يعني أن للعمانيين دورا فكريا هناك. هلى أن هذا الدور الفكري ما كان أيضا مقطوعا عن الدور السياسي. ولا أدل على ذلك من قيام دولة لبني نبهان في القرن السابع الهجري هناك في شرق أفريقيا في أرض (بته) واستمر وجودهم زمنا طويلا. على أن بعض المؤرخين يذكرون أن البرتغاليين عندما جاءوا إلى شرق أفريقيا مستعمرين وجدوا تأثيرا كبيرا للعمانيين هناك. ووجدوا مدنا على ساحل أفريقيا تضاهي مدن اوربا في ذلك الوقت في حسن عمرانها وفي حسن نظامها. وقد بهرهم هذا الذي لقوه بعدما كانوا يتخيلون أنهم سيجدون الأفرقة هناك اشبه ما يكونون بالسباع في الغابات.

وقد حاول البرتغاليون بكل جهد. وبكل همة أن يمسحوا هوية تلك الشعوب هناك ولكنهم لم يفلحوا رغم استمرار استعمارهم لها زمنا طويلا حتى أنهم عمدوا إلى أمير كان بمدينة (مالندى) فأغتالوه واخذوا ولده الذي كان يسمى (يوسف) وكان طفلا صغيرا لم يتجاوز السابعة من عمره فأخذوه إلى مدينة (جوه) بأرض الهند وعمدوه هناك ونصروه على الملة الكاثوليكية وسموه (فرناندو) حتى يجهل هويته بل يجهل اسمه القديم. ورجع بعد ذلك إلى (مالندى) وكانوا يظنون أنه على ملتهم وأنه

يحمل نفس الفكر الذي يحملونه بعدما غسلوا دماغه - فيما يرون - فأمروه ليكون لهم وسيلة لتغيير هوية الشعب هناك وتحويله عن الإسلام إلى النصرانية ولكنهم فوجئوا بأن الأمر كان خلاف ما يظنون فإذا بهذا الشاب ينتصر لابيه وينتصر لابناء ملته فيقتل القساوسة فجأة. ثم بعد ذلك يشن حربا عصابية ضد الاستعمار البرتغالي. وكان يمخر البحر ويأتيهم ليحرق سفنهم تارة وليغزوهم في أماكنهم تارة أخرى بكل ما يستطيع من قوة وبمن كان معه من الجنود حتى استشهد في سبيل الله وفي سبيل الدفاع عن العقيدة السمحاء. وظل الأفارقة يرددون أناشيد تعكس بطولات هذا الشاب الذي ضحى بنفسه في سبيل دين الله تعالى.

ثم بعد ذلك استصرخ المسلمون الذين هم بافريقية الشرقية بأخوانهم العمانيين بعدما طارد العمانيون الدولة البرتغالية وطهروا شواطيء الخليج من رجسهم ومن أثر استعمارهم وتتبعوا خروجهم في سواحل الهند وفي سواحل أرض فارس المطلة على الخليج وهذا الاستصراخ الذي لم يكن إلا بالعمانيين ليدل دلالة واضحة على مكانة الصلات. وإلا فقد كان أيضا للمسلمين هنالك دولة وهي الدولة العثمانية الناشئة آنذاك. فلماذا اثير الاستصراخ بالعمانيين دون غيرهم لولا متانة الصلات التي تربطهم بهم. وعلى أي حال فإن هذه الفترة - كما قلت - لا بد أن تكون مصحوبة بنشر العلم ونشر الأدب. ولكن تلكم الفتن التي تعاقبت على محيط الساحل الأفريقي هي التي أتت على ذلكم التراث وجاء دور اليعاربة الذين قاوموا الاستعمار البرتغالي واستخلصوا منهم القلعة التي كان يسمونها قلعة (يسوع) وتتبعوا خروجهم من السواحل العمانية.

وكان الرجل الذي اعطى أفريقيا الشرقية عنايتة البالغة هو السلطان سعيد بن سلطان الذي أسس امبراطورية هنالك. وكان نفوذه يمتد من (دجادو) في الجنوب إلى (مقديشو) في الشمال حوالي ألف ميل. ولم يكن هذا النفوذ في الساحل الأفريقي

فحسب بل كان يمتد في اعماق أفريقيا إلى البحيرات. ويدل على ذلك المثل الأفريقي الذي ترجمه أحد العرب إلى بيت شعري عربي والبيت يقول:

أن تعالى زامر بزنجبار   رقص الناس في البحيرات رقصا

هذا المثل قد يكون غير مستساغ في بيئتنا العربية الدينية الإسلامية من حيث أنه يربط المدن بالمزمار مثلا ولكن علينا أن نعلم البيئة التي قيل فيها هذا المثل. فإنه مثل شعبي أفريقي. ومن عادة الأفارقة الارتباط بالناي والارتباط بالطبل فامثلتهم تنبع من بيئتهم كما أ، البدوي أيضا أن مثل فإن لسان ينبع من بيئته كما كان من الشاعر العربي البدوي علي بن الجهم الذي مدح الخليفة العباسي. فقال له:

أنت كالكلب في حفاظك العهد   وكالتيس في قراع الخطوب

أنت كالدلو - لاعدمتك - دلوا   من كبار الدلاء عظيم الذنوب

وعندما انكر على هذا الشاعر أن يمدح الخليفة بمثل هذا المدح فيشبهه تارة بالكلب وتارة بالتيس وثالثة بالدلو. رد عليهم الخليفة نفسه بأن تشبيهه إنما هو نابع من بيئته. فلو تركناه هنا وظل فترة لقال قولا غير هذا القول وفعلا أقرب للخليفة لمدة عام هناك فما كان منه إلا أن افتتح قصيدة قالها بمطلعها المشهور وهو قوله.

عيون المها بين الرصافة والجسر   جلبن الهوى من حيث ادري ولا أدري

فهذا التحول إنما هو نتيجة تحول البيئة وكذلك البيت الشعري المترجم عن المثل الأفريقي إنما يعكس البيئة الأفريقية هناك في شرق أفريقيا. وعلى أي حال فإن ذلك المثل يدل على تغلب نفوذ السلطان سعيد بن سلطان في قلب أفريقيا حتى وصل إلى البحيرات. وقد قام بأمر يعد منعطفا تاريخيا خطيرا وذلك أنه حول بلاطه من مسقط عاصمة عمان إلى زنجبار لتكون زنجبار في ذلك الوقت عاصمة للسلطنة من حيث أنه كان يقيم أكثر ما يقيم هنالك في زنجبار ولا بد أن يصحب مع هذا الأنتقال أيضا لطائفة من العلماء.

وفعلا فقد تردد على شرقي أفريقيا طائفة من العلماء الذين كانوا هنا بعمان من بينهم العلامة المشهور الشيخ ناصر بن أبي نبهان الذي انتقل بصحبة السلطان سعيد بن سلطان إلى شرق أفريقيا وظل هناك فترة طويلة كان في اثنائها يأتي إلى عمان ولكنه لم ينقطع عن زنجبار حتى توفي هناك ولا يزال قبره معروفا إلى اليوم هنالك. وقد كانت وفاته في اليوم الثالث والعشرين من جمادى الأولى عام ألف ومائتين وثلاثة وستين للهجرة (1263هـ) أي قبل وفاة السلطان سعيد بن سلطان بعشر سنوات. كما أن العلامة الشهير الشيخ سلطان ابن محمد البطاشي كانت له أيضا زيارات إلى شرق أفريقيا في ذلك الوقت بمعية السلطان سعيد بن سلطان.

والشيخ ناصر بن أبي نبهان من العلماء الذين عنوا يالتأليف في مجالات متعددة فقد عني بالتأليف في التوحيد وعني بالتأليف في الفقه وعني بالتأليف في الطب والفلك وعني بمجالات متعددة. وكان من أشهر مؤلفاته كتاب ألفه في ستة مجلدات جوابا على سؤال طويل يتعلق بقضايا العقيدة وقد سماه (الحق اليقين) وقد اطلعت على الجزء الأول منه وهو مجلد كبير يتناول جوانب متعددة من قضايا العقيدة وكان كتابه هذا لا ينغلق على فكرة معينة بل يناقش أقوال العلماء على اختلاف اتجاهاتهم الفكرية فقد استعرض فيه كثيرا مما جاء في العقيدة النسفية التي تمثل العقيدة الاشعرية وما في شروح كلامه ثم يتتبع ما قيل في حواشي ذلك الشرح ثم يناقش هذا الكلام على ضوء الادلة من القرآن الكريم ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولهذا الشيخ مؤلفات متعددة من جملة هذه المؤلفات كتاب (لطائف المنن في أحكام السنن) وهو كتاب حاول فيه أن يبوب (الجامع الصغير للإمام جلال الدين السوطي) تبويبا يختلف عن تبويب مصنفه لأن مصنفه بوبه على الحروف الهجائية. بينما الشيخ ناصر بن أبي نبهان أخذ يبوب الكتاب على الأبواب الفقهية. فجمع الأحاديث النبوية التي تتعلق بأي باب من أبواب الفقه في موضعه الخاص في موضع

ذلك الباب. وهكذا أخذ يشرح هذه الأحاديث شرحا غير مخل وغير ممل أي شرحا متوسطا بين التطويل والاختصار؛ ومما يدل على أن هذا الشرح ربما كان في زنجبار وربما كان أثناء عودته من زنجبار إلى عمان في بعض الفترات أو بعض الأوقات. أنه اشار هناك عندما ذكر الأحاديث التي تتعلق بالسواك والترغيب فيه أن أهل زنجبار يحرصون كل الحرص على السواك وقد امتدحهم بذلك واثنى عليهم لتطبيق هذه السنة النبوية ولكنه بجانب ذلك لاحظ على كثير منهم أنهم يستعملون ما يسمى عندهم بالتبغ وهو نبات يمضغ ومضغه يؤثر على الاضراس ويبدل لونها الأبيض إلى السواد فتمنى بجانب محافظتهم على السواك أن لا يكون هذه العادة موجودة فيهم وهذه العادة كانت مألوفة من قبل هناك وقد عهدناها في بعض الناس الذين تقدم بهم العمر قبل عقود من السنين.

وألف الشيخ ناصر بن أبي نبهان كتابا طبيا شعبيا ذكر فيه العلاج بأنواع النباتات الموجودة هناك في شرق أفريقيا سمي هذا الكتاب (السر الجلي اسرار النبات السواحلي) وفي هذا الكتاب قدم مقدمة شارحا فيها ذكر مصطلحات اللغة السواحلية وما فيها من تفخيم المسمى وتصغيره مصطلحات التفخيم ومصطلحات التصغير ومصطلحات الجمع لان في هذه اللغة مصطلحات للتفخيم كما أن في اللغة العربية التصغير فهناك اللفظ قد يفخم وقد يؤتي به عاديا وقد يؤتى به مصغرا وذكر هذه المصطلحات وأورد اسماء الاشجار باللغة السواحلية المستعملة هناك. اللهم إلا ما كان من الأشجار موجودا في البلاد العربية فأنه يترجم بعد ما يذكر الأسم السواحلي الأشجار إلى الأسم العربي المعروف.

وفي عهد السلطان سعيد بن سلطان تولى رئاسة القضاء في زنجبار الشيخ العلامة محمد ابن علي المنذري وظل رئيسا للقضاء إلى وفاته في عهد السلطان ماجد بن سعيد بن سلطان وكانت وفاته في اليوم الثالث عشر من جمادى الثانية من عام ألف ومائتين

وستة وثمانين للهجرة (1286هـ). ولهذا الشيخ مؤلفات متعددة فقد ذكر بعض المترجمين له أنه ألف كتابا في العقيدة سماه(الخلاصة الدامغة) وقد اطلعت على جواب له طويل وجه إليه من قبل الشيخ علي بن عبدالله المزروعي. وهو من المزاريع العمانيين الذين أقاموا في شرق أفريقيا وقد كان الشيخ المزروعي شافعي المذهب اشعري العقيدة فوجه إليه سؤالا فيه مناقشة في موضوع رؤية - الله تعالى. واجاب الشيخ المنذري على هذا السؤال جوابا مطولا أودعه كثيرا مما اطلع عليه من أقوال العلماء المفكرين في شتى المذاهب الفكرية الإسلامية ويدل جوابه هذا على أنه كان أيضا مطلعا على كثير من دقائق على التشريح التي امكن الوصول إليها في ذلك الوقت فقد رسم هناك. كيف ينطلق الشعاع من العين إلى الشيء المبصر ومد خطا ووضع اضلاع مما يدل على أنه كان على اطلاع في هذه العلوم. ويقال أيضا بأن لهذا الشيخ كتابا في اللغة العربية ولعله في النحو أو أنه يجمع ما بين النحو والتصريف.

هذا وللشيخ المزروعي الذي ذكرته أيضا كتاب آخر في العقيدة حاول أن يجاري فيه الشيخ المنذري سماه (الدروع السابغة) ولعله ناقش فيه بعض ما ذكره الشيخ المنذري في كتاب(الخلاص الدامغة).

وابن الشيخ المنذري المذكور تولى القضاء أيضا في زنجبار فترة من الزمن إلى أن توفي في عهد السلطان خليفة بن حارب الذي امتدت سلطنته نحو نصف قرن من الزمن هناك. وقد كانت وفاة الشيخ علي بن محمد المنذري في عام ألف وثلاثمائة وثلاثة وأربعين للهجرة 1343هـ. وقد ألف مؤلفات متعددة منها كتاب مختصر في التوحيد يسمى (نور التوحيد) ومنها كتاب (الصراط المستقيم) وهو أيضا في التوحيد وهو رسالة مختصرة ومنها كتاب رد فيه على مؤلف كندي نصراني ألف كتابا في عهد المأمون رادا على صديق له هاشمي مسلم كان في بلاط المأمون وقد دعاه الهاشمي إلى أن يدخل في دين - الله تعالى - فأنكر ذلك الرجل هذه الدعوة وحاول أن يطمس

بعض الحقائق في رسالة وجهها إلى ذلك الصديق الذي ابتدأه بالدعوة فاطلع عليها الشيخ المنذري وقد كتب كتابا في الرد على ما كتبه النصراني بعنوان (الرد على النصراني الكندي) في نحو مائتين وستة وثمانين صفحة والكتاب لا يزال موجودا مخطوطا بوزارة التراث القومي والثقافة. وفي هذا الكتاب مناقشة دقيقة للعقيدة النصرانية من خلال الرجوع إلى العهدين العهد القديم والعهد الحديث. مما يدل على أن الشيخ كان على اطلاع على هذين الكتابين وكان على معرفة بالأنجيل واختلافها وتفاوت عباراتها في عرض كثير من الحقائق.

وللشيخ المذكور أيضا شرح على كتاب (مختصر الخصال) وكتاب مختصر الخصال هو للإمام الفقيه العلامة إبراهيم بن قيس الهمداني الحضرمي. الذي هو من اباضية حضرموت وكان في القرن الخامس الهجري وكان على صلة بعلماء عمان وائمتها في ذلك الوقت. وقد رأيت مسودة هذا الشرح أي شرح الشيخ المنذري على هذا الكتاب قبل نحو ثلاثين عاما منذ الآن والكتاب - كما هو - معروف لأنه كتاب متداول مشهور وقد طبعته وزارة التراث القومي والثقافة اخيرا وهو كتاب يشتمل على أبواب في الفقه بعضها في الاديان والعبادات وبعضها في المعاملات وبعضها أيضا في الاخلاق.

وقد اختصر الشيخ المنذري - فيما اخبرت - كتاب (الاستقامة) للإمام المشهور أبي سعيد الكدمي إلا أنني لم اطلع على هذا المختصر وله مؤلفات أخرى. ولعمه الشيخ عبدالله بن علي المنذري أيضا مؤلفات ولكنني لم اطلع على شيء منها وإنما سمعت عنها.

هذا ولنرجع قليلا إلى الخلف بعد ما انتهى عهد السلطان سعيد بن سلطان وجاء دور ابنه السيد ماجد ابن سعيد فقد ظلت العلاقة مستمرة ما بين عمان وما بين زنجبار بشرق أفريقيا في ظل حكم السلاطين البوسعيد الموجودين هنا وهناك.

ثم جاء بعد ذلك عهد السيد برغش بن سعيد حرص على أن يدخل بالبلاد أي شرق أفريقيا طورا جديدا فأنشأ المباني العمرانية المتطورة ومد انابيب المياه إلى المدينة من مكان بعيد نوعا ما. وحاول أيضا أن يطور الثقافة والوعي هناك. وأتى باول مطبعة تطبع الكتب العربية هناك هذه المطبعة. ابتدأت الطباعة فيها في عام ألف ومائتين وسبعة وتسعين (1297هـ). وابتدأ أول ما ابتدأ بطباعة قاموس الشريعة الذي يقع في تسعين مجلدا وقد طبع منه السلطان برغش سبعة عشر (17) مجلدا ثم طبعت كتب أخرى واستمر السلاطين هناك يطبعون على تلك المطبعة مجموعة من الكتب العمانية وغيرها إلى عهد السلطان حمود بن محمد بن سعيد ابن سلطان. وفي عهد السلطان برغش انتقل كثير من علماء عمان وأدابائها من عمان إلى شرق أفريقيا لاسباب بعضها يعود إلى ما كان في عمان آنذاك من فتن قبلية وتقاتل ما بين العمانيين أنفسهم في ظل العصبيات القبيلة البغيضة وبالتأكيد فإن مشايخ العلم. ما كانوا يرتاحون إلى ذلك الوضع وما كانوا يتلاءمون وينسجمون مع أفكار زعماء القبائل الذين كان معظمهم اجهل من عشائرهم ولذلك كانوا يقودون عشائرهم إلى هذه الحرب الطاحنة؛ ومن هذه الأسباب ضيق المعيشة في عمان آنذاك واتساعها هناك في شرق أفريقيا فقد كانوا يعيشون هناك عيشة رغدة.

ومن تلكم الأسباب تشجيع السلطان برغش بن سعيد لأهل العلم. فلذلك حاول كثير من العلماء الهجرة من هنا إلى هناك. فكانت هجرة الشيخ يحي بن خلفان بن أبي نبهان الخروصي الذي تولى رئاسة القضاء هناك وكانت هجرة الشيخ سالم بن عديم البهلاني الرواحي الذي اصطحب معه أبنه وهو صغير هو العلامة المشهور الشاعر الكبير أبو مسلم ناصر بن سالم بن عديم البهلاني الرواحي. فقد ذهب الشيخ سالم بن عديم من سلطنة عمان إلى سلطنة زنجبار في عام ألف ومائتين وخمسة وتسعين للهجرة (1295هـ). وكان معه ابنه أبو مسلم وكان أبو مسلم آنذاك حسب ما قيل

لي لا يتجاوز السبعة عشر عاما. فظل الأب والأبن هناك وتولى الأب القضاء أيضا عند السلطان برغش بن سعيد وظل أبنه يتعلم ويتولى بعض المناصب الدينية في عهد ذلك السلطان وبعد خمس سنوات رجع الأبن إلى عمان ثم بعد ما قضى خمس سنوات أخرى هنا في عمان عاد أدراجه إلى شرق أفريقيا ليلقي بها عصى الترحال. وظل هناك إلى أن توفي في عام ألف وثلاثمائة وتسعة وثلاثين (1339هـ) ولم اطلع على شيء من المؤلفات للشيخ سالم بن عديم مع أنه كان مشهورا أنه من كبار العلماء في ذلك الوقت ولربما كانت له اجوبة ولربما كانت له مؤلفات وقد تلاشت. أما أبنه أبو مسلم فقد عني بالتأليف كما عني بقرض الشعر وعني بالصحافة في نفس الوقت وترك مؤلفات جمة من بينها كتاب (نثار الجوهر) وهو اشهر مؤلفاته وهو كتاب ينبئ عن غزارة علم مؤلفة فإنه يربط فيه بين الفقه والحديث وفي نفس الوقت يصل الفروع فيه بالأصول وهو يبحث المسألة بحثا أصوليا بحيث يؤصل كل مسألة ويؤصل ما جاء بها من خلاف فيتناول أقوال العلماء من مختلف المذاهب الإسلامية وكأنما الكتاب أراده مؤلفه أن يكون موسوعة فقهية اسلامية شاملة لجميع المذاهب الإسلامية.

والكتاب يدل على عمق اطلاع مؤلفه فإنه اطلع على مؤلفات الأئمة الأوائل وكان ينقل من هذه المؤلفات نفسها فضلا عن نقله عما استجد من بعض مؤلفات اصحاب تلكم المذاهب فكان ينقل عن الإمام الشافعي في كتابه (الأم) وكان ينقل عن الإمام مالك في كتابه (المدونة) وعن الموطأ. وينقل أيضا عن أئمة الحنفية من كتبهم المشهورة (الهداية وشروحها) والمبسوط للإمام السرخسي.

وبالجملة فإن الكتاب يدل على سعة علم مؤلفه كما يدل أيضا على اطلاعه على كتب الحديث مع قلة المراجع الحديثية في ذلك الوقت لان المطابع ما كانت قد نشرتها الآن ولكن وقف له الأجل بالمرصاد فلم تتحقق امنيته في انجاز هذا الكتاب المبارك بل وصل فيه إلى كتاب (الجنائز) واشتمل الكتاب على مقدمة في التوحيد ثم على

كتاب (الطهارات) وكتاب (الصلاة) ثم على كتاب (الصوم) ويقع هذا الكتاب في ثلاثة مجلدات تم المجلدان الأول والثاني ونهاية المجلد الثاني بنهاية أبواب الصلاة. أما المجلد الثالث فهو في الصوم. ونثر في هذا الكتاب كتاب (جوهر النظام) للإمام العلامة المحقق نور الدين السالمي - رحمه الله تعالى -.

ومن تأمل هذا الكتاب وجد - كما يقول بنفسه - شرحا من جوهر ولأصله الذي هو أرجوزة العلامة الصائغي في الفقه وبما أن صاحب الجوهر قدم كتاب الصوم على كتاب الجنائز فإن مؤلف النثار ايضا سار هذا السير فلذلك كان انتهاء كتابه بكتاب الجنائز ولم يأت إلا بعض احكامها وقيل لي بأنه كان يتحرى بأن يكون في اثنين وعشرين مجلدا مع أن مجلداته ضخمة جدا كما هو واضح بعد ما صور هذا الكتاب وتداولته الايدي وتناقله الناس من مكان إلى مكان.

ولهذا الشيخ من مؤلفات كتاب (العقيدة الوهبية) وهو كتاب جم الفائدة إلا أنه لم يوجد بكامله وقد برز في هذا الكتاب في البحوث الكلامية وخصوصا في مسألة الأسماء والمسميات هل الاسم هو عين المسمى أم أن الاسم هو غير المسمى كما أن له كتبا في نشأة الرسول] صلى الله عليه وسلم [وهو كتاب (النشأة المحمدية) ومنها كتاب (النور المحمدي) وله أيضا كتاب في اسماء الله يسمى (أرواح الاسرار وألواح الأنوار) وجمع أفكاره الشعرية في كتاب سماه كتاب (النفس الرحماني في أذكار أبي مسلم البهلاني) أتى فيه بثمانية أذكار، الذكر الأول منها الوادي المقدس الذي هو عبارة عن قصيدة بجميع اسمائه الحسنى وتوسل إليه - سبحانه وتعالى - فيها ومن بين الأذكار (المعرج الاسنى في أسماء الله الحسنى) ومن بين هذه الأذكار أيضا (درك المنى في تخميس سموط الثنا) وقد خمس في هذا الذكر قصيدة للإمام المحقق العلامة الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي وكان الشيخ يبتهل بها إلى ربه سبحانه وتعالى، ويتضرع إليه بأن يبعث المسلمين وأن يجمع كلمتهم وأن يرأب صدعهم وقد حرص العلامة

أبو مسلم أن يكون تخميسه لهذه القصيدة منسجما تمام الإنسجام مع الأصل لفظا ومعنى، كما يدل على ذلك مطلع هذا التخميس فإن القصيدة مطلعها:

سموط ثناء في سموط فريد   بكل لسان قد بثن وجيد

وإذ بالمخمس يقول:

اوجه باسم الله وجه شهودي   لعز جلال الله رب وجودي
تسابيح اخلاصي له وصمودي   سموط ثناء في سموط فريد
بكل لسان قد بثن وجيد   وحب له في لب قلبي وقشره
وخـوف يـوازيـه رجـاء لبره   وشكر ومن لى أن اقوم بشكر
وحمد تغص الكائنات بنشره   إذا نـشرت منه اجـل بـرود
وشوق يذيب النفس لاعج حره   ووقفة مضطر اسـير بفقره
واخلاص ستر نوره حشو ستره   وذكر له تحيا النفوس بذكره
ويبعث قبل البعث من هو مودى   صرفت مرادي فيه طوعا الصرفه
حقيقة ذكرى انني عين ظرفه   حباني به طيبا عرفت بعرفه
تعطرت الآفاق من طيب عرفه   فما مسك دارين يشاب بعود

وعندما جاء إلى الموضوع الاساسي للقصيدة وهو ابتهاله إلى الله بأن يغيث المسلمين ويقهر اعداء الدين – أن يقطع دابر الملحدين قال:

الهـي عـدو الله يشفى غليله   سبيلك يدينها ويعلي سبيله
يغالب أمـر الله حتى يحيله   فيا غارة الله اغضبي وخيوله
اركبي ومواضيه انعمى بورود   ودائرة السوء استمري بدورة
عليه ومقت الله خذه بسورة   ويابطشة الله اسحقيه بثورة

ومني على الاعداء منك بزورة تريحهم من كفرهم بلحود
ومرقهم اللهم كل ممزق باهلك غلبا فيلقا بعد فيلق
ونكل بهم وامحقهم بالتفرق ويارب مزق كل سور وخندق
عليهم وحصن شامخ ووصيد طغوا في بلاد الله لما تطقهم
وتغييرك اللهم لم يعتنقهم وانك بالمرصاد خذهم وبقهم
وقد مكروا فامكر بهم واذقهم عواقب مكر في البلاد شديد
لقد وطئوا الدنيا برجس مرجس وعانوا بظلم في عبادك مضرس
شياطين ملعونين من كل ملبس فطهر بقاع الأرض منهم بانفس
من البغي تجريها بكل صعيد الهي قبيل جاحد لك قد غوى
يعاديك لا يألو على حربك انطوى ابده ومن والاه وحيا وما حوى
وشرد بهم في كل أرض فلا سوى فتيل ومأسور يرى وطريد
بغيرتك اللهم يا حامي الحمى بسطوتك اللهم يا رافع السما
سميع دعائي كن عليهم مدمدما وصب عليهم سوط منتقم كما
لعاد وفرعون جرى وثمود وعذبهم نكر العذاب ودنهم
وشدد عليهم وطأة واهنهم وعن كل خزي ربنا لا تصنهم
ولا تبق ديارا على الأرض منهم فما قوم نوح منهم ببعيد

فالمطلع على هذا التخميس من غير أن يعرف أن الأصل لغير المخمس يتوهم أن الجميع لناظم واحد نظرا للتوافق والانسجام الذي بين الأصل والتخميس.

هذا وكان - كما قلت - للعلامة أبي مسلم دور ريادي في الصحافة هناك فقد انشأ مجلة سميت آنذاك (بالنجاح) وتولى رئاسة تحريرها فترة طويلة وكان

يتابع الاحداث في العالم الإسلامي ويهتم بكل ما يجري في العالم ولا يألوا جهدا أن يشارك اخوانه المسلمين جميع همومهم ولا أدل على ذلك من أنه كان – على بعد الشقة – يحرص على أن يراسل أخوانه المسلمين الذين يهتمون بالقضايا الإسلامية ويجتمعون من أجل القضايا الإسلامية في ذلك الفرعونية في مصر قائمة وكان الناس يدعون أن مصر فرعونية وهي دعاية استعمارية لقطع صلة المصريين بالإسلام واعتبار المسلمين مستعمرين دخلاء عليهم وانعقد من أجل ذلك مؤتمر إسلامي برئاسة (ياض باشا) في مصر ما كاد يسمع أبو مسلم هذه الأنباء حتى بادل أخوانه المسلمين هناك همومه وأرسل إليهم قصيدة عصماء يؤيد فيها المجتمعين في ذلك المؤتمر وكانت فاتحة القصيدة:

هــزت الـعـالم أدوار البشر ... ينقضي الـدور بـأدوار أخر
كـل دور رقـص الـدهـر له ... ضايق العالم وارتـاد القمر
أيهـا الـعـالم سعها جلدا ... إن نصف الليل يتلوه السحر
ان هــذا الـنـيـل أم حافل ... كلنا يـرضـع منها ويـذر
فـغـدت حافلنا ترضعها ... حـيـة أشـبـه شيء بسقر
رضـعـتـهـا لـبـنـا ثـم دمـا ... واغتبطنا بمشاش ووبـر
وهــي لا يقنعها مـا ترتمي ... لا ولا يقنعها بلع الحجر
ذكرتنا بعصا موسى على ... أن ذي تلقف أرواح البشر
نيلنا في الغرب يجري ذهبا ... وبقينا نـترامـى في الحفر

إلى قوله:

لو يكون الشعر نصرا لم أزل ... أنظم الانجم لا أرضى الدرر
لو ملكنا السيف لم نرجع إلى ... قلم في النصر أن قـام عثر

ودعا للمؤتمرين بالنجاح ودعا لـ(رياض باشا) نفسه بطول العمر.

وفي عهد السلطان برغش بن سعيد بن سلطان هاجر ايضا من عمان العلامة المشهور الشيخ سيف بن ناصر الخروصي وكانت هجرته إلى شرق افريقيا في عام ألف وثلاثمائة للهجرة 1300هـ على أنه لم تنقطع صلته بعمان بل كان يأتي إليها بين الحين والآخر. وهذا الشيخ كان قبل عهد السلطان حمود بن محمد مرجع القضاء والفتوى في زنجبار فالشيخ سيف بن ناصر كانت مكانته هنالك مكانة مرموقة وكان شأنه ما بين المسلمين العمانيين وغيرهم شأنا رفيعا وكان له اسهام في التأليف. ومن بين مؤلفاته كتابه الذي سبكه سبكا رصينا وهو كتاب (الجامع اركان الإسلام) تحدث فيه عن اركان الإسلام بعباراته الرصينة التي تشبه إلى حد بعيد بعبارات صاحب (النيل).

ولهذا الشيخ ايضا مؤلف في العقيدة وهو مؤلف مختصر سبكه سبكا يشبه سبك (جامع اركان الإسلام) وقد شرحه موسعا في جزئين وعنوان الشرح (الارشاد بشرح مهمة الأعتقاد) تناول الجزء الأول القضايا الاعتقادية اما الجزء الثاني فقد تناول المذهب وتفاصيلة من الناحية التاريخية والفكرية ايضا إلا أن هذا الكتاب كانت موجودة منه نسخة واحدة واظنها بخط مؤلفه وللأسف الشديد تلاشت تلك النسخة بعد ما وصلت إلى ايدينا ولا نعرف مكانها الآن. وكما أن العمانيين الذين وفدوا إلى شرق افريقيا كان لهم اسهاما في التأليف في شتى المجالات - كما تعلمون - والأمثلة السابقة تدل على ذلك وهي - بالطبع - قليل من كثير؛ فإن للقبائل العمانية التي تسلسل وجودها هناك ايضا اسهام ومن بين هذه الامثلة التي تدل على ذلك ما ذكرته عن العلامة الشيخ محمد بن علي المنذري وولده الشيخ علي بن محمد فإنهما جميعا ممن ولدوا من العمانيين في شرق افريقيا وكان وجود هذه القبيلة بل وجود هذه السلسلة في شرق افريقيا قبل عهد السلطان سعيد بن سلطان. وكما تعلمون فإن للشيخ محمد بن علي مؤلفات ولأخيه الشيخ عبدالله بن علي مؤلفات وأن لم نتطلع عليها إلا إننا سمعنا بتلك المؤلفات فهذه السلسلة مباركة.

ومن العمانيين الذين ألفوا وولدوا في شرق افريقيا العلامة الشيخ علي بن عبدالله المزروعي وغيره من قبيلة المزاريع ومن بين هؤلاء الشيخ الأمين علي المزروعي الذي ألف من بين مؤلفاته رسالة مختصرة في العبادات سماها (هداية الأطفال) وقد ألفها على نمط العصر الحديث في الكتب المدرسية.

ومن المؤلفين ايضا بشرق افريقيا ممن ولد بشرق افريقيا الشيخ محمد بن علي بن خميس البرواني هذا الشيخ انتقل والده من عمان إلى شرق افريقيا وظل هناك إلى أن مات وترك ولده العلامة الشيخ محمد بن علي بن خميس وكان الشيخ العلامة محمد بن علي بن خميس أديبا كوالده بل كانت الناحية الأدبية عنده تطغى على الناحية العلمية والفكرية ولذلك عني بالأدب عناية بالغة وله ديوان شعري وله مقامات ومع أنه ولد هناك بشرق افريقيا ما كان ينسى وطنه الأم عمان. ولذلك سمى بعض المقامات التي احتواها كتابه الخاص بذلك باسماء بلدان عمان فهناك المقامة (الصحارية) وهناك فيما اذكر ايضا المقامة (العمانية).

ومن بين المؤلفين ممن شبوا وترعرعوا في شرق افريقيا وتعلموا هناك ممن ينحدرون من اصول عمانية الشيخ العلامة سالم بن سعيد الشعبي وقد كان شافعي المذهب وألف كتابا في الفرائض سماه (اسمى المقالب المبهمات) شرح فيه جانبا من علوم الفرائض خصوصا. ما يتعلق بتوريث الاجداد شرحا واسعا مطولا ومن بين هؤلاء ايضا الشيخح سليمان بن محمد العلوي. الذي قضى فترة طويلة في التدريس وله كثير من الطلبة واسمه مشهور هناك في شرق افريقيا وقد ألف شرحا مختصر التلامذته على (الاجرومية) للإمام الصنهاجي. كما ألف أيضا شرحا مختصرا لكتاب (متن البناء في علم التصريف) على أن الكثير ممن طواهم الدهر وممن لم تبلغنا اسماؤهم وممن لم يبلغنا انتاجهم كان لهم دور التأليف في شرق افريقيا ممن ينحدرون من أصول عمانية.

هذا ما استطعت استحضاره الآن في هذه الجلسة.

واستمحيكم عذرا بأن ذلك كله كان ارتجالا ولم يكن ناشئا عن التفكير وعن اعداد وعن بحث وتنقيب وقد كان الاحرى ان نرجع إلى المظان التي يمكن منها أن نستلهم ما

هو اكثر من هذه الحقائق وأسأل الله - تبارك وتعالى - التوفيق. ولا يفوتني هنا أن اشكر وزارة التراث القومي والثقافة وعلى رأسها سمو الوزير الموقر السيد فيصل بن علي بن فيصل آل سعيد وأن اشكر سعادة الأخ العزيز رئيس المنتدى وجميع العاملين بوزارة التراث القومي والثقافة على اتاحة هذه الفرصة للحديث إلى هذا الجمع الكريم وأسأل الله - تبارك وتعالى - أن يوفق الجميع لما فيه الخير في ظل القيادة الرشيدة لعاهل البلاد المفدى - حفظه الله تعالى - وشكرا لكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كتاب شجاعة أهل زنجبار

الكاتب الانجليزي تورنس روير

وبذيلة كتاب

الحضارات المتعاقبة علي سلطنة زنجبار

وأثرها علي الاسلام

تأليف

الشيخ عبد الحق ميحي تهامي الزنجباري

أعتني بالنص

د/ عمرو عبد الحميد

نظرة أطول على الحرب الأقصر

مقدمة

سجلت الحرب بين زنجيبار وبريطانيا العظمى في عام 1896 كأقصر حرب في التاريخ وغالباً ما كانت تعامل كحدث أشبه بالدراما الهزلية ولا تستحق حتى أن تتم دراستها بشكل جدي. قصة الحرب على أي حال كشفت عن دروس طويلة الأمد، وفترتها القصيرة في الواقع يمكنها أن توجه التركيز نحو أكبر قضايا العصر ألا وهو العنف السياسي.

تم غزو زنجيبار عدة مرات خلال تاريخها ولكن مرة بعد أخرى كان السكان يعيدون تأكيد ذاتهم ووجودهم، كان الهدوء يسود فقط عندما كان يشعر السكان بأنه يمكنهم الدخول في حوار هادف مع حكامهم حول كيفية حكمهم وحتى أن يكون لهم قرار في تحديد الأشخاص الذين يجب أن يكونوا بين الشخصيات القيادية في زنجيبار. هذه المبادئ تعارضت مع قيم " القدر المحتوم" البريطانية في ذلك الوقت. بطريقة أو بأخرى تعاملت زنجيبار مع هذا التعارض المختصر بأن أطلقت نداءاتها المدوية عبر التاريخ لتحديد مصيرها، وعلى الرغم من تصعيد العنف هناك إلا أنه لا زال هناك بعض الأصوات من زنجيبار، والرسالة يمكن سماعها حتى اليوم إذا ما أمعنت السمع عن قرب.

الظروف

في ظهر يوم الخامس والعشرين من شهر أغسطس لعام 1869 توفي سيد حميد بن ثويان بن سعيد سلطان زنجيبار وبيمبا ومافيا ولامو وجميع مناطق "السيدي" (البر الرئيسي "الشريط الساحلي"). بوفاته بدأت العائلات الحاكمة في زنجيبار بالتنازع حول الوصول الى العرش.

المستوطنون العمانيون بها في ذلك العائلة الملكية والعائلات والعشائر البارزة جميعهم لهم تاريخ حافل في قضية تحديد المصير وخصوصاً عندما تصل الأمور الى اختيار حاكم جديد.

تم ترسيخ هذا التقليد في عملية الاتفاق العشائري الذي تم الاتفاق على إجراءاته لاختيار إمام في البلدة القديمة (عمان). بالعودة الى عام 751 كان يتم اختيار الإمام باتفاق شيوخ العشائر. عملية الاختيار / التوافق كانت مثال واضح ومبكر على نظام المساواة في عهد ساد فيه الطغاة.

إن تنفيذ السياسات الزنجبارية الخاصة بتعاقب الخلافة والتي كانت تستمد من التعاليم الدينية القديمة للانتخاب كانت لا تخلو أحياناً من الصدام وسفك الدماء، ربما كانت المنافسة بين الشخصيات القيادية في الائتلافات الأقوى عنفاً. في عام 1859 كان النظام ينص على "جميع الورثة الذكور يتساوون في حقهم في التعاقب على الحكم، الى جانب انتخابات القبيلة وهو الحق الوحيد". عندما سئل السلطان برجاش عن أنظمة الخلافة في زنجيبار وصفها بإيجاز بقوله أن الحق في وراثة التاج يكون للمنافس صاحب "السيف الأطول".

بعد وفاة سيد حامد كان من الواضح أن المنافس صاحب "السيف الأطول" هو خالد بن برجاش، وهو شاب في التاسع والعشرين من العمر وكان مدعوماً من قبل غالبية رجال الأعمال المحليين وأصحاب الأراضي الكبيرة في المنطقة، وكان مقبولا من قبل شعوب واهامادي وواتومباتو كما كان من أسرة نبيلة، وعلى أي حال لم يكون مقبولا من البريطانيين.

رجل البريطانيين كان حمود بن محمد وهو ابن أخ سلطان عمان السابق والذين كان مهتماً بشكل كبير بأساليب الحياة الحديثة، كان البريطانيين يعتقدون بأن التعامل معه سيكون أسهل من خالد صاحب العقلية الاستقلالية.

اعتبرت العائلات الزنجيبارية هذا التدخل السافر في نظام الخلافة فيها إهانة لكرامتهم وحقوقهم التقليدية. رغم كل شيء خالد كان حفيد الأب المؤسس للبلاد سيد سعيد. وقد حصل على اتفاق من حشد من العشائر. كما استحوذ على إخلاص أكبر

قوة عسكرية في الجزيرة. في الرابعة عصراً من مساء ذلك الثلاثاء أكمل الاختبارات النهائية للإرث واحتل القصر وتولى زمام الأمور في الميناء وأسطول السفن ومعظم أجزاء العاصمة. كان البريطانيون غاضبون وقد بدؤوا بالتحضير للحرب، كان هناك سفينتان حربيتان ترسوان أصلاً في الميناء عند وفاة السلطان القديم. أمرت الحكومة البريطانية أعلى أدميرال لديها في المحيط الهندي بسرعة التحرك الى زنجيبار مع قيادة سفينته بالاضافة الى سفينتين حربيتين أخرتين قريبتين صدرت لهما الأوامر بسرعة التوجه الى الجزيرة بأسرع وقت ممكن.

صدرت الأوامر في مساء الخامس والعشرين من شهر أغسطس، كان لدى الرجال الزنجيباريين في القصر 40 ساعة فقط ليفكروا بمصيرهم، أن يقاتلوا أو أن يهربوا؟ هل يبقون؟ هل يستجيبون لنداء خالد بالانتظار هناك والتحديق بحزم في عيون إمبراطورية الأسد الهائلة التي كانت تستجمع قواها للهجوم عليهم؟

القوات المغتصبين

انقسمت القوات الزنجيبارية في المدينة، السلطان القديم كان لديه حراس القصر والذين يعتبرون الفئة الأقوى والأكثر تجهيزاً خلال السنوات الأخيرة من حكمه، هذه القوة غير المتجانسة التي استكملت بناءها من قبل كتائب المدفعية والتي شملت جنوداً زنجيباريين وعرب وبلوش وبارسيين (وكذلك بعض جنود المدفعية المصريين) بلغ عدد أفراد الحرس الملكي ما يقارب من الألف جندي.

في حاجة هذه القوة الى قيادة رجل توجهت الى خالد عندما بدأ الصراع على الخلافة، بالإضافة الى ذلك فقد أحضر خالد معه 300 رجل من التابعين له بكامل تنظيمهم وسلاحهم عند احتلاله للقصر. بمجرد سيطرته على القصر وانتشار خبر طلب البريطانيين احتشد 1500 زنجيباري للانضمام إليه، وكنتيجة لذلك فقدوصل عدد أفراد القوة الى 2800 جندي. هؤلاء الرجال تحصنوا في القصر وبيت الحريم

المجاور له بالاضافة الى الواجهة البحرية للمجمع.

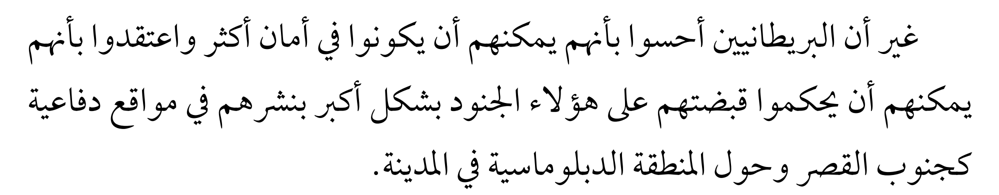
سلاح البحرية الزنجيباري الذي كانت قواربه الشراعية تسيطر على الساحل الشرقي لإفريقيا في يوم من الأيام كانت قواربه قد بيعت في ذلك الوقت أو تم تحويلها للاستخدام التجاري، في الوقت الذي تولت فيه البحرية البريطانية مهمة حراسة المحيط الهندي. على أي حال كان هناك سفينة واحدة جديدة تم شراؤها كباخرة للسلطان، هذه السفينة واسمها H.H.S. Glasgow (هكذا تم تسميتها بعد أن تم ضمها للترسانة) رست في الميناء وأقسم طاقمها على الولاء لسيد خالد كسلطان جديد لهم وأطلقت مدافعهم القديمة والضخمة عدة طلقات كتحية له.

الجنود الحكوميون

من ناحية أخرى كان الجنود الزنجيباريون النظاميون (الحكوميون) والذين يقدر عددهم بـ 900 رجل مقسمين الى فرقتين (بالاضافة الى سرية) وكان يقودهم ضباط بريطانيون محسوبون على السلطان القديم، قائد هذه القوة كان ملازماً سابقاً في البحرية البريطانية وأحد الذين كانوا يعارون للحكومة الزنجيبارية في تلك الأيام. استطاع من خلال هذه النقطة الوصول الى رتبة جنرال في جيش السلطان. كان اسمه لويد ماثيوس.

كان ماثيوس قد حفز قواته جيداً وقد أظهروا انضباطاً وروحاً قتالية عالية خلال عرض عقابي قاموا به على الشاطئ بطلب من الحكومة (و/ أو من المقيمين البريطانيين)، بيد أنهم في المقام الأول كانوا مجرد فرقة مشاة بأسلحة خفيفة.

كان هناك قلق شديد بين الدبلوماسيين البريطانيين حول إخلاص وولاء هؤلاء "الجنود الموالين" والحقيقة أنهم قد أظهروا بعض التعاطف مع الوساطة البريطانية، ولكنهم بجميع الأحوال كانوا مهنيين وكان ماثيوس يؤكد أنهم على استعداد لتنفيذ أية أوامر قد يعطيها لهم.



غير أن البريطانيين أحسوا بأنهم يمكنهم أن يكونوا في أمان أكثر واعتقدوا بأنهم يمكنهم أن يحكموا قبضتهم على هؤلاء الجنود بشكل أكبر بنشرهم في مواقع دفاعية كجنوب القصر وحول المنطقة الدبلوماسية في المدينة.

سلاح البحرية الملكي

عند وفاة السلطان القديم كانت ترسو سفينتان في الميناء هما المدمرة البريطانية الخفيفة H.M.S. Philomel والقارب المسلح H.M.S. Thrush وانضمت لهما توأمThrush وهي السفينة H.M.S. Sparrow في الساعة 5:30، ولاحقاً في نفس مساء يوم الثلاثاء تم تعزيز القوات الحكومية بوحدات من مشاة البحرية الذين نزلوا من السفن. هؤلاء المشاة أحضروا معهم بعض الرماة البحريين حيث كان معهم على الأقل قطعة ميدانية واحدة واثنين من الرشاشات الكبيرة (رشاش مكسيم)، وقد تم تثبيتهم في مواقعهم حول السفارة البريطانية.

بعد ذلك بدأت قوات البحرية الإضافية بالتجمع، بعد ذلك في الساعة 9:00 صباحاً من يوم الأربعاء ظهرت الباخرة الأكبر هي H.M.S. Raccoon وبعد ذلك في منتصف يوم السادس والعشرين من شهر أغسطس لعام 1869 ظهرت الباخرة الضخمة H.M.S. St. George ورست في ميناء زنجيبار.

هذه البواخر الخمسة الضخمة كانت تعلوها 67 نوعاً مختلفاً من الأسلحة وبقياسات مختلفة وتنوعت في حجمها من 3 مدافع عالية الدقة الى مجموعة بنادق من مقاس 9.2 انش.

- 20 مدفع بدقة 3
- 12 مدافع بدقة 6
- 8 مدافع بدقة 9
- 12 رشاش بقياس 4 انش

- 8 رشاشات بقياس 4.7 انش
- 16 رشاش بقياس 6.0 انش

هذه السفن أيضا حملت على متنها العديد من الرشاشات الثقيلة وكل واحدة كان عليها عدة عربات مقطورة وكان يتولى الإطلاق منها جنود المارينز الذين نزلوا الى الميناء، تحركت السفن من الميناء وكانت تناور بالقرب من السفارة المحصنة. سفينة H.M.S. Sparrow أنهت اليوم الثاني من المواجهة راسية أمام القصر مباشرة. سفينة H.M.S Thrush كانت متجهة الى الشمال قليلاً ولكنها كانت أقرب الى الشاطئ فقد كانت تبعد 200 ياردة فقط عن الواجهة البحرية.

كانت هذه أكبر قوة تجمعت على الساحل الشرقي لإفريقيا في أي وقت مضى.

لحظات وجودية

رد الفعل الزنجيباري على ترتيب هذا القوات كان التحدي المستمر من جهة والمناورات الدبلوماسية من جهة أخرى. بعث البريطانيين بإنذار مكتوب، طلب من السلطان خالد أن يخرج من القصر وأن يفرق قواته وإلا فإن البريطانيين سيهاجمون، حتى أنه قد تم تحذيره من قبل البريطانيين " بأنه قد قام اغتصاب السلطنة الزنجيبارية بدون استشارة القوة الحامية" وأنه " قد ارتكب عملاً يدل على العصيان المعلن ضد حكومة جلالة الملكة البريطانية" رفض البريطانيون التفاوض أو التواصل مع "القوات المتمردة".

رد السيد خالد بأنه لن يهاجم الأوروبيين وأن كل يتمناه هو أن يسود السلام بينه وبينهم، ولكنه أيضاً قال بأنه لن يترك القصر "بيته وبيت أبيه" اتصل السيد خالد بالحكومات الفرنسية والأمريكية والألمانية طلباً لوساطتهم ولكنهم رفضوا جميعاً، لقد كان لكل منهم معاهدة اتفاق مع الحكومة البريطانية وقد قاموا بتأجيل كل الأمور المتعلقة بينهم تماشياً مع اتفاقية الحماية البريطانية. طلب السلطان من السفير

الأمريكي إيصال رسالة الى الملكة ونصها " الملكة فكتوريا، لندن: لقد توفي حامد بن ثويني وقد ورثت عرش أجدادي، وأنا آمل أن تستمر علاقات الصداقة بيننا كما كانت. السلطان خالد بن برجاش". هذه الرسالة لم تصل أبداً.

البعض أشار الى توجيه هذه الجهود للاشتراك في حملة دبلوماسية طويلة (بلا شك أنها ستكون طويلة) بحيث تشير الى عدم وعي الزنجيباريين بالأخطار الحالية التي تحيط بهم وبأنهم سيكونون أغبياء إذا لم يدركوا مدى خطورة السلاح البريطاني ومدى تشوقهم لاستخدامه.

من الواضح أن هذا الكلام خاطئ، مما لا شك فيه أن القيادة الزنجيبارية عرفت مدى خطورة وقوة السلاح البريطاني، فمنذ فترة حكم أجداد السلطان خالد زار بعض وزرائه مصانع التسليح الضخمة في أوروبا في فترة الثورة الصناعية، كما أن لديهم سنوات من الخبرة مع سلاح البحرية البريطانية وشهدوا منذ فترة قريبة بأم أعينهم عمليات سلاح البحرية البريطاني في المحيط الهندي.

فيما يتعلق بجدية التهديدات البريطانية، لقد عرف الزنجيباريون أيضاً أن البريطانيين لم يظهروا أي ندم على استخدام هذه الأسلحة في مياه من يواجههم، جميعهم يعرفون مثال مدينة الإسكندرية وما حدث فيها في عام 1882، هذه المدينة الشرقية الأخرى والتي قصفت لمدة 6 ساعات متواصلة بدون توقف من قبل سلاح البحرية الإمبراطوري، بل ربما كان هناك عدد قليل من المخضرمين وكبار السن من قدامى المحاربين بين رجال مدفعية السلطان الأجانب الذين شهدوا ما حدث ضد البريطانيين في المعركة قبل 14 عاماً.

كانت الإسكندرية مقراً للوطنيين المصريين ومركزاً لمقاومة الحكومة العميلة والتي وضعها البريطانيين، عندما أحكم الوطنيون السيطرة على المدينة قامت 19 سفينة بفتح النار عليهم، إن رغبة البريطانيين في إطلاق النار على هذه المدن عالية

الكثافة السكانية لم تكن أبداً موضع شك مرة أخرى في هذا الجزء من العالم.

لقد عرف الزنجيباريون تماماً ما سيكلفهم موقف التحدي الذي اتخذوه ولكنهم مع ذلك انتظروا ولم يغادر شخص واحد القصر المحصن وقتها.

مع حلول الليل توجه خالد الى مسجد عام ليصلي وليثبت أنه غير خائف من المشي في الشوارع، وعندما هبط الظلام عم صمتٌ غريبٌ في المدينة، قال بعض الشهود بأنهم " لم يعرفوا ليلة أكثر هدوءاً من تلك الليلة" بينما كتب آخرون " كان الصمت عميقاً وغريباً... إن كل الضوضاء التي لا نهاية لها من أصوات الأقدام وحديث الناس وأصواتهم وهم يأكلون ويعملون ويلعبون كلها اختفت، كانت المدينة وكأنها لا تتنفس ويملؤها التوتر والخوف".

المعركة

لقد كان صباح يوم السابع والعشرين صافياً وطلع مبكراً حاله حال المواطنين الذين صعدوا الى سطوح المباني ليشاهدوا ما سيحدث، القادة الزنجيباريون بعثوا برسالة مرة أخرى الى الأمريكيين طالبين منهم إرسال برقية الى لندن، ولكن الممثل الأمريكي رفض بقوله " إن السلطان خالد غير معترف به من قبل القوة الحامية وليس معترفٌ به من طرفي كذلك" بهذه اللغة الدبلوماسية كانت قد انتهت آمال آخر فرصة للسلام.

تم اختيار المستشار الأمريكي للعب دور الوساطة من قبل الزنجيباريين وذلك لأن الولايات المتحدة الأمريكية لم تكن واحدة من الدول التي كان لها حصة في شرق إفريقيا بناءً على مؤتمر برلين المخزي عام 1885. ورغم ذلك فقد رفض الضباط الأمريكيون إيصال الرسائل أو التفاوض حول حق "قوة حامية" في حماية أرواح السكان المحليين. كان هذا بلا شك يوماً أسوداً للدبلوماسية.

لقد حدد البريطانيون مهلة حتى الساعة 9:00 صباحاً كموعد لبداية الحرب

وكان سلاح البحرية ينوي بدء إطلاق النار على القصر ما لم تنسحب القوات من القصر وتستسلم قبل ذلك الموعد، قبل الساعة المحددة حصل مشهد شجاع، خرج من المجمع الزنجيباري قارب صغير وأبحر ببطء متجاوزاً ثلاثة سفن بريطانية، كانت مهمته هي إيصال قائد قوات السلطان الى سفينته الوحيدة المسلحة وهي H.M.S. Glasgow، كان هذا القارب الحربي الخشبي الصغير محاصراً بخمس بواخر عملاقة مسلحة ولكن الرجال على هذا القارب لم يقوموا بأي حركة لرفع المرساة والهرب، عند وصول القائد بدؤوا رسميا بإعداد التحضيرات النهائية اللازمة لتجهيز مدافعهم الضخمة وتوجيهها نحو السفينتين البريطانيتين القريبتين، فسر البريطانيون هذا التصرف والتحدي بأن الزنجيباريين لن يخفضوا أية أعلام ولن يستسلموا في ذلك اليوم.

بدأ الأسطول الإمبراطوري البريطاني بإطلاق النار تماماً في الوقت المحدد ومباشرة باتجاه تجمع الرجال الزنجيباريين على الشاطئ، ومباشرة رد الزنجيباريون بإطلاق النار، في تمام الساعة 9:05 بدأت السفينة H.M.S. Glasgow إطلاق النار على الأعداء متجاهلة موقعها الصعب. وجه بعدها البريطانيون مدفعيتهم الثقيلة من كلا الجانبين نحو Glasgow، ثقبت السفينة بجنب الخط المجاور للماء وبدأت بعدها بالاستقرار في الماء واستمرت في إطلاق النار حتى بدأت تنزل تحت الماء.

بدأ معظم المراقبون من أسطح المنازل بالفرار عندما بدأت القذائف الطائشة تسقط خلف القصر وفي مختلف أرجاء المدينة وغادروا الأماكن المرتفعة وفي وقت قصير كان من الممكن رؤية الدخان المتصاعد من مدافع كلا الجانبين ولكن بعد ذلك أصبح الدخان يظهر في الأماكن التي قصفت ولاحقاً بدأ مجمع القصر يختفي عن الأنظار بسبب الدخان مع استمرار البريطانيون بالقصف. قدر عدد القنابل التي سقطت على المدينة بما يقارب من الألف قنبلة في ذلك اليوم، إذا كان ذلك صحيحاً فهذا يعني بأنها كانت تسقط قنبلة كل ثلاث ثوان في أفضل الأماكن في المدينة ولمدة ساعة كاملة.

نظراً لانعدام الرؤية فقد تركزت معظم الروايات حول أصوات الانفجارات وليس بناءً على مشاهدتها، قال لنا أحد الشهود " أنه ولمدة خمسة وأربعون دقيقة استمرت الضوضاء الهائلة، الهدير الممل الذي ترافق مع التصدعات التي حدثت في أماكن قصف القذائف والمدافع من الطراز الأول بالاضافة الى أصوات القذائف في الهواء والتي تناثرت شظاياها بشكل عشوائي".

في تمام التاسعة والنصف كانت Glasgow الجريئة صامتة تماماً، جميع المدافع تم تدميرها ومعظم أفراد الطاقم كانوا قد قتلوا أو جرحوا، استقرت السفينة بهدوء في قاع البحر الضحل وبقيت هوائياتها ظاهرة فوق سطح الماء. بدأت النيران الزنجيبارية بالتباطؤ وبدأت بنادقهم غير المتطورة بدأت تتعطل الواحدة تلو الأخرى، حتى النيران البريطانية بدأت تعتمد على السمع لأن مقاتليهم كان يصعب عليهم الاعتماد على النظر لتحديد أهدافهم وحتى الضباط كانوا يبحثون عن إشارات تدل على الاستسلام. في داخل المجمع كان من الممكن رؤية بيت الحريم يحترق بشدة بالاضافة الى المخازن المجاورة للماء، حرك الهواء الدخان جانباً للحظات مما سمح برؤية سارية القصر الكبيرة بشكل واضح، كان العلم الزنجيباري الأحمر اللامع لا يزال يرفرف. استأنف البريطانيون قصفهم وبحماس جديد ومرة أخرى اختفى المشهد تحت الدخان.

بعد 15 دقيقة من القصف لمواقع إطلاق النيران الدفاعية على الشاطئ تم تدميرها كلياً، وتعطلت جميع البنادق الزنجيبارية، وتباطأ القصف البريطاني ومرة أخرى ظهرت سارية القصر وكان قد تم تدمير الجزء العلوي منها وكان العلم قد أصيب أيضاً. الأدميرال راولينز المسؤول عن أحد أسراب البحرية اعتبر ما حدث هو استسلام وأمر سفنه بوقف إطلاق النار. طلب من قوات المارينز بالسيطرة على ما تبقى من القصر من جهة البحر.

وهناك رواية لما حدث في نهاية المعركة وفرها كاتب انجليزي بعد مرور سنة على المعركة.

" إن الرجال الاركاسيين والزنجباريين الذين حملوا بنادقهم دفاعاً عن الجزء المغتصب من أرضهم خرجوا من مرمى البواخر المقاتلة ولم يظهروا أي انطباع يدل على هزيمتهم أو ضعفهم وبقوا كذلك حتى تساقطوا الواحد تلو الآخر وتناثرت أشلاؤهم".

" كانت تنطلق النيران من خلف كل قارب مدرع ومحصن ومحمل بالأسلحة... ولكن هبوط رجال المارينز لم يكن ليمر بدون مقاومة من الطرف الآخر، إطلاق نار هنا وهناك، وفي الوقت الذي كانت فيه تنفجر الرصاصات في المياه الزرقاء في البحر دون أن تسبب أي أذى كانت بعضها تجد لها مستقراً في أجساد الموجودين على السفن".

النتيجة

بتدمير كل الأسلحة باستثناء المسدسات اليدوية وبنزول المئات من قوات المارينز الى الشاطئ أعطى خالد أخيراً الأوامر بالانسحاب من ساحة المعركة مخلفاً وراءه 500 قتيل داخل وحول القصر، طلب السلطان من الجنود الزنجيباريين غير النظاميين نقل الجرحى والعودة بهم الى أحياء المدينة من حيث أتوا، بعد ذلك قاد ما تبقى لديه من رجال بما فيهم الناجون من حرس القصر في مسيرة خطرة عبر المدينة متوجهاً الى السفارة الألمانية. (ومتجهاً الى الجنود الموالين الذين يكن قد سمح لهم بعد بمغادرة مواقعهم الدفاعية).

وصف شاهد كان بالقرب من المنطقة الدبلوماسية المشهد بقوله: " كم كانت دهشتي كبيرة حين وصلت الى القنصلية لأجد مجموعة من العرب وأتباعهم بقيادة خالد وكانوا جميعاً تغطيهم الدماء والأتربة يسيرون نحوي ومتجهين الى القنصلية الألمانية". خالد خدع في طريقه مجموعة من قوات المارينز البريطانيين الذين لم يعرفوه ووصل الى ملجأ القنصلية. الألمان كانت لهم أسبابهم في مساعدة المقاومة ضد البريطانيين فرحبوا بخالد ومجموعة قليلة من القياديين الذين كانوا معه، جنوده بعد ذلك تم سحب أسلحتهم (نهبت أسلحتهم) لكنهم بعد ذلك كانوا قادرين على

الاختفاء في أنحاء الجزيرة بينما كان الجنود الحكوميون وقوات المارينز البريطانية منشغلون بالحاجة الى القضاء على النيران التي تهدد قدرتهم على السيطرة على المدينة وبالتعامل مع حالة الشغب التي ظهرت بعد أن أصبحت نتيجة المعركة معروفة.

بقي السيد خالد ضيفاً في القنصلية الألمانية لمدة 36 يوماً وطلب البريطانيون إعادته إليهم وحاصروا القنصلية بعملاء وجنود حتى لا يتمكن من الهرب، وبعد أسبوعين من الجدل الدبلوماسي بين القوتين الأوروبيتين في صباح الثاني من أكتوبر ومع ارتفاع حركة المد وضرب الأمواج لحائط السفارة الألمانية فر خالد من القنصلية الألمانية في قارب صغير ولم تمس قدماه أرضاً تحكمها بريطانيا.

ومن هناك تم إيصاله الى دار السلام حيث عاش لأكثر من 15 عاماً كأمير في المنفى حتى أعادته الحرب العالمية الأولى الى الصدام مع الإمبراطورية البريطانية. هذه القصة سيتم إكمالها لاحقاً باعتبارها الجزء الثاني من تاريخ الجيش غير الرسمي لزنجبيار.

بالنسبة للمدينة المدمرة، فقد تم تدمير القصر كلياً ولم يعد بناؤه أبداً، وكذلك مبنى الحريم تم تدميره ولكن لاحقا تم استبداله جزئياً بمبنى آخر. الدمار الذي لحق ببيت الإضاءة أمام بيت العجائب كان بشكل يتعذر إصلاحه ولكن بيت العجائب لم يصب بدمار كبير ولذلك فقد تم إلحاق بيت جديد للإضاءة به عندما تم إصلاح القصر في عام 1899. ولاحقا في بدايات القرن العشرين كان المجمع جاهزا مرة أخرى لاستضافة أحداثٍ عامة.

كتبت الصحافة الشعبية البريطانية عن المعركة ببعض التفاصيل في ذلك الوقت وكذلك في الولايات المتحدة الأمريكية كانت موضع دراسة. في نهاية عام 1896 أعلنت مجلة "العلميون الأمريكيون" عن ميكانيكيات القصف. حاول الأمريكيون أن يطبقوا الدروس التي تعلموها في زنجبيار على طول شواطئهم غير مهتمين بالأخطار المحتملة، الأخطار التي قد تأتي بها الحرب العالمية الأولى.

" المدفع الرشاش من قياس 6 انش الموجود على متن سفينة Royal Ar-

thur وهي سفينة مشابهة لسفينة St. George (الباخرة البريطانية التي استخدمت في الحرب على زنجبيار) لديه سجل يبين إصابته لثمانية عشر هدفاً في 3 دقائق. إذا كان يمكن المحافظة على معدل الإصابة هذا أي بمعدل 6 طلقات في الدقيقة لمدة سبع وثلاثين دقيقة (وهي المدة المفترضة للحرب) فإن مدفعاً رشاشاً واحداً سيكون قادراً على رمي 222 قنبلة متفجرة تزن كل منها 100 باوند في المكان الواحد في المدينة. سفينة St. George كانت تحمل على متنها 5 مدافع كهذا المدفع، بالإضافة الى ذلك كان بإمكانها أن تحمل (في ذلك الوقت) ما يقارب 120 قذيفة ضخمة تزن كل واحدة منها 320 باونداً لتطلق من مدافعها الثقيلة بقياس 9.2 انش.

هذا النوع من السفن الذي حطم مباني زنجبيار الى أجزاء صغيرة خلال أقل من ساعة يتم تصنيعه في كل ولاية لديها سلاح بحرية كبيرة كانت أم صغيرة. لهؤلاء الأشخاص الذين لا يرون ضرورة لتوظيف كل ما هو ممكن للدفاع عن شواطئنا... يجب أن يقدموا نقاشاً مقنعاً".

الألامو في إفريقيا (شجرة الحور)

يبدو أن شجاعة زنجبيار هي نوع فريد من الشجاعة والمرتكزة على حس قوي بالعدالة ومبادئ قائمة على طبع العناد والإصرار. هذه السمات الى جاني محو الأمية السياسية المستمر لشعب زنجبيار غالباً ما كانت تفشل خطط الحكام الذين يحاولن السيطرة على الجزر بدون الالتفات الى مصالح شعبها.

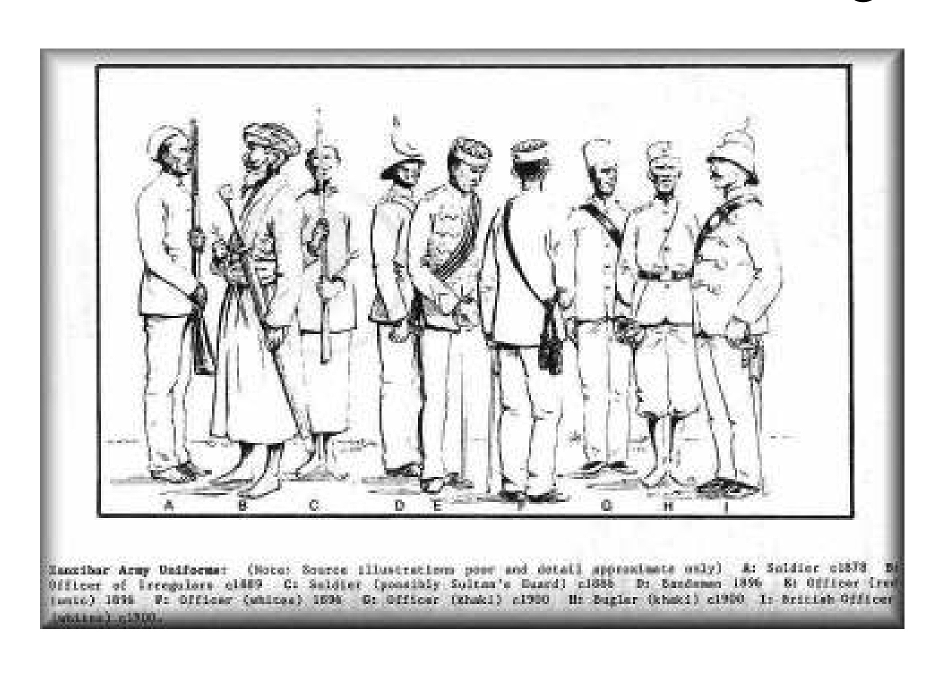
قيل بأن الحرب الأقصر هي ما يشبه الثورة الأمريكية 1776. في كلا الحربين كان الوطنيون يتحدون حق الإمبراطورية البريطانية في الحكم دون السماح لدرجة كافية من التحكم للمحليين في الأنظمة الاقتصادية والاجتماعية المحلية. وعلى الرغم من احتواء الحرب الانجليزية الزنجيبارية على معركة واحدة فقط فإن أقرب ما تشبه به هي المعركة الأمريكية الشهيرة في الألامو ففي كلا الحالتين أصبحت قصة المعركة

أكثر أهمية من النتائج التقنية للمعركة.

في تلك الحالة احتلت مجموعة من الوطنيين من تكساس موقعا محصناً وواجهوا حشداً من البنادق التابعة للجيش المكسيكي الذي يفوقهم قوة دون أن يشعروا بالخوف، لقد أصبحوا أبطالاً وطنيين بسبب التزامهم بمبادئ الاستقلال وتقرير المصير.

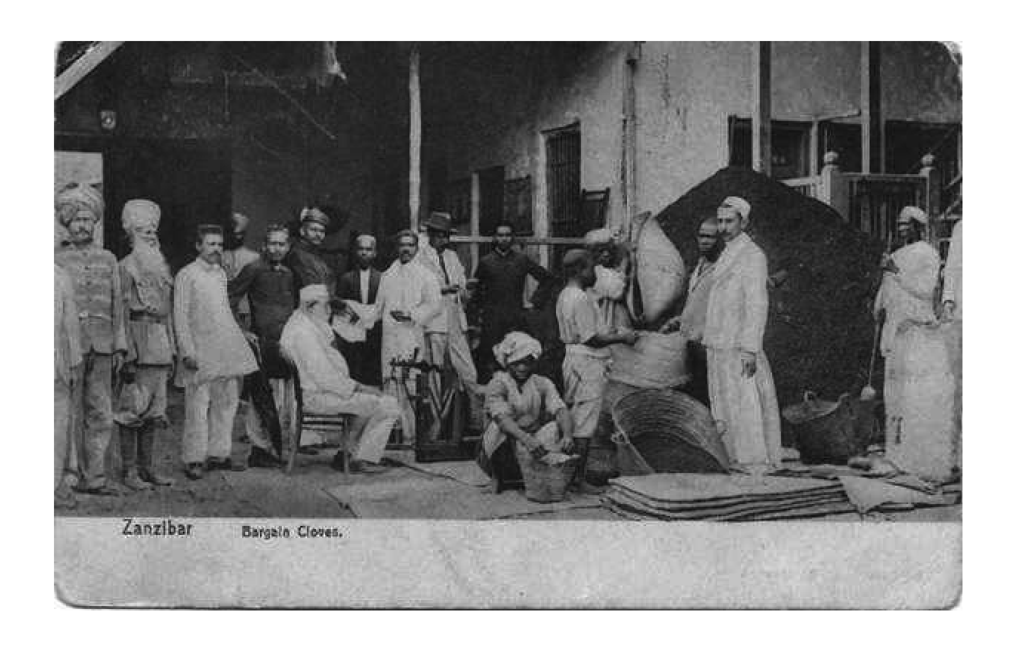
في حرب عام 1896 واجهت مجموعة من الوطنيين الزنجيباريين حشد البنادق التابعة للأسطول البريطاني ومات معظمهم في سبيل أن لا يتنازلوا عن قضيتهم. هذه قصة يجب أن لا ننساها.

مثالهم هذا هو رسالة للتفكير فيها اليوم أيضاً عندما يحدث القتال بين الزنجيباريين أنفسهم في الوقت الذي تتنافس فيه القوى المحلية والدولية للسيطرة على المنطقة. دون الاستماع بتمعن الى أصوات الناس على هذه الجزر هل سنرى ألامو أخرى في إفريقيا؟



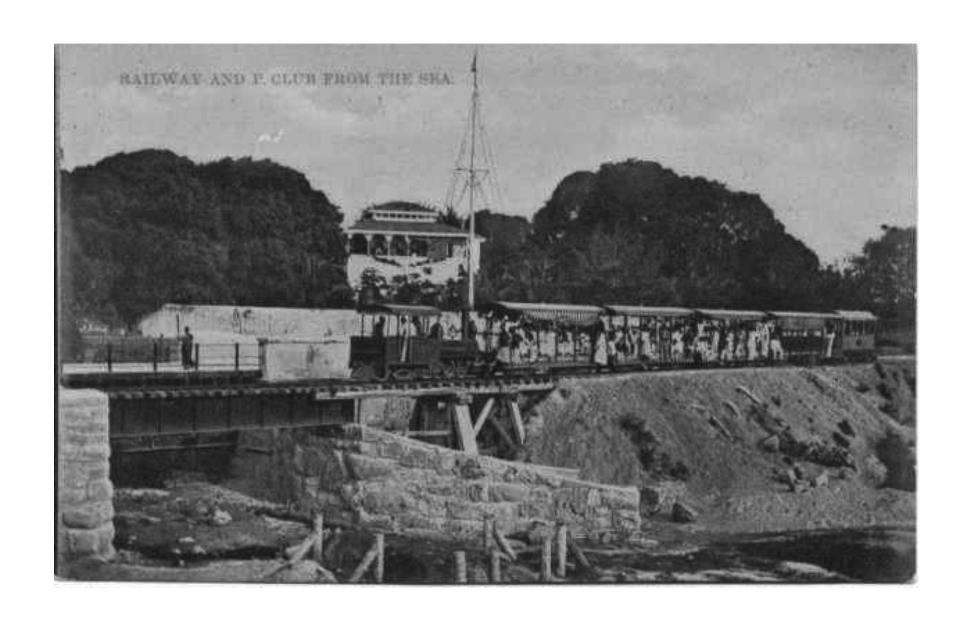
Zanzibar Army Uniforms: (Note: Source illustrations pose and detail approximate only) A: Soldier c1878 B: Officer of Irregulars c1889 C: Soldier (possibly Sultan's Guard) c1886 D: Bandsmen 1896 E: Officer (red tunic) 1896 F: Officer (whites) 1896 G: Officer (khaki) c1900 H: Bugler (khaki) c1900 I: British Officer (whites) c1900.

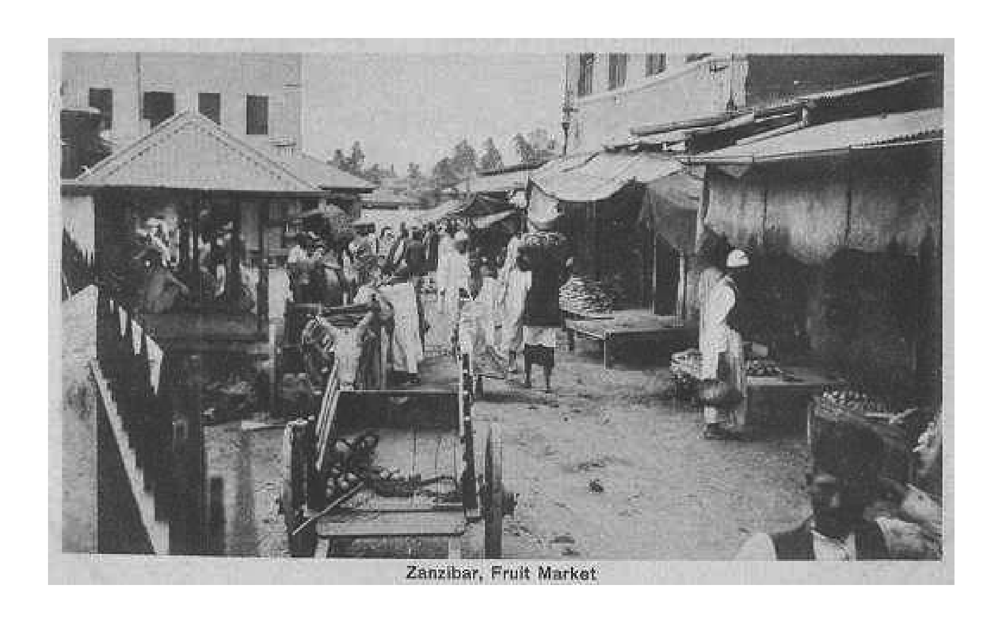



Zanzibar Bargain Cloves.


Zanzibar Fruit Market.







Zanzibar, Fruit Market

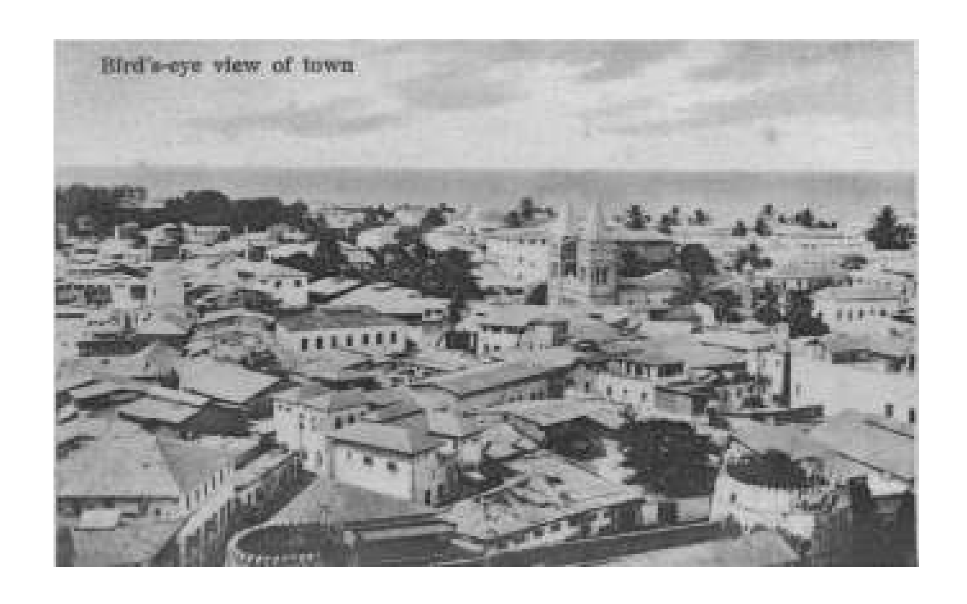


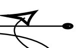



Swahili Dance, Zanzibar





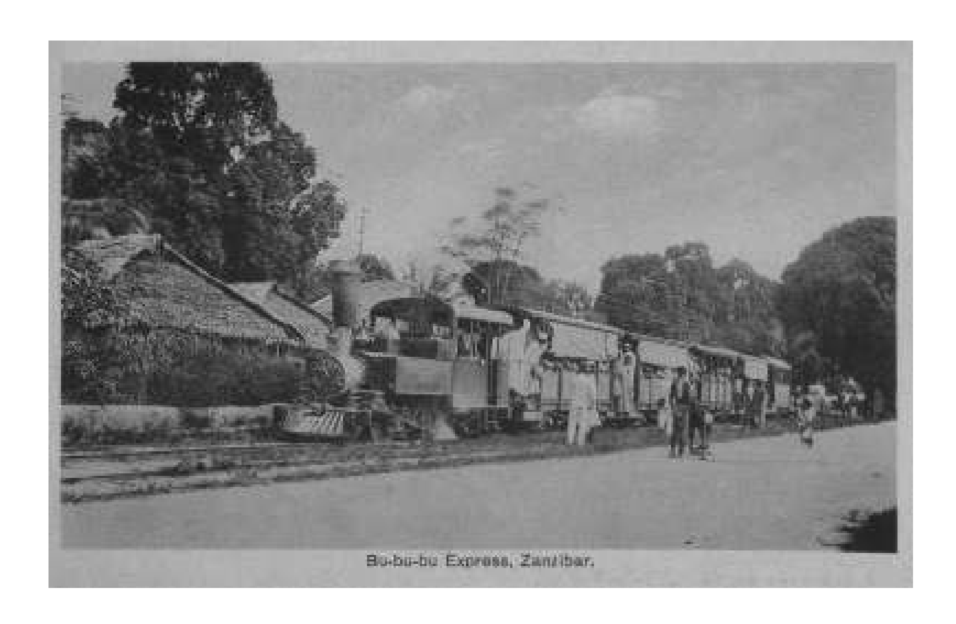

Bird's-eye view of town




DURING THE SEASON MANY DHOWS FROM ARABIA AND THE
PERSIAN GULF RE-FIT AT ZANZIBAR


Zanzibar
1905
Landing Beach
Pereira de Lord, Photo Artist, Zanzibar.





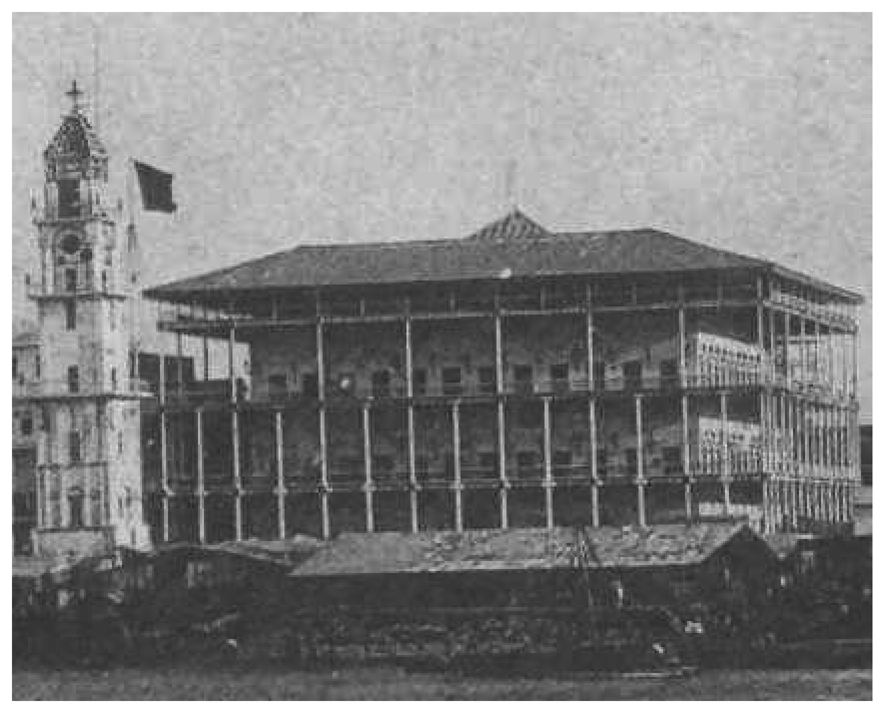
Bu-bu-bu Express, Zanzibar.



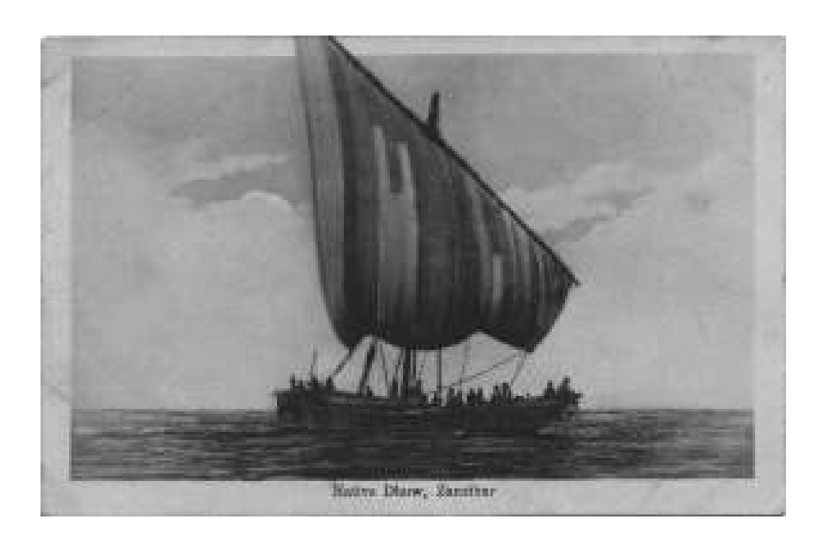
THE HAREM AFTER THE BOMBARDMENT.

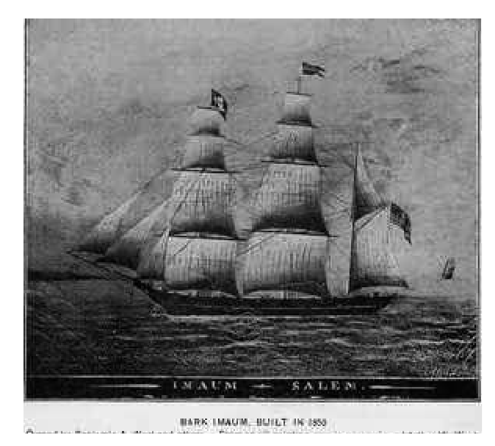










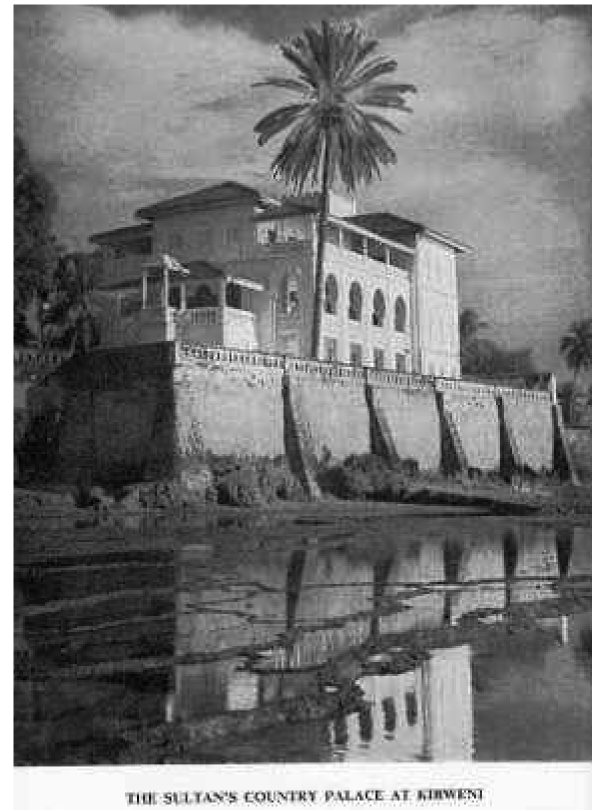


BARK IMAUM, BUILT IN 1850





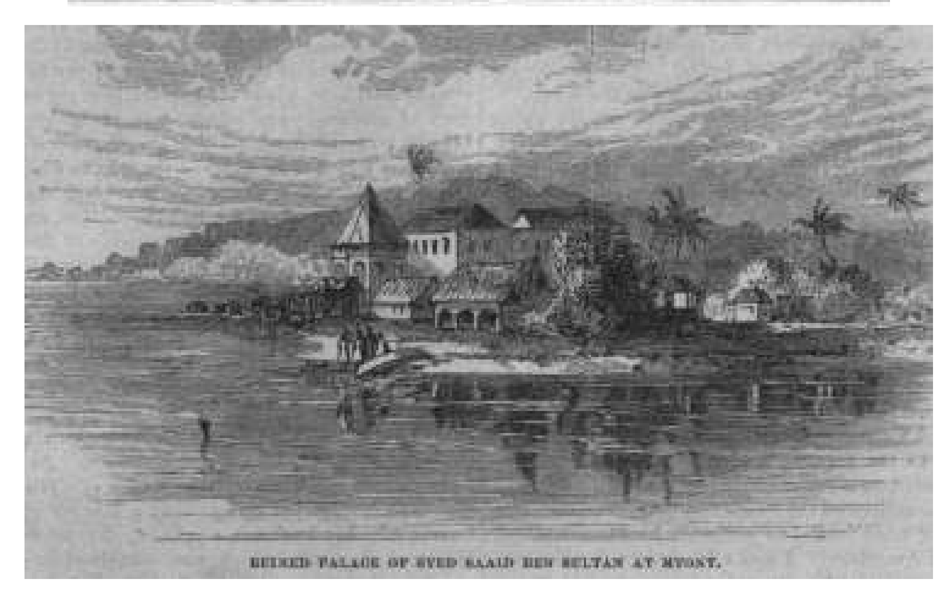




THE SULTAN'S COUNTRY PALACE AT KIBWENI







RUINED PALACE OF SYED SAAID BEN SULTAN AT MTONY.

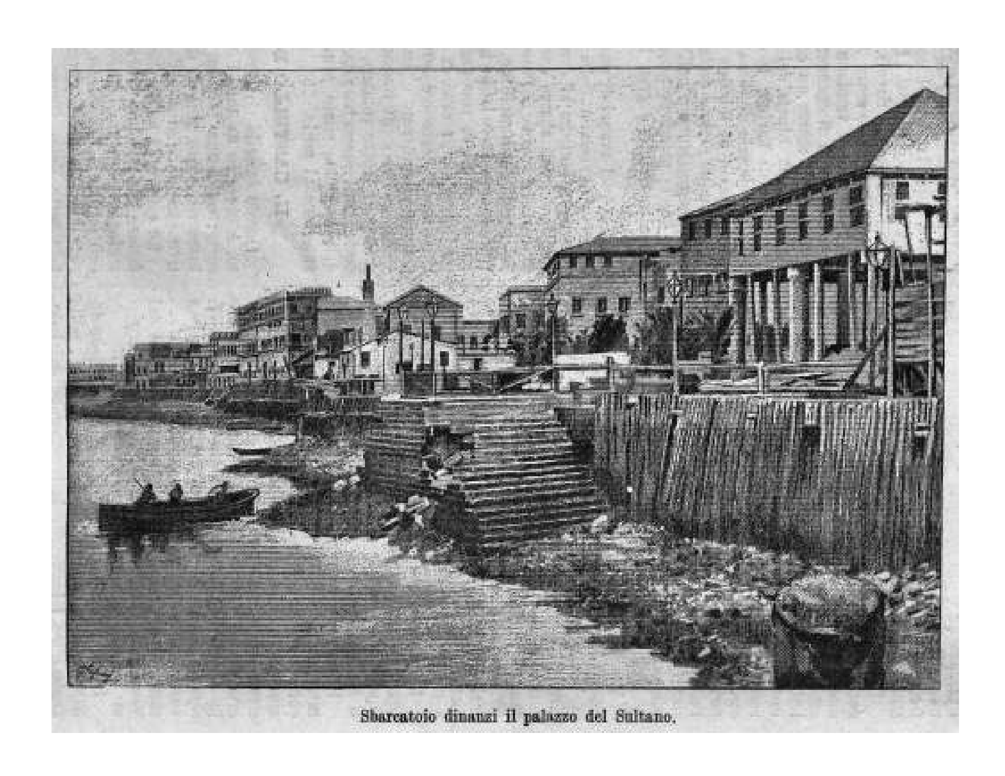




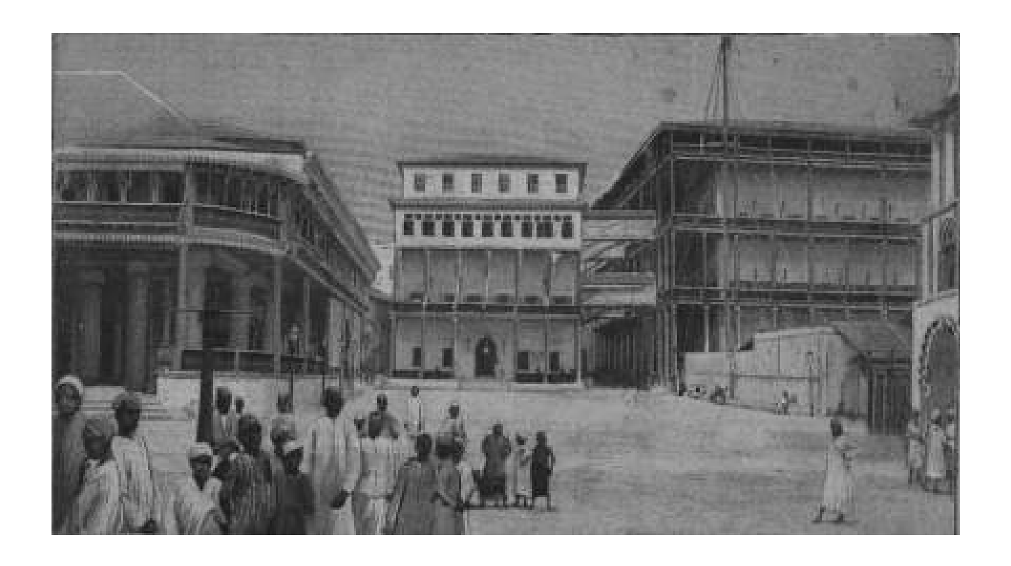

Mtumbwi
Ngalawa
Dau la Juya







Sbarcatoio dinanzi il palazzo del Sultano.

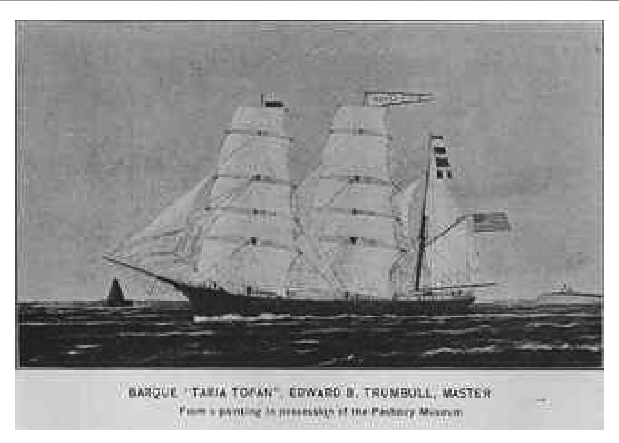








December 30th.
MANGA ARABS IN PROCESSION
go to the Palace to offer their
congratulations to the Sultan.

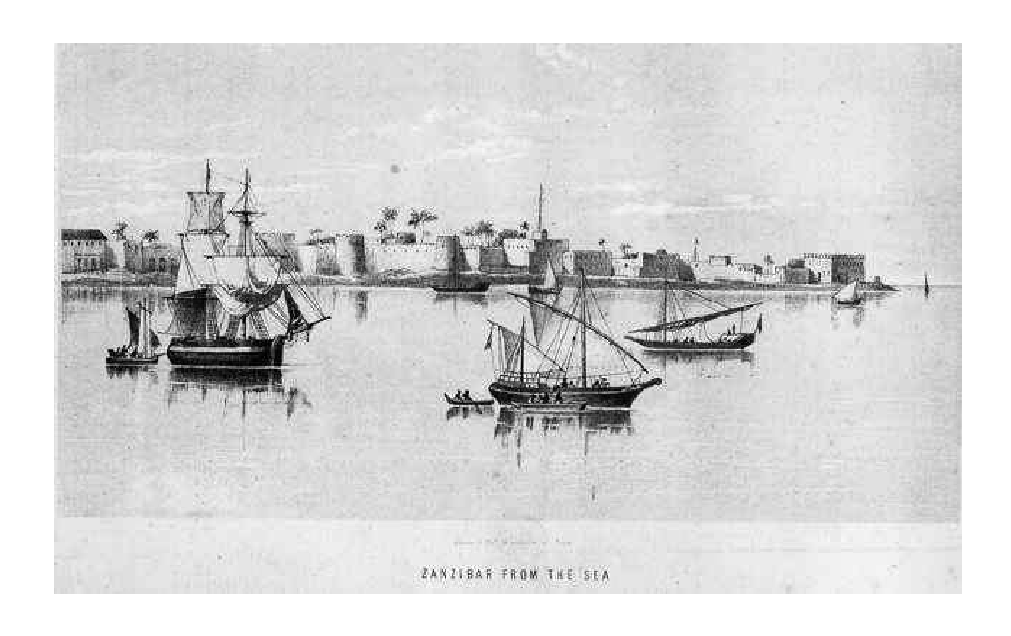


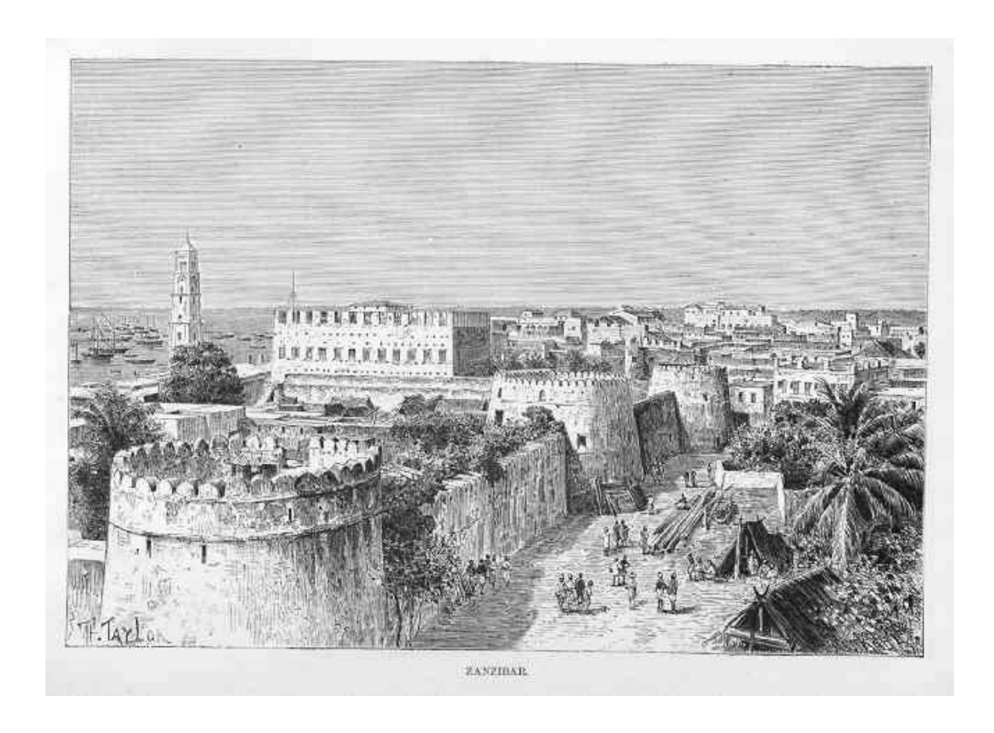
BARQUE "TARIA TOPAN", EDWARD B. TRUMBULL, MASTER
From a painting in possession of the Peabody Museum





HARBOR OF ZANZIBAR


ZANZIBAR FROM THE SEA



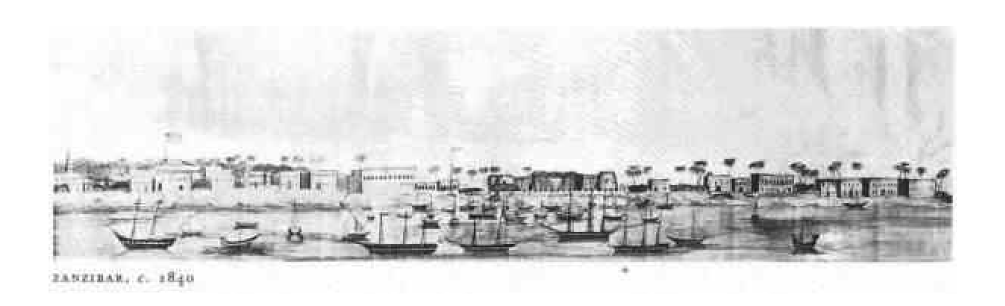
ZANZIBAR










ZANZIBAR, c. 1840



الحضارات المتعاقبة علي سلطنة زنجبار وأثرها علي الاسلام

تأليف

الشيخ عبد الحق ميحي تهامي الزنجباري

أعتني بالنص

عمرو عبد الحميد

الإهداء

إلى بناة حضارة الإسلام وحاملي مشعلها ولوائها في مشارق الأرض ومغاربها من بعثة المصطفى الكريم صلى الله عليه وسلم على يوم القيامة

إلى الشهداء الذين سكبوا د ماء زكية طاهرة لتتحول إلى ري غدقا ترتوي به أيكة الإسلام الوارفة الظلال

إلى شموع الهداية التي تحترق حتى تضئ للبشرية التائهة درب الحرية وسبيل الكرامة وطريق الحضارة والسمو والفضيلة والعزة من غير غطرسة والتسامح من غير ذلة أهدي هذا المجهود المتواضع

بســـــم الله الرحمـــــن الرحيم

التمهيد: الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى ورضي الله تعالى عن أصحابه المصطفين لحمل رسالة المصطفى المجتبى، فبلغوا بها مابلغت الشمس والقمر.

أما بعد: لقد جبل الإنسان على الرحلة والانتقال من مكان على مكان هذا الترحال والتجوال فرضته عليه ظروف الحياة واقتضاه البحث عن وسائل العيش الكريم أحيانا كما كان للظروف السياسية و الصراع على السلطة ونشوب الحروب الطاحنة واندلاع الفتن القاتلة إسهام مباشر في الرحلة والفرار بالنفس والمال والعرض بحثا عن الأمن والاستقرار.ومن خلال هاتين المسلمتين كان الانتقال العربي أولا إلى سواحل القارة الإفريقية وأدغالها. ولما أكرم الله العرب بدين سماوي خاتم لجميع الرسالات والشرائع السماوية حملوا قبسا من أشعة نوره الوهاج للبشرية الحائرة في

أصقاع المعمورة و مجاهيل الدنيا، وكانت القارة الإفريقية واحدة من تلك البلاد التي اصطلت بذلك القبس واهتدت بأشعة ذلك النور إلى صراط العزيز الحميد.

ثم جاءت مرحلة الفتن والتطاحن الداخلي لأسباب غالبيتها سياسية، وأخرى تجارية اختارت مجموعات من عرب عمان وحضرموت اللجوء إلى شواطئ شرق إفريقيا من المحيط الهندي، هذه الأرض الأرض البكر التي لم تسبق إليها حضارة وديانة سوى حضارة الإسلامية ودين التوحيد فلم ينس أولئك الوافدون رسالتهم الخالدة وإن كانت ظروف أخرى هي التي ألجأتهم إلى تلك القارة فتكونت دولا عربية إسلامية وممالك امتدت آخر أمرها من منطقة دلفا دو جنوبا إلى رأس غردا في شمالا بل إلى بندر عباس من بلاد الفرس حملت معها قيَما حضارية غلب عليها التحاور والتجاور والامتزاج وندر فيها التناحر والتدافع والتواقع طابعها العام التسامح والتراحم ولم يستعمل السيف إلا نادرا حينما تدعو ضرورة الدفاع عن الذات وحماية الكيان كتلك المرحلة التي شهدت تعصبا برتغاليا مسيحيا لانظيرله ضد كل ماهو مسلم بدأ بمسلمي الأندلس ليصل لهبه ولفحه إلى مسلمي داخلية أفريقيا من خلال حركة الكشوف الجغرافية ذات الأبعاد الدينية والاقتصادية.

الحضارة الإسلامية التي تأسست في شرق إفريقيا لم تلغ خصائص الشعوب ولا طبائع النفوس إلا ماكان منها متعارضا تعارضا صريحا مع قيم التوحيد وخصائص التشريع ومن ثم أمدت اللغات المحلية بمادة لغوية أكثر غزارة واكبت من خلالها تلك اللغات جميع التطورات ن وتعايشت الحضارة الإسلامية مع جميع الأجناس والجماعات بمختلف آرائهم الفكرية والعقدية وشملتهم جميعا رحمة الله بالبشرية واستظلوا جميعا برحمة الإسلام وعدالته الوارفة الظلال إلا أن الحضارة الإسلامية في إفريقيا لم تأخذ حظها الأوفر من الدراسة والتأريخ وابحث وسبر أغوارها إلا نادرا وماذكر من نتف في مطولات الأسفار من التاريخ

والأدب على عكس نظيراتها في بلاد الأندلس والهند وبلاد ما وراء النهر

فكان هذا البحث وهو جهد المقل محاولة من طالب علم -اختصاصه الأساسي الفقه وأصوله - أقول محاولة لتسليط الضوء على صراع الحضارات على شرق إفريقيا بشكل عام وزنجبار بشكل خاص إذ أن هذه الأخيرة كانت رافدا من روافد الحركة العلمية والسياسية والاقتصادية الإسلامية وكانت حاضرة من حواضر المسلمين لاتقل أهمية عن بغداد ودمشق ومراكش والقاهرة والأستانة.

ولعل هذه المحاولة هي نتاج ما لحظته من عزوف الكثير من الباحثين في تاريخ الحضارة الإسلامية عن الاهتمام بتاريخ الحضارة الإسلامية في هذه المنطقة واهتمام مبالغ فيه من قبل الغربيين بتاريخ المنطقة وتراثها تحقيقا وتأليفا ولكن لايجب أن ننتظر منهم الإنصاف فيما يكتبوا ولا نتبرم بما يقولوا ويقرروا إذ أننا تركنا المجال مفتوحا أمامهم فلا غرو أن تكون أقلامهم إما حاقدة ظالمة وإما متجاهلة متنكرة ولا تذكر من الحقائق إلا مايخدم مصالحها وأهدافها ويصب في أنهار أفكارها وتوجهاتها.

وإنه من لمن الظلم بمكان أن نغمط التجربة حقها أو أن نحملها أكثر مما تحتمل إذ أنها قامت وشمس الحضارة الإسلامية آخذة في الغروب على أقل تقدير لمدة من الزمن قد تطول أو تقصر وفق سنة الله في الأمم والحضارات وبحسب توفر عوامل النصر والهزيمة والمد والجزر والارتفاع والإنخفاظ في كل تجربة كيف ؟ وقد قامت هذه الإمبراطورية الإسلامية مهما كانت أخطاؤها وبساطة أهلها والعالم الإسلامي يشهد انحسارا رهيبا أمام المد الصليبي الغربي إذ سقطت الكثير والعديد من دول العالم الإسلامي فريسة الاستعمار الغربي في حين كانت هذه الدولة العظيمة في السواحل الشرقية للمحيط الهندي تشهد أوجه عزها الثقافي والعمراني والسياسي والاقتصادي مما جعل دول الغرب تتنافس لإرضائها ونيل ودها و الفوز بالحظوة والمكانة لديها ومهما كانت دوافع هذه الدول الغربية من هذا التنافس فقد كانت تجربة رائدة ولو لبرهة من الزمن لم تطل على

أقل تقدير باعتبار أعمار الأمم والحضارات ولهذا لانجد بدا من أن نقول أن انتهاءها وسقوطها أمر طبيعي جدا لأنه لايمكن عقلا ومنطقا أن تسمح القوى الاستعمارية ببقاء دولة عربية مسلمة ذات سيادة وهيبة في قلب إفريقيا وأي إفريقيا ؟ إنها بوابة التجارة العالمية والجسر الرابط بين الهند وإفريقيا والخليج العربي هذا إذا ما أضيف لذلك عامل الضعف وعدم الأخذ بأسباب التمكين المسايرة للعصر والفساد واللهث وراء تقليد الأجنبي بلا والمولاة الكاملة لدول تتربص بها ريب المنون في كل حين.

وأخيرا أتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساهم في تقويم هذا المجهود المتواضع وأني أسأل الله تعالى أن يجعله في ميزان الحسنات ويكتب له القبول وينفع به في مشارق الأرض ومغاربها إنه قدير سميع وإنه من لمن الظلم بمكان أن نغمط التجربة حقها أو أن نحملها أكثر مما تحتمل إذ أنها قامت وشمس الحضارة الإسلامية آخذة في الغروب على أقل تقدير لمدة من الزمن قد تطول أو تقصر وفق سنة الله في الأمم والحضارات وبحسب توفر عوامل النصر والهزيمة والمد والجزر والارتفاع والإنخفاظ في كل تجربة كيف ؟ وقد قامت هذه الإمبراطورية الإسلامية مهما كانت أخطاؤها وبساطة أهلها والعالم الإسلامي يشهد انحسارا رهيبا أمام المد الصليبي الغربي إذ سقطت الكثير والعديد من دول العالم الإسلامي فريسة الاستعمار الغربي في حين كانت هذه الدولة العظيمة في السواحل الشرقية للمحيط الهندي تشهد أوجه عزها الثقافي والعمراني والسياسي والاقتصادي مما جعل دول الغرب تتنافس لإرضائها ونيل ودها و الفوز بالحظوة والمكانة لديها ومهما كانت دوافع هذه الدول الغربية من هذا التنافس فقد كانت تجربة رائدة ولو لبرهة من الزمن لم تطل على أقل تقدير باعتبار أعمار الأمم والحضارات ولهذا لانجد بدا من أن نقول أن انتهاءها وسقوطها أمر طبيعي جدا لأنه لايمكن عقلا ومنطقا أن تسمح القوى الاستعمارية ببقاء دولة عربية مسلمة ذات سيادة وهيبة

في قلب إفريقيا وأي إفريقيا ؟ إنها بوابة التجارة العالمية والجسر الرابط بين الهند وإفريقيا والخليج العربي هذا إذا ما أضيف لذلك عامل الضعف وعدم الأخذ بأسباب التمكين المسايرة للعصر والفساد واللهث وراء تقليد الأجنبي بلا والمولاة الكاملة لدول تتربص بها ريب المنون في كل حين .

تاريخ الحضارات على زنجبار

مقدمات أساسية للبحث لقد عرفت البشرية منذ فجر تاريخها الأول في هذه المعمورة الجريمة

المقدمة الأولى:

الأصل أن الحضارات تتكامل وتتحاور وتؤثر وتتأثر حيث إن الأصل في الحضارة البناء والتعمير من أجل رقي الأمم)[1]. ولكن انحراف أصحاب هذه الحضارات عن منهج التحضر يدفعهم لاتخاذ وسائل شتى لإنهاء الطرف الآخر. ومن ثم الاستفراد بالساحة وبحكم غريزة البقاء فان الطرف الآخر سيدافع عن كيانه ووجوده بكل الوسائل المتاحة وبكل الإمكانات . ومن هنا ينشا الصراع لا بين الحضارات . وإنما بين أصحاب الحضارات ولعل هذا الصراع ينشا لسببين اثنين . أولهما غياب الجانب الأخلاقي و الإيماني في المنهج نفسه ومن ثم يبيح أصحابه لانفسهم كل وسيلة توصلهم إلى الهدف . وثانيهما هشاشة المنهج وعدم خضوعه لمسلمات العلم وقواطع العقل. مما يؤدي حتما الى عدم تقبله بلغة الاقناع مما يلجئ اتباعه إلى فرضه إما بلغة القوة والسلاح وهذا ما فعلته الحضارة الأوروبية بالشعوب المستعمرة في القرن التاسع عشر او فرضه بلغة الترغيب والتحفيز مستغلين فقر الأمم وفاقت المجتمعات. وهذا ما سلكه الغرب المسيحي اليوم مع الأمم الأخرى.

(1) المقدمة / عبد الرحمن بن خلدون / ص 4

المقدمة الثانية:

إن شرق افريقيا والتي منه جزيرة زنجبار كان جزءا لا يتجزء من شبه الجزيرة العربية وكان كل منهما يشكل رقعة جغرافية واحدة حتى انفلقت قشرة الأرض فيما يعرف بالحركة الجيولوجية للأرض. فانفصلت القارة الأفريقية عن المنطقة العربية . وكان البحر الأحمر هو ذلك الفاصل المائي بين المنطقتين. ومن أكبر الأدلة على هذا الكلام ذلك التشابه الكبير والواسع بين شعوب المنطقة. تشابها عرقيا وثقافيا ولغويا. وهذه الشعوب إما ناطقة باللغة الحامية والكوشية وتنتشر على السواحل الشرقية والشمالية لافريقيا. وأما ناطقة باللغة السامية (كالعرب والامهرة والتقرى)[1]إذ نجد في اللغات الحامية الكثير من الكلمات العربية مع بعض التغيرات في مباني الكلمات.

المقدمة الثالثة:

إن الصلات بين إفريقيا والعرب اقدم من صلات الأوروبيين بالقارة عموما حيث تشير العديد من المصادر التاريخية للوصول العربي المبكر إلى هذه المنطقة إذ يذكر صاحب كتاب الرحلة الدائرية وصفا دقيقا لعلاقة العرب بهذه المنطقة (شرق أفريقيا) حيث يذكر أن السفن الإغريقية الرومانية التي كانت تجوب عباب المحيط الهندي لغرض التبادل التجاري كانت تمر على المدن التجارية في شرق أفريقيا التي لم تكن خاضعة لسلطة مركزية واحدة إنما يحكم كل مدينة حاكم يتبع إداريا لسلطات الدولة القوية في جنوب الجزيرة العربية ويضيف قائلا: انه من المألوف رؤية التجار العرب في مناطق الساحل الشرقي لإفريقيا)[2]. وهو الخبر نفسه الذي أكده صاحب

(1) صدام الحضارات: ص2 / د عبد الرزاق مقرئ / طبعةالأولى دار الخلدونيةعام2004

(2) قصة الحضارة ول ديورانت ج1، ص 13.

كتاب دليل الملاحة في البحر الإرتري حيث يقول " إن منطقة شرق إفريقيا خاضعة بصورة غير مباشرة للدولة العربية ذات النفوذ القوي يديرها أمير معافر من اليمن ويقيم بها تجار مهاجرون من جنوب الجزيرة العربية)[1]بل ولعل الوصول العربي إلى الساحل الشرقي من القارة اقدم من وصول قبائل البانتو التي استوطنت المنطقة المعروفة اليوم (تنزانيا) ويدعم ذلك اسم الميناء (راباتا) ذو الاشتقاق العربي (ربط) او مربط السفن وكان السبب في هذا التواصل العربي الشرق الأفريقي تلك الظاهرة المعروفة بالرياح الموسمية . حيث كانوا يستغلون هبوب الرياح الموسمية لركوب البحر واكتشاف المجهول ولتسويق المنتجات المحلية وجلب المنتجات الغير متوفرة عندهم من المواطن المكتشفة بل وقد أدت تلك الظاهرة إلي نزوح سكاني كان يتم بصورة منتظمة ويعكس ذلك الوجود الأفريقي في شبه الجزيرة العربية الغزو الحبشي لليمن وكان له الأثر الأكبر في وجود علاقات عربية إفريقية متينة على جميع الأصعدة . كما حفظ لنا التاريخ وجود رموز أفريقية في البلاد العربية (بلال الحبشي رضي الله عنه) وكان ذلك قبل الإسلام

المقدمة الرابعة:

كان وصول المسلمين لشرق القارة واكتشاف مجاهيلها أسبق من وصول البحارة البرتغاليين والألمان المستعمرين ومن بعدهم الإنجليز. فلقد ذكرت الكتب والمصادر التاريخية أن المسلمين وصلوا إلى سواحل المحيط الهندي في القرن الثاني الهجري القرن السابع الميلادي، وذلك لما عصفت الفتن بدار الخلافة الأموية وخرج أبناء عباد بن عبد الجندلي على الخليفة عبد الملك بن مروان فلماخسروا معركتهم مع الحجاج بن يوسف الثقفي. اختاروا شرق

(1) الجذور التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية: يوسف فضل حسن: ندوة العرب وإفريقيا، منشورات مركز الدراسات الوحدة العربية ص 127 .الطبعة الثانية عام 1987

افريقيا موطنا لهم وملاذا مما أصابهم . وكان ذلك سنة 695ميلادية الموافق ل 84 هجرية[1] . ولو أن الهجرة الإسلامية إلى شرق إفريقيا كانت مع بدايات ظهور الإسلام. حيث هاجر المسلمون الأوائل إلى الحبشة قبل الهجرة النبوية. في حين لم ترسوا السفن البرتغالية بقيادة البحارة (فاسكو ديجاما) إلا في القرن الخامس عشر ميلادي سنة 1498م على شواطئ المحيط الهندي. وقد وجد فيها ممالك اسلامية كمملكة كلوة وممباسة وسفالة وغيرها من المماليك الاسلامية التي كانت ممتدة في إفريقيا شرقا وغربا وشمالا وجنوبا و كانت تزخر بالعمران والمعالم الحضارية والثقافية والرفاهية والاقتصادية والاجتماعية وقد امتزج هؤلاء المسلمون بالسكان الأصليين عن طريق التزاوج والمصاهرة . ولعل المؤرخ الأوروبي انصف حينما قال (انه قبل قدوم العرب إلى أفريقيا"ويقصد المسلمون" ولم نكن نعرف عنها الكثير. فنحن الأوربيين ندين بمعلوماتنا عن التاريخ المبكر لداخل القارة لفئة قليلة من المؤلفين والرحالة أهمهم: المسعودي. . والبكري . ويقوت. وابن بطوطة. وابن خلدون[2].

المقدمة الخامسة:

إن الكلام عن جزيرة زنجبار وتاريخها العريق جزء لا يتجزء من تاريخ الإسلام في شرق أفريقيا . بل عن دول الإسلام ومماليكه في شرق أفريقيا ولعل ذلك راجع لكون زنجبار ولاية من ولايات دولة عمان في بعض الأحيان . أو لكون حكام زنجبار وان تفردوا بالملك والسلطنة فانهم جزء من أولئك العرب العمانين الذين أقاموا ممالك في كل من بتة (patta) وما ليندي(MALINDI وكلوه وكان بينهم تعاون وتسامح و إخاء تارة وعداوة ونفور وشجار تارة أخرى. فمن ثم فان هذا

(1) نقلا عن المؤثرات العربية في الثقافة السواحلية في شرق افريقيا د/ السيد حامد حريز/ ص (10) الطبعة الأولى دار الجيل عام 1988

(2) تحفة الأعيان بسير أهل عمان/ الشيخ نورالدين عبد الله بن حميد السالمي/ ص (72 73-)، مكتبة الاستقامة 1979. طبعة الأولى عام 1997

البحث لا يهمل الكلام عن بعض أجزاء افريقيا الشرقية. كما أن زنجبار أصبحت في عهد سعيد بن سلطان البوسعيدي عاصمة الإمبراطورية العمانية التي امتدت من أرض عمان والخليج العربي بندر عباس من أقاليم فارس وحتى رأس دلفادو في أقصى شرق أفريقيا وداخلية البر الإفريقي مثل دودما. تانقا . وغيرها من المدن ن بل امتدت سلطنته لتصل إلى بعض أجزاء الهند

المقدمة السادسة:

وهذه المقدمة بمقدار ما فيها من المرارة إلا أنها اعتراف بواقع أليم ومن جانب آخر هي شحذ للهمم المخلصة لاستدراك النقص وسد الفراغ المتمثل في أن تاريخ الإسلام في هذه المنطقة وتلك الصفحات الناصعة التي تركتها الحضارة الإسلامية في المنطقة وبل لتلك البصمات الواضحة والمتمثلة في بقاء الاسلام في هذه المنطقة متجذرا متعمقا بكل مقوماته ومكوناته الثقافية والاجتماعية والسياسية. رغم المحاولات الجادة لزعزعته . كتب هذا التاريخ في مجمله بأقلام غربية نصرانية وما بين أيدينا عن تاريخ هذه المنطقة وبشكل تفصيلي من إنتاج علماء المسلمين قليل ونادر.

صحيح أن ابن بطوطة و الادريسي والحموي والمسعودي لم يغفلوا هذه المنطقة و أوردوا نتفا عن أخبارها . ولكنها لا تكفي بل كان الأولى أن يتفرغ علماء هذه المنطقة لتاريخ وتراجم سير علماء وقضاة المنطقة وإظهار إسهاماتهم الفكرية والفقهية في الحضارة الإسلامية والإنسانية بوجه عام ومع هذا فان كتاب جهينة الاخبار للشيخ سعيد المغيري يعتبر رافدا من روافد التاريخ لهذه المنطقة. إلا أن نزعة التمذهب والانتصار للرأي وغمط الآخرين واضحة في كتابه جهينة الأخبار. ولعل في القرن الأخير ومع بداية الصحوة العربية الإسلامية وجدنا الكثير من الكتيبات والدراسات و الندوات التي تناولت هذه المنطقة بالدراسة. ولاتزال هذه الظاهرة

والمتمثلة في الاهتمام الغربي بتاريخ المنطقة وحضارتها متواصلة في مقابل فتوروغياب عربي واسلامي كامل في مجال البحث والتنقيب وسبر أغوار تاريخ هذه المنطقة ولعل مقر أرشيف زنجبار خير شاهد على ذلك حيث تراه يغص بالباحثين الاروبيين ويكاد يخلو من الباحثيين المسلمين.

جزيرة زنجبار الموقع والتاريخ

1 - الموقع: زنجبار هي كلمة فارسية بمعنى الزنج . برأي ساحل الزنج . محرفة أصلها . بر الزنج . ويقال لها بالسواحلية (انغوجاء)مركبة من كلمتين(أنغو) بمعنى المنسف و(جاء) بمعنى امتلاء)[1].

وهذه الجزيرة واقعة بالمحيط الهندي . تبعد عن البر الافريقي تنجنيقا مسافة 25 ميلا و118ميلا عن جنوب ممباسة (كينيا) و29ميلا عن شمالي دار السلام ونحو 2200ميلا عن مسقط عاصمة عمان و2500ميلا عن بومباي .و750ميلا عن مدغشقر و500 ميلا عن جزر القمر[ويبلغ طولها من أوسع نقطة منها 524 ميلا وعرضها من أوسع نقطة 24 ميلا] وأكثر مساحة أرضها حجرية . وتصلح في أرضها الطيبة زراعة الأرز والطلح (الموز)والمهوغو وسائر الحبوب المقتاتة.

II - التاريخ: كانت تسمى جزيرة زنجبار في القرن الأول للمسيح (منشونيا) ولا يعرف لهذا الإسم معنى، ويقال أنها كانت جزءا من البر الافريقي (تنجنيقا) بدليل أن الأشجار والحيونات الضارية كالنمور و القردة و التماسيح

(1) المؤثرات الاسلامية والمسيحية كل الثقافة السواحلية، د. عبد الرحمن أحمد عثمان، ص 78، دار جامعة افريقيا.الطبعة الأولى عام 2000

الموجودة في البر الافريقي هي ذاتها الموجودة في زنجبارقديما[1] يؤكد ذلك ما هو موجود في متحف زنجبار من حيوانات محنطة مشابهة لتلك الموجودة في البر الافريقي إلا أن ثمة إختلاف واسع في عاصمة زنجبار علما أن الاتفاق حاصل بأن زنجبار الحالية ليست قديمة العهد ولم تعمر ذلك العمران الرائع إلا بعد نزوح البرتغال عنها.

كما أن ياقوت الحموي الجغرافي المسلم وهو من علماء القرن السابع الهجري، الثاني عشر ميلادي أشار في كتابه معجم البلدان إلى جزيرة أنغوجا و الجزيرة الخضراء، والأولى هي التي تسمى الآن زنجبار ويبدوا أن عاصمة زنجبار سابقا كانت جزيرة تمباتو(tumbatu) حيث كانت هذه الجزيرة معاصرة لمنطقة كزمكازي التي بني بها أول مسجد أسس في القرن الخامس الهجري ومازالت آثاره قائمة إلى الآن، وفي محرابه كتابة بالخط الكوفي بتاريخ ذلك المسجد إلا أنه وجد في متحف زنجبار قطعة حجرية مكتوب عليها آيات قرآنية بالخط الكوفي أيضا أخذت من جزيرة تومباتو ذكر علماء الآثار أنها أقدم من تلك الموجودة في مسجد كزمكازي، مما يدل على أن وصول المسلمين إلى منطقة تومباتو أقدم من وصولهم إلى كزمكازي. ويقول الحموي في وصفه لأنجوجا:

(إنها جزيرة كبيرة في أرض الزنج جيث يوجد مقر ملك الزنج وتتجه إليه السفن جميع الجهات وقد انتقل حكامها إلى جزيرة أخرى اسمها تومباتو وأهلها مسلمون[2] مازالت بجزيرة تمباتو(tumbat) أثار تدل على أنها كانت عاصمة لزنجبار.

---

(1) الاسلام في شرق افريقيا سبنسر ترمنجهام، ترجمة محمد عاطف النواوي ص 53 وما بعدها، ط1.
(2) حاضر العالم الاسلامي: الأثروا باستودارد الأمريكي، تعليق الأمير شكيب أرسلان، ج3، ص 73، دار الفكر العربي.

بداية الاتصال العربي الاسلامي والتكوين السكاني في زنجبار

تقطن جزيرة زنجبار مجموعة من السكان تتكون من أعراق وسلالات مختلفة نتيجة تزاوج المهاجرين العرب والشيرازيين مع السكان الأصليين والذين كانوا أصلا وثنيين، وكما أشرنا إلى أن بداية التواصل العربي الاسلامي كان في القرن الهجري الأول نهاية القرن السابع الميلادي في عهد عبد الملك بن مروان حيث كانت الحروب السياسية دائرة بينهم حيث فرّ هؤلاء بقيادة سليمان بن عباد من وجه عبد الرحمان بن سليمان الذي أوفده الحجاج للقضاء على ثورة أهل عمان فحمل سليمان بن عباد وأخوه وهما المعروفان (بابني الجلندي) ذراريها وسوادهما ولحقا ببلد من بلدان الزنج(زنجبار)[1]واستوطنوا مدنا على سواحل شرق إفريقيا، ثم جاءت الهجرة الثانية في القرن العاشر الميلادي (السلطان الحسن بن علي الشيرازي وأولاده) والذين ينسب إليهم تأسيس المدن والممإليك في شرق إفريقيا وهناك هجرات أخرى في القرن نفسه حيث هربت مجموعة من سكان عمان إلى هذه المناطق نتيجة الخلافات السياسية[2]وهناك هجرات فردية من كل من الكوفة والبصرة العراقيتين حيث تنسب المخطوطات التاريخية في جزيرة تومباتو بناء مدينة مكوكوتوني لشيخ عربي أسمه (يوسف بن علوي).

ومن الهجرات العربية الهامة التي كانت لها بصمات واضحة في الحياة السياسية والاجتماعية في شرق إفريقيا هجرة الأسرة النبهانية في القرن الثالث عشر ميلادي[3] وهذه الأسرة أسرة حاكمة، وقد وجدوا تأييدا من المجموعات التي سبقتهم إلى هذه الجزر في الساحل الشرقي الإفريقي، وحازوا على الحكم في هذه المواطن وامتد

(1) جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، سعيد بن علي المغيري، ص 73، ط وزارة التراث القومي والثقافة.1988

(2) معجم البلدان يقوت الحموي، ج5، ص 23، ط: دار الكتاب.

(3) تحفة الأعيان بسير أهل عمان، عبد الله بن حميد السالمي، ص72.

سلطان هذه الأسرة من القرن الثالث عشر ميلادي وحتى الثامن عشر ميلادي ولعل مازال تأثير هذه العائلة الحاكمة في نشر الثقافة الإسلامية في شرق إفريقيا كماكانت هجرات يمنية من قبل الحضارمة والتي بدأت في القرن العاشر الميلادي أي في القرن الرابع الهجري[1].

ويذكر المغيري في جهينة الأخبار: أنهم كانوا عمودا فقريا في الدولة السعيدية أيام السلطان سعيد بن سلطان حيث تولوا القضاء، والجمارك، و الجندية وكانت هذه الجالية أهل حركة ومعرفة ومعاملة وتجارة[2]. ثم توالت الهجرات من عمان بعد الأستعمار البرتغالي، وتأسست دولة إسلامية قوية ذات أبعاد حضارية عظيمة وازدهرت هذه الدولة ازدهارا كبيرا التحمت بالدولة العربية الاسلامية في عمان بل أصبحت جزيرة زنجبار عاصمة لدولة عمان في عهد البوسعديين (سعيد بن سلطان) ثم انفصلت عن عمان لتكون بعد ذلك دولة عربية مستقلة لما دب الخلاف بين أبناء السلطان. و ثم خلاف كبير بين اليمانين و العمانين في أيهم أسبق إلى شرق إفريقيا[3] حيث أن الشيخ الجنيد إمام الجالية اليمانية وعالمها الجليل يشير في مذكراته الاسلام واليمانيون الحضارم بشرق إفريقيا إلى أن هجرة العرب اليمنيين كانت قبل هجرة العرب العمانين[4]ثم أعقب هذه الهجرات العربية الهجرات الهندية التي كان لها أثرـ وإن كان قليلا في التركيبة السكانيةفي زنجبارـ وأقول (الأثر الضعيف) ذلك لأن الجالية الهندية جالية منغلقة على نفسها لاتتزاوج مع السكان[5] الأصليين، وعليه فإن الدراسات الحديثة تشير إلى أن سكان الجزيرة الأصليين هم التمباتيون – والبمباويون –

(1) الإسلام في شرق افريقيا سبنسر ترمنجهام، ص 73. ترجمة عاطف نووي

(2) المؤثرات العربية في الثقافة السواحلية في شرق افريقيا، سيد حامد حريز.

(3) حاضر العالم الاسلامي، شكيب أرسلان، ج3، ص 129 – 170.

(4) جهينة الأخبار (المغيري)، ص 261.

(5) الاسلام واليمانيون الحضارم في شرق إفريقيا: عبد القادر بن عبد الرحمان الجنيد، مذكرات لم تطبع طبعة طبعة نهائية ص 16.

وقبيلة الأوخاديموا وتجمع روايتي الكولونال (colonel regdi) ومحمود حويري على أن التركيبة السكانية في الزنجبار بدأت بمجموعـة من الشيرازين وبعض الشيعة الذين جاؤا إليها من الإحساء ثم الزنوج والعرب العمانيين واليمنيين[1] ومن يرى سكان زنجبار اليوم ليجزم بالامتزاج العرقي بين العنصر الزنجي و العنصر العربي.

فملامح الوجوه ولون البشرة هي ذاتها الموجودة في المناطق الجنوبية من اليمن وبعض الدول في الخليج العربي.

ملاحظة: ذكر فضيلة العلامة الجنيد أن الاسلام عرف طريقه إلى زنجبار في عهد سيدنا عثمان رضي الله عنه وذلك بشكل فردي ولعل ذلك من خلال هجرة بعض العرب من الحبشة إلى زنجبار[2].

الدولة الإسلامية العظيمة في زنجبار:

إن الكلام عن بداية الدولة الإسلامية في زنجبار لا يمكن أن يتصور إلا إذ أدركنا أن كلا من زنجبار والجزيرة الخضراء و مافيا وممباسا وكلوة وجزر القمر كانت في العهود السابقة للإستعمار الغربي رقعة جغرافية وسياسية واحدة وما هذه التسميات والتقسيمات إلا وليدة الإستعمار الغربي[3]فبداية الحكم الاسلامي في زنجبار خصوصا والشرق الإفريقي عموما بدأت مع بداية الهجرة الجماعية إليها، حيث اشترى السلطان حسن بن علي الشيرازي جزيرة كلوة من حاكمها الوثني و امتلكها مع أولاده، وكان أول من ملك البلاد (يقصد شرق إفريقيا) منهم السلطان علي بن الحسين بن علي وذلك في أواسط القرن الثالث من الهجرة النبوية وولى ولده

(1) المؤثـرات المسيحية على الثقافة السواحلية، د. عبد الرحمان عثمان، ص 39.

(2) اليمانيون الحضارم والاسلام في شرق افريقيا، عبد القادر الجنيد.

(3) السلوة في أخبار كلوة، الشيح محي الدين القحطاني، ص 29، تحقيق محمد علي الصليبي، وزارة التراث القومي، سلطنة عمان. طبعة الأولى عام 1988

محمد بن علي على ممباسة، وبعد اضطراب الأمور وحدوث الفتن خرج بعض ذرية السلطان علي بن الحسين من كلوة إلى زنجبار لطلب النصرة من سلطانها كما أن صاحب السلوة ذكر أن السلطان سعيد بن سلطان، سلطان كلوة (وليس المراد هنا السلطان سعيد البوسعيدي) حين قام منازعا في الملك فلما لم يكن له طائل، ترجح له أن يخرج من البلاد مهاجرا إلى زنجبار لطلب النصرة على سلطانهم. فلما وصل زنجبار وجد السلطان فيها هو السلطان حسن بن السلطان بن بكر، فطلب منه النصرة على كلوة فوعده بذلك[1]ويبدوا بإمعان النظر أن هذه الجزر الواقعة في شرق افريقيا كانت عبارة عن سلطنات إسلامية على رأس كل سلطنة سلطان. ولكن الحال واحدة حيث دبت الخلافات و شبت الحروب بين الاخوة وأبناء الملة الواحدة والذي يؤكد هذا الكلام أن المسعودي قال في مروجه أثناء الكلام عن هذه الجزر الواقعة في بلاد الزنج من المحيط الهندي (أن حكامها كانوا مسلمين) وذلك كان في القرن الرابع الهجري[2] ولكن رغم ذلك فقد شهدت هذه الدول وهذه السلطنات تطورا حضاريا في مجالات عدة على ذات النسق الذي كانت تعيشه المدن العربية ومدن الخليج العربي كما يحدثنا سبنسر ترمنجهام عن ذلك التأثر الحضاري في شرق إفريقيا عموما و زنجبار خصوصا، بالحضارة الإسلامية فيقول: (وكان الارتباط بحضارات الدول التي جاء منها المستوطنون الأوائل قويا شديدا فعمل الشعب الجديد على تقليد حياة مدن جنوب الجزيرة العربية ومدن الخليج العربي[3].

علما أن هذه السلطنات كانت قائمة حتى القرن العاشر هجري في كل من زنجبار وممباسة و كلوة وسفالة وغيرها، وهو القرن الذي غزى فيه البرتغاليون شرق إفريقيا

(1) السلوة في أخبار كلوة / المؤلف مجهول / طبعة وزارة الثقافة والتراث عمان.

(2) مروج الذهب المسعودي ج4 ص 17 طبعة

(3) الاسلام في شرق افريقيا / سبنسر ترمنجهام ص 40

وشهدوا على عظمة الحضارة الإسلامية الموجودة في هذه المدن والدول[1]كما أن سلاطيـن هذه الدول كانوا على إتصال بالسلطـان محمـود الغزنـوي(1001 هـ) أشهر سلاطين الدول الغزنوية بالهند حيث يذكر المغيري أنه لما نـزل (البرتغالين) إلى(ملند) وهي مدينة كينية حاليا تلقاهم أهلها غاية التلقي و أعطوهم جميع ما يريدون ثم تركوا عندهم سبعة أنفس من النصارى وقالوا لهم: اثنان يجلسان عندكم وأربعة أرسلوهم إلى جزرات عند السلطان محمود، فأما الأربعة الذين أرسلوهم إلى الهند فقد ختنهم صاحب الهند(محمود الغزنوي) وأسلموا[2]ولعل من أبرز تلك الأسر العربية الحاكمة في شرق إفريقا في القرن السابع و الثامن الهجريين أسرة النباهنة و التي ملكت عمان ثم انتقل ملكها إلى الساحل الشرقي من إفريقيا عندما إحتدم الصراع بينها وبين بعض القبائل العربية في عمان.

حيث تذكر الروايات أن بتة (PATTA)(منطقة في كينيا) قد حكمها الأمراء النباهنة، وأن عدد سلاطين النباهة الذين حكموا الساحل الشرقي في إفريقيا 32 سلطانا وكان أو ملكلهم بين 500 و 600 هـ[3].

بداية الصراع الإسلامي النصراني في جزيرة زنجبار (الوجود البرتغالي):

يعد الصراع الإسلامي المسيحي على جزيرة زنجبار امتدادا للصراع المسيحي في العالم وحلقة من حلقاته المبدوءة بالحروب الصليبية وإنهاء الوجود الإسلامي في الأندلس وانطلق هذا الصراع مع بدايات الاكتشافات الجغرافية والتي انطلقت من البرتغال بقيادة البحارة هنري الملاح حيث كانت الأطماع الاقتصادية تسيطر على هؤلاء كما كانت رغبتهم ملحة في العثور على طريق آخر موصل للهند غير طريق

(1) نفس المرجع، ص 40.

(2) جهينة الأخبار، (تاريخ زنجبار)، ص 128 وما بعدها.

(3) المرجع نفسه، ص 130.

البحر الأحمر، الذي كان تحت السيطرة الإسلامية ذات القوة و النفوذ ومن ثم كان لزاما أن يشق البرتغاليون طريقهم إلى الهند مما جعلهم يحتكون بالوجود الإسلامي في السواحل الشرقية لإفريقيا ولكن لايجب أن نفصل التفاف البرتغاليين حول سواحل إفريقيا واكتشافهم طريق الهند عن الأهداف الدينية والعقائدية، وحصرها في الأهداف الاقتصادية البحتة ولعلنا سنسوق بين يدي هذا البحث من الأدلة القوية المتمثلة أولا في النصوص الصريحة بالهدف الديني للحملات البرتغالية وهذه النصوص لعلماء غربيين قبل أن تكون لعلماء مسلمين و الإقرار سيد الأدلة، وثانيا في تصرفات البرتغالين وتصريحات حكامهم وأعمالهم البشعة ضد المسلمين مما يرجح البعد الديني في حملاتهم، فقد ذكر الأستاذ جستص استراندس في كتابه الحقبة البرتغالية في شرق إفريقيا أن من بين الدوافع التي دفعت البرتغاليين للقيام بحركة الاكتشافات الجغرافية هي البحث عن طريق لايسيطر عليه المسلمون، وهناك دافع ثاني وهو البحث عن مملكة (القديس جون) التي كانت أحد الأحلام التي تراود البرتغاليين للتحالف معها ضد المسلمين، مما شجع الأمير هنري الملاح البرتغالي(والمعروف بتعصبه الديني) لخوض العديد من الحروب لاكتشاف سواحل إفريقيا، وهذه المملكة التي أمر الملك يوحنا قائد حملته بالتحالف معها للقضاء على المسلمين[1].

ويؤكد المعنى ذاته المؤرخ البريطاني الشهير أرنولد تويمبي[2]قائلا: (إن مصطلح الحروب الصليبية يطلق عادة على تلك الحملات العسكرية الغربية التي خرجت من أوروبا الغربية بتحريض من البابا و بركاته لتحقيق إنشاء مملكة مسيحية في بيت

(1) المؤثرات الاسلاميةوالمسيحية على الثقافة السواحيلية / عبد الرحمن أحمد عثمان / ص204ومابعدها.

(2) أرنولد تويمبي، مختصر دراسة التاريخ – ترجمة لجنة التأليف الشركات مع الدول العربية، ج12، ص 347.

المقدس أو لدعمها، أما في شرق إفريقيا فيمكن أن تسمى هذه الحروب حروب صليبية لأن المحاربين المشتركين فيها حبسوا أنفسهم عن شعور و قصد أنهم يحاربون لمد حدود المسيحية أو الذود عن حياضها[1].

وأما عن تصرفات وتحركات البرتغاليين العملية في شرق إفريقيا كان أولها بناء قلعة السيد المسيح (كينيا) سنة 1594 ولا تزال قائمة إلى يومنا هذا. وبناء قلاع أخرى في كل من أنجوجا وبمبا والتي رفعت فوقها الصلبان واتخاذ تمثال لفاسكو ديجاما ورفع الصليب فوقه[2] كما استدل الباحثون في الشأن الإفريقي على النوايا الدينية لقادة حملات الإكتشافات الجغرافية بذلك الأمر الملكي الذي وجهه الملك يوحنا إلى مندوبه الديني المرافق للحملــة (أفراي جون اكسبر) و الذي يطلب فيه منه أن يعلن للجند عن غرض تلك الحملة وأهدافها، فألقى خطبة جاء فيها:

(أن المسيحي الكاثوليكي الذي لا يدافع عن عقيدته بكل ما أوتي من قوة لا يعتبر فارسا حقيقيا من أتباع المسيح بل هو أشد سوء من العدو)[3] ناهيك عن قطع الطريق أمام الحجاج المسلمين في شرق إفريقيا إلى مكة المكرمة وقتلهم وتدمير سفنهم وأغراقها كما أورد الشيخ المغيري خبرا نقطع من خلاله الشك باليقين عن الهدف العقيدي للحملة البرتغالية، وهو أنهم أخذوا طفلا يسمى يوسف بن حمد من بيت سلاطين ممباسة و أرسلوه إلى جزيرة نجوغو من أعمال الهند بقصد تعليمه وتثقيفه، فتعلم هناك وتثقف و تنصر و لما مات أبوه أرجعوه إلى ممباسة ونصبوه سلطانا عليها مما أدى إلى قيام ثورة عام 1637م[4] هذا فضلا عن أعمال السلب والنهب والقتل

(1) جهينة الأخبار (المغيري) ص 114.

(2) المؤثرات الاسلامية والمسيحية على الثقافة والسواحلية / دعبد الرحمن أحمد.

(3) جهينة الأخبار / الشيخ المغيري / ص186.

(4) جهينة الأخبار، المغيري، ص 185.

وهتك الأعراض الذي تعرض له المسلمون على يد البرتغاليين[1] وبدأت الحملة البرتغالية بوصول فاسكو داجاما إلى شرق إفريقيا عام 1498 م وكانت (الموزمبيق) أول ميناء يرسو به في تلك المنطقة، فهرع بعض سكان المنطقة إلى تلك السفن وحيوا أهلها بتحية الصليب لمعرفتهم بالحملة من خلال الشارات الصليبية على أشرعة السفن،إلا أن البرتغاليين فتحوا نيرانهم على السكان فأردوهم صرعى[2] وعلى ذات المنوال استطاع رافسكو الذي انفصل عن حملة (دالندها) التي أقلعت من (لشبونة) أن يدمر زنجبار ويأسر عشرين سفينة مشحونة بالبضائع كانت راسية في مينائها بعد معركة بحرية حصد فيها البرتغاليون آلاف الأنفس بما فيهم ابن الملك[3] وهكذا تتابعت الحملات البرتغالية على تدمير المدن و الحواضر الإسلامية في شرق إفريقيا ككلوة وغيرها مما كان له الأثر البالغ في توقف حركة التجارة والهجرة وإنفراط عقد الأمن وحلول الخراب[4].

التحرر من الإستعمار البرتغالي وبداية النهوض الإسلامي

إن الكلام عن الحركات التحررية في شرق إفريقيا لايجب أن يكون بعيدا عن الحركات التحررية في دولة عمان وثوراتهم ضد البرتغاليين علما بأن منطقة شرق إفريقيا، شهدت عدة ثورات وخاصة سكان جزيرة بمبا، فإنهم لم تلن لهم عريكة ولم تكسر لهم قناة ولا هدأ لهم بال ومن أمثلة هذه الثورات ثورة 1635م وثورة عام1637، ولا ننسى الصراع و الثورات بين البرتغاليين والمسلمين في ممباسة وبتة وغيرها، ولكن التفوق العسكري والتطور الملحوظ

(1) المؤثرات الاسلاميةوالمسيحية على الثقافة السواحلية / د عبد الرحمن أحمد ص / 207

(2) الاسلام في شرق افريقيا، سبنسر ترمنجهام، ص 54 وما بعدها.

(3) المؤثرات الاسلامية والمسيحية على الثقافة السواحلية، عبد الرحمان أحمد عثمان، ص 207. والاسلام في شرق افريقيا / سبنسر ترمنجهام / ص54

(4) تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، ج2، ص 106، العلامة الشيخ نورالدين عبد الله بن السالمي تحقيق أبي اسحاق ابراهيم أطفيش.

في جانب القوات البرتغالية كانا مرجحين لكفة القوات البرتغالية. مما جعل هؤلاء المسلمين يستنجدون بحاكم عمان من خلال وفد رسمي أوفد إلى عمان للإستنجاد بالسلطان الإمام سيف بن سلطان اليعربي، الذي يلقب بقيد الأرض، وكان هذا الإمام حسن السيرة والسياسة محاربا للنصارى في جميع الأقطار وعمل مراكب عظيمة في البحر وعظم جيشه وقوي سلطانه حتى قيل أن جيشه الذي دخل به الهند بلغ ستة وتسعين ألفا[1]، فبعد أن غادر الوفد الإفريقي عمان جهز سيف بن سلطان اليعربي حملة قاصدا ممباسة لمحاربة البرتغاليين، ودامت الحرب بينه وبين البرتغاليين عامين كاملين وفي سنة 1060 هـ استولى الإمام على ممباسة وأجلى البرتغاليين على جل المدن والحواضر الإسلامية بالساحل الشرقي إلى أقصى مملكتهم بموزمبيق، وهكذا دخلت جميع الممالك الإسلامية في شرق إفريقيا تحت حكم الإمام العماني سواءا كان سيف بن سلطان بن سيف أو غيره، لما في الروايات من اختلاف في محرر البلاد من الإستعمار واتخذ عاصمة ملكه ممباسة(كينيا) ثم عين الإمام ناصر بن عبد الله المزروعي واليا على ممباسة وقفل راجعا إلى عمان[2]ومع بداية عام 1650 م بدأت العلاقات والصلات تنمو من جديد بين عمان وزنجباروترجع إلى وضعها الطبيعي كما كانت قبل الإحتلال البرتغالي وتشير الروايات التاريخية أن الأمر لم يستقر لأئمة عمان حيث عاود البرتغاليون الهجوم على هذه المراكز من جديد ولكن الإمام سيف بن سلطان استرد ممباسة وزنجبار وبشكل نهائي من أيدي البرتغاليين بعد أن ضرب معاقلهم في الهند ودمر حصونهم وحطم قلاعهم في المعركة الشهيرة (الديو) وكان استرداد زنجبار عام 1694 م وممباسة عام 1698 م.

دور العثمانيين في شرق إفريقيا

وبعد كتابة جزء كبير من هذا البحث الذي لم أجد في كثير من المصادر أي دوريذكر للخلافة العثمانية في هذه المناطق من العالم الإسلامي حتى وقع تحت يدي كتاب الدكتور

(1) جهينة الأخبار، المغيري، ص 192.

(2) تقسيم الامبراطورية العمانية، د. سلطان بن محمد القاسمي، ص 17 وما بعدها. الطبعة الأولى

سلطان بن محمد القاسمي حاكم الشارقة (تقسيم الإمبراطورية العمانية)، فألفيته قد ذكر دورا بارزا للدولة العثمانية في محاربة البرتغاليين في عمان وغيرها من مدن الخليج العربي وشرق إفريقيا، فقد قاد القائد العسكري العثماني ميـرعلي بية عدة حملات ضد البرتغاليين في شرق إفريقيا منها حملة عام 1585م وحملة عام 1588 م حيث انتصر في الحملة الأولى وخضعت له جميع الممالك الإسلامية من مقديشو إلى كلوة وعاد بغنائم كثيرة، مما جعل البرتغاليين يعدون حملة مضادة قوية إلى شرق إفريقيا بقيادة مارتيم أفونسودي ميلو(martin affonsode mello) بحيث انتقموا من الممالك التي وقفت مع العثمانيين واستبيحت المدن وقتل الزعماء عام 1587م وفي عام1588 أعد القائد العثماني حملة أخرى،أخضع فيها جميع مدن الساحل ولكن سرعان ما بادر البرتغاليون إلى الهجوم المضاد بقيادة (تومي ديسوزا كيتمبوCOUTINBO DESOuzA) عام 1589 م، و الذي استعان بكثير من القبائل الوثنية كالزولو، والمساي والجاغا، فدمر الحملة العثمانية وأباح المدن الإسلامية لهذه القبائل التي تعتبر من أكلة لحوم البشر، وبذلك فرضت السيطرة البرتغالية على الساحل الشرقي لإفريقيا كما فرضت على عمان وغيرها[1].

دولة اليعاربة: تنسب هذه الدولة للإمام المؤيد ناصر بن مرشد بن أبي العرب اليعربي، من ولد نصر بن زهران وكانوا من القبائل العربية[2] وتولى زمام الأمور في عمان 1615م الموافق لـ: 1024 هـ. ثم لما توفي سنة 1640 ميلادي الموافق لـ: 1050 هـ لم يترك سوى ابنة واحدة، ولم تكن له يد في إفريقيا الشرقية، بويع ابن عمه الإمام سلطان بن سيف، ولهذا الإمام تاريخ حافل في جهاد البرتغالين ليس في مسقط فحسب، بل ترجمت كثير من الروايات التاريخية انه هو الذي بدأ جهاد البرتغالين في

(1) جهينة الأخبار، المغيري، ص 199.

(2) تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، عبد الله بن حميد السالمي، ج2، ص03.

شرق إفريقيا[1] ولكن الحاكم اليعربي الذي لمع اسمه في سماء شرق أفريقيا في أجلاء البرتغالين وتكبيدهم هزائم نكراء. و الذي ترك بصمات واضحة على الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية هو الإمام سيف بن سلطان بن سيف بن سلطان بن سيف بن مالك الملقب بقيد الأرض، لكثرة فتوحاته وانتصاراته، حيث كان يملك قوة عسكرية ضاربة، كما كان مثالا في ضبط الممالك و تقييد البلاد بعدله، بل تجاوز في فتوحاته إلى بعض الجزر التي كانت بالهند، ثم كان أخر أئمة من اليعاربة سلطان بن مرشد بن هدي اليعربي سنة 1167 هجرية الموافق ل 1753م وهناك رواية تقول أن آخر إمام هو بلعرب بن حمير وقد توفي في نفس السنة، ثم انتقل الحكم إلى العائلة البوسعدية، بقيادة الإمام أحمد بن سعيد و دامت دولة اليعاربة التي امتدت من عمان إلى شرق إفريقيا وبعض الجزر الهندية 143 سنة[2] ولكن ظلت الممالك الأفريقية ولايات تابعة لدار الإمامة في عمان، يُنَصّبُ عليها ولاة مبعثون من قبل الإمام من عمان[3] إلا أنه في عهد سابع الأئمة اليعاربة سيف بن سلطان الثاني ونتيجة للفتن التي عصفت بعمان أرسل الشيخ محمد بن عثمان المزروعي واليا على أفريقية الشرقية كان ذلك سنة 1163 هـ الموافق ل1749م وظل هذا الوالي يبعث للإمام قسطا معلوما من المال في كل عام. وفي عهده أفل نجم دولة اليعاربة[4].

دولة البوسعيدين

قال السالمي رحمه الله في مطلع الكلام عن هذه الدولة (فلما غيرت اليعاربة سيرة السلف الصالح وظنوا بغباوتهم أن الدولة ميراث وتكالبوا على الملك أذهب الله ذلك

(1) جهينة الأخبار، المغيري، ص 199 وما بعدها.

(2) تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، ج2، ص 60.

(3) جهينة الأخبار، المغيري، ص 207.

(4) تحفة الأعيان السالمي، ج2، ص 172.

من أيديهم وجعله إلى غيرهم[1].

ومؤسس هذه الدولة هو الإمام أحمد بن سعيد بن أحمد محمد البوسعيدي، وكان واليا على منطقة صحار في عمان لسيف بن سلطان اليعربي ثم فوض إليه أمور الدولة وسياسة البلاد لما رآه فيه من قوة الشكيمة وعلو الهمة فلما وقعت الفتنة بين سيف بن سلطان اليعربي وبلعرب بن حميز بعثه سيف بن سلطان ليخلص الحصون من يد بلعرب بن حميز وتمكن الإمام أحمد من قتل بلعرب وعندها اتفق أهل نزوى بعمان على خلع سيف بن سلطان ومبايعة الإمام أحمد البوسعيدي ولكن السالمي يرجح موت سيف بن سلطان قبل بلعرب بن حميز وعليه ظلت عمان بدون إمام فالإمام الشرعي مات والباغي بلعرب بن حميز قتل ولا بد من مبايعة إمام وهكذا انعقدت الإمامة لهذا الإمام وساد ودانت له الخلائق واستقام ملكه تسعا وعشرين سنة وتوفي سنة 1196 هجري[2] الموافق لـ1781م.

الفتنة الكبرى بين المزاريع والنباهنة من جهة والحكام البوسعيدين:

سبق وأن ذكرنا أن نجم الدولة اليعربيةأفل وبزغ نجم البوسعيديين وحكام شرق أفريقيا أنذاك هم المزارعة من القبائل العربية العمانية علما أن أحمد بن سعيد البوسعيدي أول ما انتقل إليه الملك والإمامة وضع يده على زنجبار بأفريقيا الشرقية مما جعلهم يرفضون ولاية الإمام أحمد فوقعت بينهم الحروب والمناوشات حيث رفض محمد بن عثمان الاذعان بالولاء للبوسعيديين مما جعل الإمام أحمد بن سعيد يرسل من يقتله في قلعته بممباسة أما زنجبار فقد ولي أمرها ياقوت الحبشي مملوك سيد أحمد بن سعيد الأمر الذي جعل علي

(1) نفس المرجع، ص 183.

(2) جهينة الأخبار، المغيري، ص 209 وما بعدها.

بن عثمان المزروعي يغتاظ من ذلك ويعلن الحرب على زنجبار سنة 1167 هجري الموافق ل 1753م ولكنه انهزم هو وجيشه وقتل ودفن بزنجبار[1] كما تذكر الروايات أن الفتنة ظلت قائمة بين آل بوسعيد والمزارعة والنباهنة حتى أيام الوالي السادس على زنجبار في عهد سعيد بن سلطان سنة 1238 هجرية وبتتبع تاريخ زنجبار نجد أن العمانيين لم يستفردوا بالحكم فيها بل كان هناك حكام من أهل زنجبار أي من السكان الأصليين فقد حكم زنجبار السلطان أحمد بن محمد بن حسن العلوي ويعرف عندهم باسم (بوانى مكوا) وهذا لفظ سواحلي معناه " السيد الكبير " قال عنه المغيري [هو من سلالة السلاطين السابقين وآخرهم وهم الذين سادوا زنجبار منذ زمن طويل قبل قدوم العرب العمانيين لهذه الجزيرة][2]ثم قال [أنه من أبناء ملوك زنجبار الأقدمين][3] وكان سلطانا على المخاديم في عهد السيد سعيد بن سلطان وكان يتقاسمان السلطة[4] –وكانت له طبول وأبواق مزدانة بنقوش وكتابات عربية محكمة الصنع لا تزال محفوظة بدار الآثار[5] وبعد موت أول سلطان(آل بوسعيد بعد 41 سنة) تولى الإمامة ابنه سعيد ثم تنازل سنة 1199 هجري الموافق ل 1784م لولده أحمد بن سعيد ثم استقر الملك للسيد سلطان الذي قتل في المعركة البحرية بخليج العرب سنة 1028 هجرية الموافق ل 1619م وكان له أخ يدعى سالما شاركه في الملك والسلطنة ردحا من الزمن ولكن بعد مقتل السيد سلطان تولى الأمر أحد

(1) جهينة الأخبار، المغيري، ص 263.
(2) نفس المرجع، ص 263.
(3) نفس المرجع، ص 263.
(4) نفس المرجع، ص 265.
(5) نفس المرجع، ص 234.

أبناء عمومته و هو السيد بدر بن سيف وكانت أمور تسيير الدولة تصدر عن السيدة فاخرة بنت الإمام أحمد التي حرضت ابن أخيها السيد سعيد بن سلطان على قتل بدر بن سيف في مبارزة علنية وبعد مقتل هذا الأخير توطدت أقدام السيد سعيد بن سلطان[1].

دولة السيد سعيد بن سلطان

مؤسس دولة زنجبار الحديثة، ولد هذا الهمام في بلد سمايل من عمان سنة 1204 هجري (1791م) وتولى المملكة في شهر شعبان 1219 م الموافق لسنة 1804م وبعد قتله لابن عمه بدر استقر له سلطان عمان وزنجبار وكانت تربطه أواصر صداقة حميمية مع الانجليز (الدولة الاستعمارية) حتى قال عنه المغيري و هو ممن أطنب في مدحه والثناء عليه بقوله:(هذا الإمام الباسل المقدام السياسي الذي ساقته العناية الربانية...)[2] يقول عنه[3]واصفا علاقته مع الانجليز: (وكان السيد سعيد رجلا كبيرا وحليفا أمينا للانجليز من نصف قرن ومظيفا ملوكيا للمئات من البوارج الحربية البريطانية وشريكا غيورا لبريطانيا العظمى في مطاردة النخاسين في قطع تجارة الرقيق)[4] أول زيارة له إلى جزيرة زنجبار كانت عام 1243 هجري الموافق ل 1828م بعد جولة إلى ممباسة وقد ناوشه المزاريع ثم سلموا له القلعة ومكث هذا السلطان ثلاثة شهور في زنجبار ثم عاد إلى عمان بعد اخماد القلاقل الموجودة في عمان. عاد إلى زنجبار عام 1828م الموافق 1243 هجري ليتخذها عاصمة جديدة لدولته وديوان حكومته عام 1832م وإليه ينسب فضل

(1) نفس المرجع، ص 233.

(2) نفس المرجع ص 233

(3) نفس المرجع ص234

(4) نفس المرجع، ص 192.

زراعة شجرة القرنفل التي اشتهرت بها الجزيرة في أرجاء المعمورة وازدهرت زنجبار في عهده ازدهارا لا مثيل له حيث عمت التجارة واتسع نطاقها وامتد نفوذ العرب داخل البر الافريقي وامتد صيت زنجبار واتسع نفوذها من المحيط الهندي إلى المحيط الأطلنطي وأقام علاقات ديبلوماسية مع ملوك الدنيا وروؤساء جميع الدول دون استثناء كما بنى القصور والدور والحمامات ولا تزال هذه الآثار العظيمة شاهدة إلى يومنا هذا على ازدهار زنجبار في عهد هذا الرجل مع تحفظنا على ولائه الشديد للانجليز هذا الولاء الذي أدى باحدى بناته وهي الأميرة سالمة إلى اعتناق الدين المسيحي ثم هربت من زنجبار في عهد السلطان ماجد لتقيم مع زوجها الألماني في ألمانيا وهي صاحبة كتاب(مذكرات أميرة عربية) كما كان هذا الولاء سببا في ضياع الجزيرة من حكامها. وكان لزنجبار في عهده جيشا بريا قويا إضافة إلى الأسطول البحري وكان ملوك أوروبا يتقربون إليه بالهدايا كما شهدت السياحة في عهده حركة كبيرة حيث تعاظم انسياب سواح أوروبا إلى أفريقيا كما امتدت مملكته إلى موقاديشوا بالصومال و داخلية البر الإفريقي وكل ساحل أفريقيا والهند وعمان وبندر عباس وكان سياسيا محنكا يبدو ذلك من خلال المعاهدات والنشاط الديبلوماسي مع كل من أمريكا وبريطانيا وفرنسا ولكن للأسف الشديد فإن بريطانيا استغلت وقوفها معه في وجه مناوئيه في الداخل والخارج و تدخلت بشكل فاضح في شؤون السلطنة الداخلية حيث جعلت مصالح رعاياها في زنجبار في يد وكيل عنها فعينت القبطان هيمرتن قنصلا لملك بريطانيا ووكيلا لشركة الهند الشرقية في ديوان حاكم زنجبار[1]حيث اعتبر المغيري ذلك بداية الاستعمار البريطاني لزنجبار فقال: " ومنذ ذلك الحين تعاظم نفوذ

(1) جهينة الأخبار، المغيري، ص 195.

الإنجليز في زنجبار ولم يمض زمن حتى تسلطوا على جميع أمورها السياسية] وفي سنة 1843م في 29 من سبتمبر رفع العلم الانجليزي بزنجبار وهذه المسألة أشبه ما تكون بما يعرف باسم المسألة الشرقية.

كما شكل هذا الرجل أسطولا بحريا حربيا عظيما مكونا من 22 سفينة عظيمة نذكر منها:

1 – السفينة ليفربول: وقد بنيت هذه السفينة في بومباي الهند عام 1826 وكان طاقمها مكونا من 150 بحارا وظابطا وكانت مزودة بـ 74 مدفعا وحمولتها 1080 طنا أرسلها السيد سعيد هدية إلى الملك وليام الرابع ملك بريطانيا عام 1833م.

2 – السفينة شاه العلم وتحمل 52 مدفعا ولها 150 ملاحا.

3 – السفينة رحماني بها 40 مدفعا.

4 – السفينة مصطفى بنيت في مسقط وبها 26 مدفعا ووزنها 740 طنا.

5 – السفينة سلطانة والتي بنيت بالهند (بمباي) وهي التي أبحرت إلى الولايات المتحدة الأمريكية وتعتبر أول أسطول عربي يصل أمريكا عام 1804م[1]

تسامحه الديني: أن أبرز ما يميز هذا الرجل هو تسامحه الديني مع المخالف له ليس في المذهب الفقهي فقط بل في المعتقد فقد فتح المجال واسعا للمبشر (كرابف) فزوده بخطاب لعماله في البر الأفريقي لتسهيل مهمته، كما أصدر أوامره إلى عماله بعدم التعرض إلى المذاهب الفقهية الموجودة في زنجبار (الاثني عشرية الإسماعيلة -الإباضية -الحنفية -الشافعية) قائلا لهم: «كل من حكم بحكم و أخطأ فيه

(1) تقسيم الأمبراطورية العمانية / د سلطان القاسمي ص/ 58

سلطانة في نيويورك / هرمان فرديرك ابلنس / ترجمة ونشر وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان عام 1989

يرجع بالسؤال إلى من هو أعلم منه، كل صاحب مذهب يتبع مذهبه هذا ما جرت به العادة من قديم»[1] كما كان جل قضاته في زنجبار من علماء الشافعية رغم وجود علماء ا لإباضية ونذكر منهم الشيخ محي الدين ابن الشيخ القحطاني والذي ظل كذلك حتى عهد السيد ماجد بن سعيد وهو صاحب كتاب السلوى في أخبار كلوة، توفي عام 1869 ومنهم الشيخ أحمد بن سالم وقد استمر قاضيا حتى عهد السلطان ماجد الذي كان يخاطبه بالوالد توفي 1870 كما استعان السيد سعيد بالحضارمة في الجيش وبقية دواوين الحكومة واستعان بالهنود بمختلف طوائفهم الدينية في الجمارك وغيرها من الإدارات الحكومية[2]ولعل أول موفد له إلى الولايات المتحدة الأمريكية هو الحاج أحمد بن نعمان وهو من الشيعة الإثنى عشرية وقد قدم زنجبار أيام السلطان سعيد من مدينة البصرة العراقية وكان أمين سره الخاص[3] ولم ينقل عنه –رحمه الله – أنه منع أحدا من ممارسة شعائره الدينية وفق ما يراه مناسبا، لهذا وصفه ريتشارد بيرتن –مؤلف كتاب زنجبار المدينة الجزيرة والساحل – بقوله:(فطين معقول –متدين جدا – دون تعصب – لين الجانب ومهذب، مهيب الطلعة متميز السمات)[4]وفي تأبينه قال عنه:(الأول في الحرب والأول في السلم والأول في قلوب أهل بلده سلام على روحه)[5] وكان متواضعا دينا ذا أخلاق كريمة وخصال حميدة وتوفي في باخرته وهو عائد من عمان إلى زنجبار عام 1856م– 1273 هـ، وترك وراءه ممالك في أسيا والهند وافريقيا،

---

(1) جهينة الأخبار / المغيري ص271.

(2) جهينة الأخبار، المغيري، ص 261 وما بعدها.

(3) سلطانة في نيويورك / هرمان فردريك ابلنس ص 38/ 39

(4) تحفة الأعيان، السالمي، ج2، ص 160.

(5) جهينة الأخبار، المغيري، ص 207، نفس المرجع.

وبموته دخلت زنجبار تاريخا وعصرا جديدا حيث هبت بريطانيا وغيرها من الدول الغربية الاستعمارية لنهب خيرات القارة التي اكتشفوا مكنوناتها وخيراتها وثرواتها الطبيعية والتي مازالت تعاني إلى يومنا هذا من جراء هذه الهجمة الشرسة حيث هدمت بنيتها التحتية ومزقت تركيبتها الاجتماعية بإثارة الحروب والفتن بين القبائل والأعراق والسلالات كما عرفت المنطقة تحولا سياسيا خطيرا وذلك بانقسام السلطنة حيث ورث ابنه ماجد عرش زنجبار وورث ابنه ثويني عرش عمان وكان لذلك الأثر السيئ على جميع المستويات والأصعدة وأضعف من قوة زنجبار بعد مناوشات عسكرية بين الطرفين وتدخل بريطاني، وكان ذلك حلما تحقق لبريطانيا فحكم المقيم البريطاني في الهند بين الأخويين حيث أدى هذا التحكيم إلى انقسام الامبراطورية إلى دولتين.

الاستعمار البريطاني والتدخل الأوروبي

لعل بداية الاستعمار البريطاني للسلطنة كان عام 1239 هجري 1824- م قبل نقل الإمام سعيد بن سلطان عاصمة الدولة من عمان إلى زنجبار حيث وصل إلى ممباسا القبطان (قيدال) مندوب الحكومة البريطانية، وشأن المحتلين دائما تقديم الوعود المعسولة للبلد المحتل، إذ وعدهم بتقديم مطالبهم إلى حكومة بومباي وللأسف الشديد فإن قبيلة المزاريع سارعت في اعلان الولاء والدخول في طاعة الانجليز و رفعت الراية البريطانية على المباني الحكومية بدون إذن من الحكومة البريطانية نفسها مما أغراهم أكثر وكان ذلك بسبب خوفهم من سلطان عمان يومها سعيد بن سلطان، ومن ثم طلبت الحكومة البريطانية رسميا دخول ممباسا وكل البلاد التي امتلكها المزارعة تحت الحماية البريطانية فأبرمت معاهدة بين الوالي المزروعي والانجليز تقضي بمايلي:

1 - جعل أمر السلطنة بيد المزارع ويكون وكيل الحامية إنجليزيا

2 – تقسم عشور الداخل إلى نصفين، نصف للمزاريع ونصف للانجليز.

3 – تطلق اليد لرعايا الدولة الانجليزية في الممالك الداخلية.

4 – إلغاء تجارة الرقيق.

ولم تمضي سوى سنتين ونصف حتى انجلت القوات البريطانية على المنطقة[1] ولكن الصلات بين البريطانيين والسلاطين ظلت مستمرة ولم تنقطع، وظلت بوارجهم البحرية تمخر عباب المحيط الهندي وتجوب خبايا المنطقة مكتشفة إياها متفحصة مكامن الفراغ ونقاط الضعف، ولعل بريطانيا كبلت أيدي السيد سعيد بن سلطان وطوقت عنقه بسلسلة من المعاهدات كان لها الأثر الكبير في إنهاء الوجود الإسلامي السياسي في هذه المنطقة ابتداء من معاهدة سبتمبر 1828 ثم معاهدة 1845م[2]، ويعلق الشيخ المغيري على ذلك وفي معرض الدفاع عن سياسة السيد سعيد بن سلطان بقوله: [ومما كلف السيد سعيد قبول هذه المعاهدات الثورات التي حدثت ضده في داخلية عمان والخليج الفارسي واضطر لصداقة الإنجليز][3]، وليست بريطانيا وحدها من كان لها الوجود والحضور العسكري والسياسي في زنجبار بل تكالبت كثير من الدول على هذه الجزيرة الجميلة حيث كانت الولايات الأمريكية المتحدة سباقة إلى أرض زنجبار فعقدت اتفاقية مع حكام عمان من أجل اطلاق يدها في زنجبار قال المغيري – في تأكيد هذا المعنى –:(أن نفوذ أمريكا كان هو المتسلط في زنجبار أثناء السنين التي أعقبت وصول السيد سعيد)[4] وبقيت مدة طويلة متسلطة على جميع المصالح

(1) جهينة الأخبار، المغيري، ص 258.

(2) نفس المرجع ص/ 258.

(3) نفس المرجع، ص 258ومابعدها.

(4) جهينة الأخبار، المغيري، ص 259 وما بعدها.

التجارية في أفريقيا الشرقية بل كانت عندها قاعدة عسكرية في زنجبار بمنطقة تونغو(tunguu) ضمن الاتفاقية العسكرية بين البلدين والتي عقدت أساسا من أجل مكافحة البرتغاليين في الموزنبيق وأغلقت هذه الأخيرة في عهد الثورة والاتحاد مع تنجنيقا، لما قطعت العلاقات في منتصف الستينات مع الولايات المتحدة الأمريكية، ولم تكن فرنسا بمنأى عن هذه المعاهدات السياسية فقد شاركت فيها سيما ولأنها تملك مستعمرتين واقعتين بين هذه الجزيرة وهي (مدغشقر و جزر القمر) حيث كانتا تحت السيطرة الفرنسية، وتلتها إيطاليا 1877، ثم ألمانيا 1885، ثم روسيا 1896م وفحوى هذه المعاهدات أن تضمن هذه السلطنة لرعايا هذه الدول الحقوق التجارية والسكنى في زنجبار بلا مانع ولا رادع وتشمل إعفاء الأوروبيين من تسليم الرسوم والمعشرات للحكومة[1] علما أن في هذه الفترة كان الوجود الألماني متجذرا بكل ثقله الديني والسياسي والثقافي في (تنجنيقا البر حيث كانت مستعمرة ألمانية) وبعد انحصار الدور الألماني وخسارته في الحرب العالمية خرجت ألمانيا من هذه المستعمرات لتحل محلها بريطانيا فكانت زنجبار وتنجنيقا (تنزانيا اليوم) وكينيا، وأوغندا كلها مستعمرات بريطانية ولكن رغم هذا فإن بريطانيا كان لها قنصلا مقيما في زنجبار وكانت زنجبار تابعة لوزارة الخارجية البريطانية، وفي عام 1913 اتبعت لوزارة المستعمرات وعين لقب المعتمد والمقيم بدل لقب القنصل[2] وبهذا التاريخ اكتملت حلقة الاستعمار الأوربي للعالم الإسلامي بشرقه وغربه وتوزعته القوى الاستعمارية فلم يكد عام 1920 يكتمل حتى أطبقت هذه القوى الغاشمة بقبضتها على كل دول العالم الإسلامي.

(1) جهينة الأخبار، ص 235 وما بعد

(2) نفس المرجع، ص 252.

أثار الاستعمار البريطاني على جزيرة زنجبار

إن آثار الاستعمار تكاد تكون واحدة في جميع البلدان وتتمثل في تدمير البنية التحتية والاقتصادية والاجتماعية والتفرقة العنصرية، حيث يتبنى هذا الأخير مذاهب اعتقادية شتى، إلا أنها في الأخير جميعها تخدم الفكرة الدينية والحملة الصليبية الحاقدة،، و كل مذهب يريد حمل الآخرين على اتّباعه،ويسعى لتوسيع قاعدته وكسب الأتباع ولو كان ذلك بإراقة الدماء وقتل الأبرياء حتى ولو كانوا من أبناء الملة النصرانية نفسها مما أخضع القارة الأفريقية لحروب ضروس وتفكك اجتماعي رهيب عاد بالسلب على القارة ومواردها البشرية كما رافق ذلك نهب ثروات القارة وخيراتها، وأخذها موادا خاما إلى أوروبا لاعادة تصنيعا وبيعها في مواطنها الأصلية بأسعار باهضة مما أثقل كاهل الشعوب الأفريقية وجعل هذه القارة كغيرها من البلدان المستعمرة تعيش تحت خط الفقر، كما كان موضوع الاسترقاق في ثوبه الجديد والمتمثل في أخذ اليد العاملة الأفريقية إلى أوروبا وأمريكا للعمل في المناجم والمصانع العملاقة وبأجور زهيدة (رمزية)، غالبا على الوجود الغربي في المنطقة حيث لم يعف من هذا الاسترقاق (الأطفال والنساء).

يضاف إلى ذلك البعد الثقافي والديني للاستعمار حيث ومن الوهلة الأولى التي وطأت فيها أقدام الغربيين هذه القارة الغنية الفقيرة كان البعد الديني والثقافي حاضرا في ذاكرتهم، بل هدفا ساميا كرسوا له جميع الطاقات، فقد ذكر الميسيو بوني موري كما نقله عنه شكيب أرسلان هذه الأبعاد حيث قال: [بل إن الميل الحاضر عندهم إلى الاكتفاء بالزوجة الواحدة والاعتناء بترقية المرأة وإصلاح المحاكم كل هذا كان من نتائج الدعوة المسيحية] ويقول في موضع أخر(فالنصرانية كانت الرجحى في أهمية النتائج الأدبية والاقتصادية، ثم لا

يوجد وجه للقياس بين مدارس النصرانية، وبين كتاتيب الزوايا فضلا عن كون مبشري الإنجيل أسسوا مدارس صناعة مثل مدارس بغاميو(bagamoyo) ومدارس زراعية نظير مؤسسة الآباء البيض][1].

كما بادر المستعمرون سواء الإنجليز في زنجبار أو الألمان في البر الأفريقي إلى تأسيس الإرساليات التبشيرية والمدارس والمستشفيات وغيرها من الوسائل البشرية فقد ذكر الشيخ عبد الله بن الصالح الفارسي، أنه عندما وصل القسيسان تزور وادوارد ستير عام 1864 أعطاهما السيد ماجد بيتا عظيما مقرا للبعثة التبشيرية[2].

I - القضاء:

لقد وجه الاستعمار ضربة قاضية للنظام القضائي في زنجبار ومن خلال تلك المعاهدات الجائرة المبرمة مع حكام وسلاطين زنجبار تأسست محاكم السفارات أو ما يسمى بالمحاكم القنصلية حيث يحتكم إليها رعايا تلك الدول دون تدخل من السلطات الزنجبارية، كما أعلن عام 1905 عن تأسيس المحاكم المدنية في عهد السلطان علي بن حمود، وبذلك حصرت اختصاصات القضاة الشرعيين في أمور الأحوال الشخصية وبعض القضايا المدنية[3] حتى وإن فوض الأمر لقضاة شرعيين للنظر في قضايا الأحوال الشخصية والذي ما زال معمولا به إلى يومنا هذا فإن القضاء الشرعي يعتبر فرعا من فروع المحكمة العليا التي يتولى أمرها الإنجليز وبذلك حددت صلاحيات القضاة وألغي العمل بالقانون المدني الإسلامي ليحل محله القانون الإنجليزي.

(1) حاضر العالم الاسلامي تعليق شكيب أرسلان ج3 / ص 114 .

(2) البوسعيديون حكام زنجبار / الشيخ عبد الله الفارسي ص 87 طبعة وزارة التراث القومي والثقافة عمان عام 1988

(3) وكالة اسلام اونلاين / الصفحة السياسية مقال بتاريخ

II - اللغة:

ثم كانت الطعنة المسمومة في هذا الجزء من العالم الإسلامي بالقضاء على اللغة العربية واستبدال الحرف العربي بالحرف الإنجليزي لكتابة اللغة السواحيلية فقد كانت هذه الجزيرة محبة للغة العربية وتكتب لغتها السواحلية بالحرف العربي، ولعلك إذا مررت بالقبور قبل سبعين سنة أو أكثر من ذلك فإنك تجد الكتابة عليها بالحرف العربي كما يعلو الأبواب الزنجبارية القديمة الكتابة بالحرف العربي، وبعد أن تسلم الإنجليز مقاليد الحكم في زنجبار أصدروا منشورات عدة تحرم استعمال اللغة السواحلية في أي من المستويات الإدارية في زنجبار وغيرها وسعت بكل ما تملك من قدرات أن تكتب اللغة السواحلية بالحرف اللاتيني، وهو الأمر الساري إلى الآن، فإن اللغة السواحيلية أصبحت تكتب بالحرف الإنجليزي مثل كلمة(وقف)Wakf وكلمة(حج) Hija ورغم الجهود الحثيثة للمدارس القرآنية الإسلامية للمحافظة على الحرف العربي من خلال التحفيظ وتعليم مبادئ الإسلام واللغة العربية، إلا أن الحرف الإنجليزي مازال مسيطرا على الكتابة ولغة التخاطب والمراسلة.

III - العادات والتقاليد والنظام الاجتماعي:

كما نجح الاستعمار البريطاني في نشر بعض العادات والتقاليد الغربية والنظم الاجتماعية في زنجبار كخروج بعض النساء متبرجات والاختلاط بالرجال اختلاطا مشينا وكذلك تعاطي المسكرات والخمور وممارسة الفاحشة من خلال السواح والمستثمرين الأجانب، الذين أطلقت أيديهم في الاستثمار فكانت الفنادق والسياحة من أكبر مجالات الاستثمار يستثمر فيه هؤلاء، ولعل هذه الآثار مازالت حتى يومنا هذا فإن جل الفنادق السياحية على السواحل في زنجبار من ممتلكات المستثمرين الغربيين، والتي تنتشر بها المحرمات.

كما نجح الاستعمار عموما في هذه القارة وخصوصا في زنجبار في غرس مفاهيم خاطئة عن مسألة الرقيق والاستعباد، وإلصاق التهمة بالعرب على أنهم هم الذين مارسوا الاسترقاق والاستعباد، وهم الذين عاملوا السكان بوحشية مطلقة.

نعم لا يمكن أن ننكر مسألة ممارسة الحكام العرب وسلاطينهم لعملية الاسترقاق، وكانت هذه الظاهرة ضمن ظروف سياسية واجتماعية معينة مورس فيها الرق في جميع دول العالم، ولا ننكر أن بعض التجار العرب الذين فرغت نفوسهم من الوازع الديني قد مارسوا الرق وعاملوا الرقيق معاملة سيئة في بعض الأحيان مقابل الحصول على الربح، ولكن هذا شذوذ وانحراف ونادر لا عبرة به،و لكن الذي نرفضه هو أن يكون ذلك هو الطابع العام أو الأصل الأصيل في المنظومة الإسلامية، بل إن الرقيق كانوا يذهبون للعمل أو يعملوا في مزارع العرب والمسلمين كما كانوا في الغالب العام يعاملون معاملة حسنة منطلقة من نظرة الشريعة الإسلامية الغراء لهذه الطبقة من المجتمع، وأنها طبقة لها كافة الحقوق الإنسانية و لا يجوز الانتقاص منهم. ولكن إذا نظرنا إلى مسألة الرق عند البرتغاليين والبريطانيين والأمريكان وغيرهم، فإننا نجد أعدادا وأرقاما مهولة سيقت إلى هذه الدول في ظروف سيئة للغاية حيث تشير بعض المصادر إلى أن عدد الرقيق بلغ (40 مليونا) مات النصف منهم في ظروف قاسية ووصل البعض الآخر إلى هذه المستعمرات في ظروف بالغة الصعوبة حيث عوملوا معاملة وحشية قاسية تتنافى مع جميع مواثيق حقوق الإنسان العالميةوالأعراف الدولية ومازالت هذه الطبقة من السود في أمريكا والدول الأوروبية تعاني من ميز عنصري فاحش وهظم للحقوق إلا أن الأوروبيين والأمريكان استخدموا بعض التجار العرب لصيد العبيد وبيعهم كما استخدموا رؤساء القبائل الإفريقية في الغرض نفسه.

فكان التجار العرب في الصورة السيئة المشوهة التي نشرت عنهم في أوساط

الأفارقة، مما ولد كراهية شديدة وحساسية مفرطة اتجاه العرب خاصة عند بعض أهل زنجبار من غير المثقفين ولعل المخطط الاستعماري الصليبي كان ساري المفعول ولسنوات طويلة فآتى ثماره ونتائجه المرّة بعد رحيل الاستعمار، فترك عرّابين له حلوا محله بنفس البغض والحقد الدفين على العرب، فكانت مجزرة عام 1964 ضد كل العرب المقيمين في زنجبار، فبعض الإحصائيات تشير إلى أنه قتل مايزيد عن 35 ألفا وبعضها تصل بالعدد إلى 50000الفا وهرب الباقي إلى اليمن وعمان وكينيا، ولكن هذه الخدعة التي انطلت على البسطاء والمتغربين من أبناء المنطقة فإنها لم تدم طويلا وانكشفت الحقيقة وقامت منظمات بل و دول مطالبة الدول الأوروبية بالتعويضات التي لا تقدر بثمن عن مرحلة الاستقراق وما نتج عنها من خلخلة للبنية الاجتماعية في القارة ونقص الأيدي العاملة وغيرها من الآثار السلبية.

ففي مدينة دربان بجنوب أفريقياعقدت قمة بتاريخ 2001/ 08/ 24 موضوع هذه القمة مناهضة الميز العنصري في العالم حيث حضر وفود وممثلو جميع جدول العالم فطالبت أربعون منظمة غير حكومية المؤتمر الدولي وعلى لسان (اليوني تيني) المسؤول المنسق للمنظمات الأفريقية غير الحكومية حكام الدول الاستعمارية بالاعتراف بتلك الجرائم والاستعباد وما نتج عنه من خلخلة في الوضع الإجتماعي والإقتصادي والسياسي للقارة وقد طالبت هذه المنظمات بتعويضات تقدر ب777 ترليون دولار، كما أشار تقرير منظمة اليونسكو الصادر عام 1987 إلى أن ما فقدته أفريقيا من أبنائها في تجارة الرقيق يقدر بحوالي 210 مليون نسمة، علما أن هذه المنظمات التي طالبت الدول الاستعمارية بالتعويضات استندت إلى الخلفية التاريخية والأعراف والمواثيق والقوانين والتي كان الفضل في صياغتها للمحامي البريطاني (اللورد انتوني جيفورد) في ورقة قدمها إلى مؤتمر دعت إليه الجماعات الراعية لفكرة التعويضات الذي عقد في نيجيريا

بقياد الزعيم الراحل مسعود اوبيلا عام 1993 وهذه المطالب قوبلت بتجاهل أوروبي أمريكي شديد، في حين لم نجد أي مطالبة لأي من الدول الإسلامية بأي تعويض (71)

كما كان للكنيسة دور رائد في تشويه صورة المسلمين وإلصاق تهمة الرق بهم، ولعل ذلك واضح في الرسوم الموجودة في كنائس زنجبار، ككنيسةالسيد المسيح وهي كنيسة كاثوليكية رومانية حيث جعلوا في ساحتها حوضا فيه تماثيل للعبيد وفي أعناقهم الأغلال بل وللكنيسة متحف يحكي قصة الاسترقاق حيث رسمت صور للرجل العربي وهو يلهب ظهر الإفريقي بالسياط وغيرها من الصور الدالة على الامتهان والاحتقار.

علما أن أولئك الذين كانوا يؤخذون من أفريقيا إلى العالم الإسلامي لم يؤخذوا كعبيد بل كانوا يؤخذون لوظائف الجيش وغيرها، وكان لهم الحضور السياسي القوي إلى درجة قيامهم بالثورة على الخليفة كما جاء في حوادث عام 750م فيما يسمى بثورة الزنج في بغداد كم يروي لنا التاريخ ان المسلمين العرب حينما كانوا يدخلون البلدان الأفريقية ويعتنق أهلها الإسلام فإن أهلها هم الذين يكونون ممالك إسلامية ويحكمون أهلها وتصهرهم رابطة الأخوة الإسلامية مع العرب ولعل سبنسر ترمنجهام أنصف حينما أشار في كتابه عن الإسلام في شرق إفريقيا إلى عدم اشتراك التجار العرب في الغارت التي كانت تقع في الغابات لاقتناص العبيد وصيدهم لا من قريب ولا من بعيد][1].

كما كان لزميلنا المرحوم الدكتور علي سنداروا اليد الطولى في الدفاع عن مسألة الاسترقاق من خلال مؤلفاته سائقا الأدلة والحجج الدامغة لرد هذه الفرية وإبطال هذه الشبهة -فرحمه الله-.

VI - في مجال التعليم:

لما جاء البريطانيون إلى زنجبار -لا شك- أنهم وجدوا الحياة العلمية مزدهرة بحسب

(1) الاسلام في شرق افريقيا / سبنسر ترمنجهام ص 114.

ذلك الزمان وأهله وكانت مدارس القرآن الكريم والعلوم الشرعية تملأ أرجاء الجزيرة كما كانت الجزيرة تزخر بالعلماء والمشايخ والقضاة سواء أولئك الذين قدموا من البلاد العربية (عمان – اليمن) أو من أبناء المنطقة الذين تفقهوا في أمور دينهم وأصبحوا من العلماء الراسخين مثل الشيخ حسن بن عمير الشيرازي و عبد الله صالح الفارسي ولا نبالغ إذا ماقلنا أن زنجبار أول دولة عربية عرفت المطبعة حيث أنشئت أول مطبعة في زنجبار عام 1287هجرية الموافق ل1868م بل لم تستثن المرأة من التعلم في المدارس القرآنية، حيث كان يأخذ كل طفل إلى المدرسة القرآنية ويعلم أمور دينه والكتابة والقراءة، كما كان التعليم طوعيا مجانيا إلا ما يعطى من هدايا وهبات للشيوخ خاصة عند الاحتفال بختم القرآن العظيم كاملا وهذا ما جعل الإرساليات التبشيرية تفكر جادة في إنشاء مدارس على الطراز الغربي الحديث لتدرس مساعدين وإداريين من غير المسلمين تستعين بهم في إدارة البلاد ولا أبالغ إذا قلت أن كل المستعمرين لشرق أفريقيا وغيرها ركزوا على الجانب التعليمي ولكن بدرجات متفاوتة ووسائل مختلفة فلقد سبق وأن ذكرنا أن البرتغاليين أخذوا صبيا من ممباسا، وأرسلوه إلى الهند حيث تثقف وتعلم وتنصر ليعود بعدها حاكما على البلاد عام 1620م، ولكن ورغم الأثر البسيط الذي صاحب الحملة البرتغالية والجهود الضئيلة للمجهود البرتغالي في إحداث تغيير اجتماعي وثقافي وعقائدي في التركيبة الاجتماعية الأفريقية، نظرا لما صاحب العملية الاستعمارية من عنف[1] فإن البريطانيين لم ييأسوا، وقامت الجمعية التبشيرية في لندن بإرسال المبشر (ج.ل كرابف)، وكان أول مبشر تطأ أقدامه زنجبار وشرق افريقيا عموما عام 1844 أي في القرن التاسع عشر ميلادي، وهو ألماني الأصل كرس جميع جهوده لبناء كنيسة ومدرسة نظامية ومستشفى وكان يعتمد في أسلوبه على التلقين المباشر لمفاهيم المسيحية، كما انصرف إلى التأليف وكتابة العهد الجديد

---

(1) جهينة الأخبار / المغيري / ص 183 ومابعدها.

(الإنجيل) بالسواحلية ولم يهمل الكتابة باللغة الإنجليزية، ثم تلاه المبشر الألماني (فن)، واعتمد هذا الأخير منهج الجوالة، ثم ختمت بمنهج (فرير) المعتمد على الجانب السياسي والاقتصادي، إذ يرى أصحاب هذا المنهج وجوب الاعتماد على دولة نصرانية ذات كيان سياسي مستقل تدعم مسيرة العمل التبشيري ودعوة الشركات الأوروبية للتنقيب عن الذهب ليرتبط الأفارقة بهذه الشركات، كما اعتمد الاستعمار البريطاني على ارساليات الجامعات في لندن والتي قامت بدورها بتعليم الأطفال وإرسالهم إلى القنصليات البريطانية والأمريكية في زنجبار لتلقي مزيد من العلوم والمعارف بجانب العلوم الكهنوتية، ومن ثم إرسالهم إلى هذه الدول لاستكمال مراحل التعليم العالي، كما أسست السلطات البريطانية أول مطبعة -لطباعة الكتب والأناجيل باللغتين السواحلية والإنجليزية، ومن هذه المدارس تخرج القسيس السياسي جليوس نيريري حاكم تنزانيا ومبيد المسلمين في زنجبار مستغلا المد الشيوعي والنقمة على الاستعمار والتي كانت ميزة طاغية في ذلك الوقت على الشعوب المستعمرة، والتي وجدت ضالتها في الاتحاد السوفياتي الشيوعي.

وفي عام 1905 تأسست وزارة التعليم في زنجبار تحت إشراف بريطانيا وفي العشرينات من القرن نفسه اضطرت الإدارة الاستعمارية إلى إدخال العلوم الشرعية في المدارس الحكومية حيث استقدم بعض العلماء من جمهورية مصر العربية منهم فضيلة العلامة عبد الباري عبد الباري العجيزي - رحمه الله تعالى - والذي كان له الأثر البالغ في تدريس اللغة العربية في المدارس الحكومية[1].

المؤامرة على الوجود الإسلامي وانتهاء العربية الإسلامية

هناك عوامل كثيرة كان لها تأثيرها البين في انتهاء الدولة العربية الإسلامية في زنجبار وضياع جميع ممتلكاتها في شرق أفريقيا فهناك عوامل داخلية وعوامل خارجية

(1) جريدة الفلق العدد(13) سنة 1946 وكانت تصدر باسم الجمعية العربية في زنجبار

وعوامل إقليمية.

أما العوامل الداخلية: فتمثلت في تفتت السلطنة العمانية إلى سلطنتين: الأولى بقيادة السلطان (ثويني) في عمان، والثانية في زنجبار بقيادة السلطان (ماجد) بعد سلسلة من الصراعات والخلافات بين الاخوة الأعداء أبناء السلطان سعيد بن سلطان، وبتأييد ومباركة بريطانية تحقق الحلم الذي كان يراود القوة الاستعمارية، مما أدى إلى اضعاف السلطنتين وذوبان العنصر العربي في المجتمع الأفريقي وأصبحت اللغة العربية لغة الطبقة الأرستقراطية ولم تتجاوز ردهات القصور وسجل المخاطبات بين القضاة والسلاطين ولم تنتشر أو تشاع بين أبناء المجتمع كله بل تنساها أبناؤها وتركوها ظهريا كما انشغل العرب عن دورهم الريادي في نشر رسالة الإسلام وتكالبهم وراء المال والثراء وأصبح همهم الوحيد جمع المال وتركوا المجال أمام البعثات التنصيرية التي جابت جبال ومرتفعات كلمنجارو وغيرها من المناطق في شرق إفريقيا التي كان سكانها وثنيين فتحولوا إلى النصرانية

العوامل الإقليمية

إن العلاقات بين سلطنة زنجبار ومصر ضاربة في التاريخ حيث إن محمد علي باشا كان قد وصل إلى أجزاء من أوغندا عبر السودان وأقام علاقات طيبة مع سلاطين زنجبار بل لما مات المدفعي الوحيد في اساطيل السطان سعيد بعث لمحمد علي باشا يطلب منه سرعةارسال مدفعي بديل وكان له ماأراد[1] وتواصلت هذه العلاقات الحميمة في عهد الخديوي إسماعيل والذي كان يحلم بإقامة إمبراطورية عظيمة تمتد إلى بنادر الصومال وكان ذلك واضحا من خلال اكرامه للسلطان

(1) راجع تفاصيل الموضوع في حصاد ندوة العلاقات المصرية العمانية ج3 ص236 طبعة وزارة الثقافة والتراث القومي عمان

برغش عند نزوله مصر في طريقه الى بريطانيا[1] وهذا ما أقلق القوة الاستعمارية حيث لا يروق لها أن ترى قوتين اسلاميتين تحكم قبضتها على افريقيا، وما يكون لذلك من انعكاسات خطيرة على مصالحها السياسية والاقتصادية والعقيدية فعملت هذه القوة على تفكيك دولة مصر التي كانت ممتدة إلى السودان وجزء من أوغندا وعملت على إنهاء الوجود العربي الإسلامي في زنجبار وبذلك ضمنت نهاية الوجود العربي في شرق أفريقيا والذي امتد إلى كل من (مالاوي وزائير).

من جهة اخرى كانت تلك المعاهدات التي وقعها السيد سعيد بن سلطان مع الدول الأوروبية وخاصة تلك الموقعة مع بريطانيا حول تحرير الرقيق وإنهاء الرق أكبر شراك نصب لإعاقة الوجود العربي والحد من حركة السفن الملاحية وبذلك تأثرت حركة التجارة بين دول الخليج العربي وشرق افريقيا تأثرا سلبيا وكان ذلك أكبر نجاح لبريطانيا في إنهاء الوجود العربي بمأساة وفاجعة، حيث استطاعت أن تخلق جوا من الانقسام العرقي و الطائفي بين السكان الأصليين والعرب خاصة العمانيين وسلكت سياسة فرق تسد وهبت رياح الحياة السياسية الغربية على زنجبار، وفي عام 1926 تعين المجلس التنفيذي وفي العام نفسه تعين المجلس التشريعي (البرلمان) والذي كان يرأسه (الزردنت هارتن هول) وكان أكثر أعضائه من النصارى (البريطانيين)، ثم تأسست الجمعية العربية التي ترأسها الشيخ (حافظ بن محمد البوسعيدي)، وفي الخمسينات نشأت الأحزاب السياسية المتصارعة وهي:

1 -الحزب الوطني PARTY NATIONAL ZANZIBAR: وهو حزب عربي خالص ذو ميول اشتراكية.

---

(1) نفس المرجع، ص 366. وكذا تنزيه الأبصار والأفكار في رحلة سلطان زنجبار جمعه زاهر بن سعيد -رتبه وصوبه لويس صابونجي مطابع سجل العرب عام 1981

2 - الحزب الأفروشيرازي ASP: وهو حزب المواطنين الأصليين وهو ذو أبعاد شيوعية ماركسية

3 - حزب الشعبPEOPOLES party PAmBA AND ZPPp zanzibar: وهو حزب انشق عن الحزب الأفروشيرازي ووقع الانفجار الحقيقي عام 1954 بين الجاليات والجمعيات في زنجبار، حيث اتهم المقيم العام الإنجليزي محريري جريدة (الفلق) وهي جريدة ناطقة بالعربية يصدرها الاتحاد العربي بنشر مقالات مثيرة للرأي العام،مماكسبهم عدواة الأحزاب المدعومة من قبل بريطانيا ومنها الحزب الأفروشيرازي والاتحاد الوطني الهندي، كما أيد العرب حزبا راديكاليا وهو الحزب الوطني (في انتخاب عام 1957) حيث خسر هذا الحزب الانتخابات ولم يفز منهم عضو واحد، واكتسحت الأحزاب الافريقية هذه الانتخابات.

وفي انتخابات عام يونيو 1961 تغيرت المعطيات وتنافست الأحزاب الثلاثة على الساحة السياسية وأفرزت هذه الانتخابات النتائج الآتية:

- الحزب الوطني حصل على عشرة مقاعد (1985) صوتا.

- الحزب الافروشيرازي حصل على عشرة مقاعد وعلى (45176) صوتا.

- حزب الشعب حصل على ثلاثة مقاعد[1].

وقد مكنت هذه النتيجة الحزب الوطني للتحالف مع حزب الشعب من تشكيل الحكومة وصحب هذه الانتخابات أعمال عنف استهدفت العرب، بل وصل الأمر إلى قتل النساء والأطفال وتدمير البيوت على أصحابها[2] وفي عام

(1) Zanzibar:bagkroundtorevolution -by michel –f - lofchie . Page n: 255

(2) جهينة الأخبار / المغيري ص 480

1964م قام الحزب الافروشيرازي بالثورة على الحكم العربي وبالاتحاد مع الحزب الثوري في تنجانيقا البر بقيادة البابا السياسي والقس المتحزب الكاثوليكي جيليوس نيريري خريج المدارس التبشيرية البريطانية في دار السلام، حيث اقنع هذا الأخير قادة الحزب الأفروشيرازي بضرورة الوحدة وتشكيل حكومة اتحادية (زنجبار+ تنجنيقا) وتشكيل جمهورية اتحادية اطلق عليها اسم تنزانيا، وبدعم بريطاني ـ وللأسف الشديد ـ ودعم عربي متمثل في دعم جمال عبد الناصر لثوار الأفروشيرازي بالسلاح وغيره انتهت الدولة العربية الإسلامية في زنجبار بكارثة ومأساة لا تقل بأسا وألما وخطورة عن مأساة المسلمين في الأندلس، من قتل و إخراج قسري لمن بقي حيا إلى الموطن الأم عمان أو غيرها من الدول المجاورة تاركين حضارة ماتزال معالمها واضحة و بصماتها قائمة على ربوع الجزيرة، وهناك حقيقة أخرى عرفت بعد الانتهاء من كتابة هذا البحث وهي أن السلاح الذي قتل به المسلمون في زنجبار كان سلاحا جزائريا في عهد الرئيس أحمد بن بلة، حيث استولى الثوار على باخرة تسمى " ابن خلدون" كانت محملة بالسلاح إلى الثوار في موزنبيق، ثم أفرغت الشحنة في ميناء دار السلام. ومهما كانت دوافع جمال عبد الناصر وتبريرات محمد فائق مسئول تسليح حركات التحرر الوطني الإفريقية ووزير الإعلام في عهد جمال عبد الناصر في ندوة افريقيا والعرب والمنعقدة في عمان (الأردن) في عام 1983 [(1)] فإن الخطأ كان فادحا، والخطب كان أعظم والمصيبة كانت جللا، حيث استبيحت الأعراض وسفكت الدماء وانتهت دولة ذات سيادة ومؤسسات لتصبح مجرد ولاية من الولايات لا تملك حق تقرير المصير ولا تستطيع أن تتصل بالعالم الخارجي إلا عن طريق وزارة الخارجية بدار السلام والذي يسيطر فيها على مراكز صنع القرار

(1) العرب وافريقيا مجموعة بحوث التي القيت في الندوة المنعقدة بالأردن البوسعيديون، حكام زنجبار، عبد الله بن صالح الفارسي، ص 87. طبعة وزارة الثقافة والتراث العماني 1988

النصارى وليس أدل على ذلك أنه في 1996 حاولت زنجبار أن تنظم إلى منظمة المؤتمر الإسلامي باعتبار أن 98 بالمائة من سكانها مسلمين، فرفعت ضدها دعوى قضائية في المحكمة الدستورية قضت المحكمة بموجبها بمنع حكومة زنجبار من أي اتصال خارجي إلا عن طريق وزارة الخارجية بدولة تنزانيا، كما حرم المسلمون من حقوق وامتيازات كثيرة، منها التعليم العالي حيث لا يقبل منهم إلا نسب ضئيلة في حين يفتح المجال واسعا أمام النصارى. وكأنهم أغلبية

حيث لاتزيدنسبةالطلاب المسلمين في جامعةدارالسلام عن 10 ٪ كما لاتزيد نسبة أعضاء هيئة التدريس فيها من المسلمين عن 10 ٪ ايضا وذلك بحكم أن المنح التي كانت تعطى لدولة تنزانيا جلها من أمريكا 30 منحة سنوية ثم بريطانيا25منحة ثم مصر 15 منحة سنوية وباعتبار أن أغلبية أساتذة الجامعات نصارى وكذلك أعضاء مجلس التعليم العالي فإن المنطق يفرض عليهم أن يرسلوا النصارى وذلك أيضا لتحقيق الاستمرار في التمكن. ولعل لقائل أن يقول إن مساندة جمال عبد الناصر لنيريري ووقوفه ضد الدولة العربية يأتي ضمن النظرة الإستراتيجية للمصالح العربية في المنطقة

حيث إن تنزانيا تعتبر من ضمن مجموعة دول حوض النيل والذي يمكن أن تشكل عائقا قويا أمام استفادة مصر من حصة الأسد من مياه النيل كما كان للتنافس العربي الإسرائيلي على المنطقة مبرره حيث وضعت ثورة يوليو نصب أعينها القارة الإفريقية كحليف استراتيجي في صراعها مع اسرائيل وذلك لقطع الطريق امام التسلل الإسرائيلي للمنطقة ويظهر ذلك من خلال دعم الحركات التحررية بالمنطقة مهما كانت طبيعتها ومساعدة الدول التي نالت استقلالها حديثا بكل الوسائل.

ولايمكن غمط التجربة حقها ولااغماض العين عن نتائجها حينها حيث

قطعت عدة دول ومنهم تنزانيا العلاقات مع الولايات المتحدة الامريكية ولم تعترف بالكيان الصهيوني طيلة حقبة الستينات والسبعينات، ولكن كان ذلك لمرحلة محددة، ومع التغيرات المحلية والإقليمية والعالمية فقد تغيرت المعادلة لصالح اسرائيل وحليفتها امريكا فأماالمتغيرات المحلية فإن القارة ظلت تعاني من الثلاثي الخطير (الفقر والمرض والجهل) مما جعلها تسعى لفك الارتباط بينها وبين هذا الثلاثي الخطير وإن كان ذلك على حساب مواقفها الاستيرايجية كما كان للحروب الأهلية والصراعات الداخلية دورا كبيرا في تغيير بعض قادة هذه القارة من سياساتهم اتجاه اسرئيل وامريكا وخاصة تنزانيا وذلك في اطار ترتيب أولوياتهم السياسية وتمشيا مع التغيرات الإقليمية والمتمثلة في اعتراف كثير من دول افريقيا علاقات مع اسرائيل كاثيوبيا وهرولة بعض الدول العربية الإفريقية للتطبيع مع اسرائيل وإقامة العلاقات سرية وجهرية كمصروغيرها وتخلي كثير من دول الجوار من العالم العربي عن دوره الإنمائي في القارة.

وأما التغيرات العالمية فتتمثل في انتهاء الحرب الباردة وخروج المعسكر الغربي منها فائزا وتفكك حلف وارسو وغياب الدور الحقيقي لدول عدم الانحيازوبروز النظام العالمي الجديد وسيادة الفكر الامريكي على جميع الأصعدة وخاصة السياسية منها والإقتصادية والعسكرية وظهورمصطلح العولمة بكل جوانبها وسيطرتها على المفاهيم والممارسات أضف إلى ذلك التعنت الإمريكي واختراع خدعة مكافحة الإرهاب فكل هذه التغيرات أدت إلى فقدان العالم العربي حلفاءه الإستيراتيجيين في القارة وعادت الصولة والجولة للوجود الأمريكي والإسرائيلي في المنطقة

ولعل حقد جمال عبد الناصر على الأنظمة الملكية جعله يدعم جميع الحركات المناوئة لهذه الملكيات في العالم ولكن لئن كنا نجد مبررا لدور جمال عبد الناصر في

إنجاح الثورة في اليمن ضد الإمامة (الإمام يحيى وابنه الإمام أحمد حميد الدين)وقد نجد له بعض العذر في تحالفه السياسي مع نيريري فإننا لا نجد لجمال عبد الناصر مبررا أبدا أن تحمله العصبية الفكرية لمبادئ الماركسية والقضاء على ما يسمى الإقطاع والأرستقراطية على التعاون مع الخطة البريطانية لإنهاء الحكم الإسلامي العربي وقتل الآلاف وحرمان المسلمين من ممارسة دورهم الحضاري في نشر شعاع الحق في أفريقيا بأسرها وسيكتب التاريخ عن الأعراض التي انتهكت و الأموال التي نهبت والنفوس التي قتلت والمساجد التي هدمت والشرائع التي عطلت و الحرف العربي الذي غيب ويحق فيه وفيمن تعاون معه قول الله تعالى: «وقفوهم إنهم مسؤولون».

أليس في وسع جمال عبد الناصر أن يتدخل وبشكل قوي وحاسم لجعل هذا الإنقلاب أبيضا لادماء فيه ؟ خاصة وأنه لم يقابل _الإنقلاب _ بأي مقاومة حتى يجد انقلابيون مبررا لمجازرهم وليس أدل على ذلك من كون غالبية القتلى من الأطفال والنساء والشيوخ كما لا نسلم لمقولة محمد فائق الزاعمة بأن اتحاد المسلمين في زنجبار مع تنجنيقا قد بوأهم مراكز كبيرة عادت بالنفع على المسلمين ولسبب واحد وهو أن تنجنيقا قد نالت استقلالها قبل زنجبار بنحو ثلاث سنوات مما جعل نيريري يُمكّن النصارى تماما من مراكز صنع القرار والمناصب الحساسة في الدولة وجعل المسلمين يعيشون على هامش الحياة السياسية والإقتصادية والثقافية ولعل الواقع خير شاهد على ذلك

ولعلي اختم هذا الفصل بملاحظة هامة: " أن زعيم الثوار المدعومين من قبل أنظمة تدّعي أنها خادمة للعروبة والإسلام وتتغنى بالقومية العربية في المحافل الدولية كان نصرانيا من أوغندا واسمه "جون أكيلو قدم إلى زنجبار عام 1956 وانخرط في الحزب الأفروشيرازي[1] وأخيرا فلقد نجح الاستعمار البريطاني

(1) Zanzibar:bagKroundtorevolution -by michel –f - lofchie –p274

وبخطة محكّمة ومدروسة أن يزرع الفرقة بين أبناء المجتمع الواحد الذين توحدوا جميعا عربا وأفارقة لمحاربة الألمان والإنجليز، كما نجح في تغييب الحرف العربي واللغة العربية من هذه الجزيرة نجح في غرس الكراهية والحقد في صدور السكان الأصليين على العنصر العربي من خلال إرساليته التبشيرية ومدارسه النصرانية في ظل غياب مدارس عربية على الطراز الحديث، ووفق مناهج متطورة مزايدا بقضية الرق مستغلا جهل السكان وضعف قدرات المسلمين في محاربة هذه الشبهات آنذاك، ولعل الاستعمار يعلم أن هذه الجزيرة فيها من الموارد البشرية ما يؤهلها لمواصلة دورها الحضاري في شرق أفريقيا فلقد اكتشف البترول في هذه الجزيرة في أواخر الخمسينات، كما أن هذه الجزيرة غنية بالثروة السمكية حيث يحيط بها المحيط الهندي من كل جانب وكذلك أراضيها خصبة وفيها من الفواكه والمحاصيل الزراعية ما يؤهلها للاكتفاء الذاتي، دون أن ننسى شجرة القرنفل وأهميتها في إنعاش ميزانية الدولة من خلال تصديره إلى دول العالم وكذلك فإن الجزيرة تعتبر همزة وصل بين آسيا وأفريقيا وربط الهند بالعالم العربي، إذ يؤهلها موقعها الاستراتيجي لحركة تجارية عالمية واسعة وكذلك فإن الجزيرة تعتبر منتزها سياحيا خلابا حيث يؤمها إلى يومنا هذا عدد كبير من السواح مما يدر دخلا كبيرا عليها (فبحسب تقديرات 2002، عدد السواح في الجزيرة يصل إلى 75 ألف سائحا في السنة)[1] كل هذه المقدرات والثروات والموارد جعلت الغرب يفكر ويخطط بدقة لإنهاء الحكم العربي الإسلامي خوفا من الانتعاش و الرجوع إلى ما كانت عليه من قبل من ازدهار، حتى قيل سابقا: «إذا دقت الطبول في زنجبار رقصت افريقيا».

ولكن ومع هذه النهاية المحزنة المؤسفة فإن الأمل ما زال قائما في استرداد هذه

---

(1) وكالة الاسلام أنلاين للأخبار، صفحة السياسة.

الجزيرة وجهها العربي الإسلامي ورجوعها إلى حاضرة العالم الإسلامي، وقد ترك الوجود العربي الإسلامي بصمات واضحة سنعرضها في الصفحات الآتية، كما أن حاضر الجزيرة ينبأ بمستقبل واعد من خلال العمل الإسلامي الموجود فيها حاليا سواء الأهلي أوالخارجي، ولعل المحنة أيضا لم تدم طويلا حيث وبمقتل الرئيس الزنجباري (عبيد كرومي) 1972 في مقر الحزب الأفروشيرازي بزنجبار تنفس العرب الصعداء ثم تولى عبود جومبي رئاسة الوزراء والذي اشتهر بانحيازه لقضايا الاسلام والإقرار بفضل العرب، وبناءا على ذلك تم تمتين العلاقات بين بلاده و الدول العربية وخاصة المؤسسات الإسلامية فاتصل برابطة العالم الاسلامي ومنظمة الدعوة الاسلامية، وكان من ثمرة ذلك الاتصال عودة تعليم اللغة العربية إلى المدارس الحكومية وبمناهج حديثة، وانتظام دروس التربية الاسلامية[1]

المخططات الاستعمارية في الجزيرة

الاستعمار الذي غزا الجزيرة منذ بدايات القرن الخامس عشر ميلادي انطلاقا من الحملات البرتغالية، مرورا بتكالب القوى الاستعمارية ممثلة في كل من ايطاليا وبريطانيا وفرنسا وأمريكا، وغيرهم، ما فتأ يبتكر الوسائل والخطط للسيطرة على هذه الجزيرة، والاستفادة من خيراتها وفصلها عن الكيان الاسلامي، ولعلنا تكلمنا في فصول سابقة عن الاستعمار البرتغالي وحملته الصليبية، ثم الاستعمار الألماني والبريطاني وإرساليتهم التبشيرية، مستفيدين من أخطاء البرتغاليين في استعمالهم القوة والعنف ضد السكان وحملهم على النصرانية بالقصر والقهر، فابتكرت وسائل فيها من اللين والحلم ما يشجع السكان على التنصر كما استخدمت المدارس والخدمات الصحية والاجتماعية كوسيلة أخرى للتنصير، كما كانت ثورة 1964 والتآمر الأمريكي البريطاني مع القس

(1) المؤثرات الإسلامية والمسيحية على الثقافة السواحيلية د/ عبد الرحمن عثمان ص/ 162 ومابعدها

جوليوس نير يري وجون اوكيلو واستغفال وخدع عبيد أماني كرومي نهاية الحلقة على الوجود العربي الاسلامي ومازالت حلقات هذه المؤامرة مستمرة إلى يومنا هذا للقضاء على كل ما هو اسلامي فيها وسلخها عن ماضيها العربي الاسلامي التليد جملة وتفصيلا، واتخذت هذه الحلقات مظاهر عدة.

1 - التنصير:

تعود بدايات التنصير إلى الاستعمار البرتغالي والذي عمل كل ما في وسعه لغرس النصرانية واقتلاع جذور الاسلام من جزيرة زنجبار خصوصا وشرق افريقيا عموما إلا أن جهوده باءت بالفشل ومع بدايات الاتصال البريطاني بالجزيرة، تكثف النشاط التنصيري خاصة وأنه قوبل بتسامح كبير من سلاطين آل بو سعيد، حيث أنشئت في زنجبار ثلاث بعثات مسيحية وقد شيدت بعثة الجامعات التابعة لكنيسة إنجلترا الموفدة إلى وسط افريقيا (عام 1864) في منطقة مبوني(mbweni مدرسة للمعلمين ومدرسة عليا وكاتدرائية، وقبل ذلك بحوال تسع سنوات أوجدت بعثة الأباء الروح القدس الأروام الكاثوليك (عام 1856)[1].

بل إن تسامح الحكام البوسعديين تجاوز حدود الشريعة الاسلامية فإن بعثة الجامعات في منطقة بوني استطاعت تنفيذ أول تعميد علني لتسعة من الأطفال على مسمع ومرأى من حاكم زنجبار عام 1865 كما أن السيد سعيد بن سلطان لم يتوانى من قبل في تزويد المبشر (كرابف) بخطاب آمرا عماله في البر الأفريقي بتذليل الصعوبات أمامه جاء فيه (بعد السلام إلى كل أتباعنا، وأصدقائنا وأحبابنا كتب هذا الخطاب على شرف الدكتور كرابف وهو رجل طيب راغب في دعوة العالم لله[2] وكان ذلك أول عام 1844م كما تشير بعض الروايات عن الجالية العربية أنه في عهد

(1) دائرة المعارف الإسلامية ج 10 ص 429 أصدرها بالعربية أحمد الشيناوي ابراهيم زكي

(2) المؤثرات المسيحية والإسلامية على الثقافة السواحيلية ص 214

السلطان برغش ولما يئس المنصِرون من أهل زنجبار استقدم لهم السلطان برغش بعض العبيد من وسط إفريقيا للبدء بالتنصير معهم

ولعل هذه الجهود أنتجت ثمارا مرة المذاق في المجتمع المسلم في زنجبار كما حققت جهود المبشر وليام جورج بعض النجاح سيما وأنها اعتمدت الجانب الاقتصادي وإليك هذا الخطاب الذي كتبه لأخته يبين فيه إنجازاتهم حتى عام 1873 وهو العام الذي بنيت فيه أول كنيسة حيث قال: (في الوقت الحالي فإننا نكتفي بتحرير الرق وإنزالهم بمنطقة بوني على بعد أربعة أميال جنوب زنجبار، وأخذهم إلى كل من بغامويو وماساسي وإحلالهم في قرى مهيأة لاستقبال كل زوجين في منزل ومزرعة ثم تقدم لهم دروسا في المسيحية ويعمدون، أما الشباب في طور الدراسة فإنهم يعدّون لكي يصبحوا قساوسة، يعلمون الكتابة والقراءة والرياضيات واللغة السواحلية، أما الذين يظهرون مقدرة على الاستيعاب فإنهم يعلمون اللغة الانجليزية ليصبحوا معلمين وينخرطوا في سلك العمل الكنسي فيما يدرب آخرون على المهن الحرفية كالتجارة والحدادة والحياكة[1]،ولئن أثرت الحربان العالميتان على النشاط التنصيري فإنه بعد أن وضعت الحروب أوزارها عاد النشاط التنصيري إلى الساحة الافريقية بشراسة وقوة حيث قدمت الأموال الطائلة وقدم المبشرون من أصقاع أوروبا وأمريكا واستراليا إلى زنجبار وداخلية البر الافريقي (دار السلام - دودما -طابورا عروشا) وغيرها من المدن وابتكرت وسائل حديثة لدعم عملية التنصير ففتحت المدارس والكليات والمستشفيات والمستوصفات وقدمت الخدمات الصحية والتعليمية مجانا وتوسعوا في بناء الكنائس والاسقفيات وفتحت فروع لهذه الكنائس والاسقفيات وكثر عدد الأتباع

وقد أفاض المسيو بونة موري في تعداد ثمار التنصير في المنطقة قائلا: (إن عدد

(1) نفس المرجع نفس الصفحة



المتنصرين من المسلمين لايكاد يذكر، وأما بين الوثنيين فإن دعاة الإنجيل قاوموا عبادة (الفتيش) ومعناها عبادة الوثن وأصلحوا حال المرأة واجتهدوا في تعليم الزنجي وعلموا السود النظافة وقوانين حفظ الصحة ومرنوهم على الأشغال اليدوية والزراعة وأما من جهة المستشفيات وملاجيئ المجذومين فحدث ولاحرج[1] ولم ينكر الشيخ المغيري هذه الحقيقة المرة وناح باللائمة على العرب والمسلمين الذين انشغلوا بالتجارة والإنغماس في مظاهر الترف والرفاهية تاركين أولئك الوثنيين في داخلية البر الإفريقي للمنصرين فيقول في هذا الصدد (وقد غفل العرب خصلة من خصال المآثر الحميدة في اكتشافهم للبر الإفريقي وهو نشر الاسلام والعلوم بين جماعة الإفريقين في داخلية البر الشاسع، وأنه لو كان اهتمام العرب بانتشار الاسلام من أول رسوخ أقدامهم فيه لكان البر متنورا بنور الاسلام ولكان أفارقة ذلك الصقع كلهم مسلمين على الإطلاق ولم يجد المبشرون بالدين المسيحي مجالا واسعا في تنصر الإفريقين، ولكن اشتغل العرب بجمع المال وعظمة السلطان)[2].

وهذا اعتراف من رجل عربي مسلم من أعمدة الوجود العربي في جزيرة زنجبار وعضو المجلس التشريعي فيها والذي لانشك فيه أن هذا اقرار بواقع لايمكن انكاره والتغاضي عنه مهما كان أليما، ولكن هذا الأمر لم يكن في بديات الوجود العربي الإسلامي في المنطقة بل في أواخر أيام الوجود العربي الإسلامي وأثناء التفوق الأروبي في مجالات العلم والصناعة والثقافة وليس أدل على ذلك من انتشار الاسلام في ربوع الجزيرة أولا والساحل الإفريقي بل والقارة جمعاء ليس إلا بجهود التجار المسلمين القادمين من عمان واليمن

---

(1) حاضر العالم الإسلامي / شكيب ارسلان ج3 ص 114

(2) جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار / سعيد المغيري ص248

ولعل هذا الجدول يبين لك أعداد النصارى حتى عام 1963.وذلك نتيجة لجهود المنصرين في الجزيرة والساحل والبر الإفريقي

المنطقة	تنجنيقا الوسطى	تنجنيقا الجنوبية	ماساسي	زنجبار	المجموع
عدد الأتباع	75.000	30.000	45.000	60.000	170.00

نسبة المسيحين في احصاء عام 1967 م

المسيحيون	المسلمون	الوثنيون	آخرون
% 22	% 76	% 1	% 1

ولقد أعدت الكنيسة الكاثوليكية جدولا احصائيا معتمدة على احصاءات الأمم المتحدة والإحصاءات الرسمية وقد استشرفت الكنيسة المستقبل بتنامي أعداد النصارى عام 2000 لحد كونهم أغلبية مطلقة ولكن فإن الواقع كذب توقعاتهم وخيب آمالهم وإن كانوا مازالوا أصحاب قرار ونفوذ في أجهزة الدولة

	1970 — النسبة	1975 — النسبة	1980 — النسبة	المتوقع عام 2000 م — النسبة
المسلمون	% 31	% 32	% 32	% 35
المسيحيون	% 36	% 44	% 44	% 52

و يتجلى في هذه الإحصائيات الانحياز لقضايا النصارى وتهويل أعدادهم

كي يتمكنوا من السيطرة على جميع الامتيازات كالوظائف والتعليم وغيرها[1] وإلا لو أمعنت النظر وبعملية حسابية فقد كانت نسبة المسلمين بحسب إحصاء عاو 1967 حوالي 76 ٪ والنصارى 22 ٪ وكانت هذه الزيادة بعد عصرهم الذهبي في ممارسة التنصير فكيف تقلصت نسبة المسلمين لتصبح 32 ٪ و35 ٪ هذا إذا أخذنا في الاعتبار عدم تنصر المسلمين كما تفيد شهادات المفكرين الغربيين أنفسهم ومن جهة ثانية فإن نسبة الوثنين والطوائف الأخرى بحسب الإحصاء نفسه لايزيد عن 2 ٪ فمن أين لهم بهذه الأعداد الهائلة ؟ .أما إذا أخذنا في الحسبان النمو الديموغرافي وازدياد السكان فإن المسلمين أيضا يزدادون ويتكاثرون بنفس الوتيرة بل وربما أكثر لهذا و إلى يومنا هذا فإن الإحصائيات الرسمية لاتشير إلى نسب المسلمين ولا النصارى .

فانظر حيث كان أغلبية سكان الجزيرة مسلمين عند قدوم (كرابف) ولم يجد كنيسة ولا أسقفية فبمرور مائة وعشرون سنة أصبح في زنجبار عدد كبير من الكنائس وعدد الأتباع يزيد عن عشرين ألف نصرانيا، كما أن النصارى الكاثوليك لما رأوا رياح التغيير هبت على العالم وأن افريقيا ستتحرر من ربقة الاستعمار لا محال سارعوا إلى أفرقة الكنيسة وأجهزة الدولة وأعدوا اتباعا لهم من الأفارقة لإدارة وقيادة العمل الكنسي والسياسي، ففي الإطار الكنسي أُعد القسيس (قامبوا) ليصبح كبير الأساقفة في تنزانيا، بينما أعد القس (جوليوس نيريري) للمجال السياسي، وهو المعمد من قبل الأسقف (ماثياس جونين) في إرسالية انياقينا وانتخب رئيسا لرابطة تنجنيقا الافريقية وهو أحد الأحزاب الثلاثة التي أنشأتها بريطانيا وبدعم من الكنيسة الكاثوليكية أصبحت الرابطة أقوى حزب، ثم تحول اسمها إلى الاتحاد الوطني التنجانيقي

(1) المؤثرات المسيحية والإسلامية على الثقافة السواحيلية ص – 263

الأفريقي ومن ثم انتخب نيريري رئيسا للبلاد عام 1961 وسعى للاتحاد مع زنجبار عام 1964، حيث أقنع هذا الأخير (كرومي) بالوحدة بين البلدين بعد تغلغل أفراد حزب الرابطة في الحزب الأفروشيرازي في زنجبار وساعدهم في الانقلاب الدموي وهكذا دمج البلدان لتصبح دولة تنزانيا الاتحادية وكذلك تم دمج الحزبان ليصبح اسم الحزب الواحد (تانوtanu) ولقد أطلق نيريري اليد للتنصير والمنصرين في كل من تنجنيقا وزنجبار وأبدى العداء لكل ما هو عربي وإسلامي إلى غاية عام 1968 حيث عقد المؤتمر الأول للحزب في أروشا، وقد حدد هذا المؤتمر الأهداف التي سعى إليها الحزب من خلال المنهج الاشتراكي في التنمية والتعليم كما أفرز هذا المؤتمر خفة المولاة للمسيحية على حساب الإسلام (ظاهرا)، ولكن كان ذلك بعد رسوخ قدم التنصير والنصرانية في تنزانيا وانتشار مؤسساتهم التبشيرية في ربوع البلاد كما كان لبروز الوسائل الحديثة من مراكز اتصال ومطابع ودور نشر للصحافة وإعلام ومحطات إذاعية والأنترنيت حاليا وغيرها دورا في نشر المسيحية، أما في زنجبار فرغم الجهود المضنية والجبارة للمبشريين إلا أنهم لم يصلوا إلى النتائج المرجوة والتي كانوا يحلمون بها والمتمثلة في صبغ الجزيرة بالصبغة المسيحية من شاطئها الجنوبي إلى شاطئها الشمالي ومن شاطئها الشرقي إلى شاطئها الغربي وإن نجحوا في جعلها مركز انطلاقة، نتيجة للأمان الموجود في ربوعها ومن ثم الانطلاق إلى المناطق الأخرى، وأما عن خططهم اليوم فقد أعد تقرير من قبل جمعية مقاومة التنصير (جمعية محلية) رصد فيه وسائل التنصير الحديثة في زنجبار منها:

1 - شراء الآراضي خارج المدينة وبناء الكنائس في الأرياف وإن لم يوجد بها مسيحيون ولما امتنع المسلمون عن بيع الآراضي لبناء الكنائس ابتكرت خدعة أخرى وهي شراء الأراضي لبناء البيوت ثم تتحول إلى كنائس، وأخيرا صدر قرار بعدم السماح



بناء أي كنيسة إلا بطلب من السكان نتيجة لرفض السكان مرارا لبناء الكنائس.

2 - بناء مدارس جديدة ومستشفيات ورياض الأطفال، حيث تقدم فيها خدمات ممتازة لجلب الناس إليها.

3 - السعي لإيجاد محطة تلفزيونية وبث إذاعي للإنجيل والمواعظ الدينية.

4 - محاولة إبراز أنفسهم كأقلية محرومة من حقوقها حتى ينالوا دعم الحكومة وبضغط من الهيئات والمنظمات الراعية لحقوق الأقليات وحقوق الإنسان.

5 - التغلغل في الحكومة ودواليب الحكم والحزب الحاكم والإدارات وربط علاقات مع المسؤولين في الدولة ووجهاء البلد لإقصاء المسلمين عن مواطن التأثير وإثارة الدولة ضد المسلمين.

6 - انشاء المقاهي والحانات والفنادق وتشجيع الرذيلة بين المسلمين.

7 - تسهيل ترحيل وتهجير النصارى من البر التنزاني إلى زنجبار والإقامة فيها وخاصة بعد الوحدة.

8 - التظاهر بالإسلام والزواج من مسلمات ثم تغيير عقيدتهن وعقيدة الأولاد حيث كان زواج النصراني من المسلمة سهلا وممكنا بحجة علمانية الدولة ولكن مع تزايد الوعي الديني بين المسلمين منع ذلك.

9 - انشاء مؤسسات المجتمع المدني والمؤسسات الغير حكومية والأحزاب السياسية.

10 - المنظمات الخيرية الغربية والتي تدعم جهود التنصير وبشكل مباشر.

II - السياحة:

لقد عرفت الجزيرة السياحة منذ زمن ليس باليسير وخاصة بعد تلك العلاقات

الوطيدة مع كل من الـدول الأوروبية وسلاطين زنجبار وكذلك كان لتلك الاتفاقيات والمعاهدات الأثر البالغ في انسياب السواح والمستثمرين الأوروبيين إلى هذه الجزيرة، كما أن جمال الجزيرة الخلاب وهواءها العليل وشواطئها الفاتنة يدعو كل من سمع بها أو قرأ عنها أن يزورها، ومن ثم فإن السياحة تعتبر من أكبر مصادر الدخل القومي لحكومة زنجبار ولقد سبق وذكرنا عدد السواح الذين يؤمون زنجبار سنويا من خلال شبكة إسلام أون لاين ولكن الشيء المؤسف أن هؤلاء السواح يضربون بقيم المجتمع الزنجباري المسلم وثقافته عرض الحائط مستغلين تسامح أهل الجزيرة وهدوءهم وأدبهم مع الوافدين، حيث يظهرون بمظاهرغير أخلاقية، ابتداء من التعري وشرب الخمور إلى التحرشات الجنسية ولو كان ذلك على مسمع ومرأى من الناس مما أدى بدوره إلى انتشار الرذيلة وفشو الزنا والمسكرات وأدى ذلك بدوره إلى انتشار مرض الإيدز بنسب قليلة إلا أنها بدأت في الزيادة والارتفاع.

III - الاستثمارات:

جزيرة زنجبار تتمتع بموارد طبيعية كبيرة وتعتبر مجالا رحبا للاستثمار ولعلنا في ثنايا بحثنا تناولنا بداية الاستثمار الأوروبي الأمريكي والذي هو سيد الموقف في هذه الجزيرة مقابل استثمار عربي هزيل ويرجع ذلك إلى المعاهدات التي أبرمت من قبل ومازالت هذه الدول تعتبرها ملزمة لحكومة زنجبار بل لعل المتغيرات المحلية والإقليمية والعالمية باتت تصب في مصلحة الجانب الأوروبي، حيث ومن خلال حوار مع مدير الوكالة الوطنية للاستثمار بزنجبار ZIPA أفاد أن أول دولة مستثمرة هي بريطانيا ثم إيطاليا ثم الدانمارك ثم أمريكا أما الدول العربية فاستثماراتها في المنطقة ضعيفة. أما مجال الاستثمار فيأتي على رأسه (السياحة) وإنا نأمل أن تتوجه رؤوس الأموال العربية المسلمة إلى هذه الجزيرة بالاستثمار الذي يعود على سكان هذه الجزيرة

المسلمة بالفائدة المادية والمعنوية دون أن يكون له مساس بالقيم الأخلاقية للمجتمع الزنجباري أو دعم الكنائس والتنصير،وهذا ما هو موجود فعلا الآن.

مظاهر التأثر بالحضارة العربية الاسلامية

لسائل أن يسأل لماذا جعلت مظاهر التأثر بالوجود الاسلامي في زنجبار آخر الكلام والأصل أن أقدمه.؟ فإن الوجود العربي الاسلامي المستمر بعد رحيل الانجليز مدة وإن كانت يسيرة وبعد الأحداث الأليمة وسيطرة التيار الاشتراكي بل الشيوعي على مقاليد الحكم أتى على كل ما يحمل الطابع الاسلامي العربي،للجواب على ذلك أقول: (فقد أردت أن أجعل الحملة والمؤامرة على هذه الدولة في قلب المحيط الهندي ذيلا من ذيول الاستعمار البريطاني وفق سنة التدافع بين الأحزاب السياسية اليسارية واليمينية في المملكة المتحدة وغالبا ما ارتبط هؤلاء الثوار الشيوعيون في جزيرة زنجبار بقادة الأحزاب الشيوعية في بريطانيا وبدول أوروبا الشرقية ذات التوجه الاشتراكي الشيوعي وبذلك أختم الوجود العربي الاسلامي بآثاره الملموسة وبصماته الواضحة على شعوب المنطقة وحياتها السياسية والثقافية والاجتماعية.

1 - **الدين:**

كان أبرز مظهر من مظاهر التأثر بالحضارة الاسلامية انتشار الدين الاسلامي بين سكان شرق إفريقيا عموما وزنجبار خصوصا وتفضيله على المسيحية بالرغم من الجهود المبذولة والمشار إليها فيما سبق إلا أن الرجل الإفريقي آثر اعتناق الدين الاسلامي لبساطته ويسره وخلوه من التعقيدات الموجودة في المسيحية كما أرجع ذلك إلى عملية الانتشار والامتزاج بين المسلمين والسكان الأصليين ومهما اختلف تقديرات الإحصائيات حول نسبة المسلمين في تزانيا حاليا وزنجبار إلا أن الذي لا شك فيه لحظة أن الأغلبية الساحقة من سكان هذه الجزيرة مسلمين وبرغم من الجهود

المضنية لتقليل نسبتهم من الجزيرة من خلال تهجير النصارى من دار السلام وغيرها من الأقاليم إلى زنجبار وتكثيف عملية التنصير بين المسلمين بل وتوطين القبائل الوثنية إلا أن الطابع العام للجزيرة هو الطابع الاسلامي بعقيدته الصافية وعبادته وقيمه، وأخلاق الناس واضحة التأثر بالأخلاق الإسلامية كالصدق والأمان ولين الجانب والتسامح وعدم الغش خاصة في التجارة.

2 - اللغة:

إن أثر اللغة العربية على اللغة السواحلية أجلى من الشمس في رابعة النهار وأدق من نور القمر في كبد السماء ليلة الرابع عشر حيث أن كثيرا من الكلمات السواحلية أصلها عربي، ولذلك فإن اللغة العربية مدت اللغة السواحلية بكثير من الكلمات والمصطلحات فالألفاظ العقود كلها عربية ثلاثيني، أربعيني، خمسيني... وكذلك المصطلحات الشرعية: صلاة، صوم، حج، زكاة، حراميشا (الحرام) حلاليشا (حلال)، كافيري (كافر)، - سامحيني (سمحاني)، (نشكر سانا)، أشكرك كثيرا (أحسنت -سانا) احسنت كثيرا (نساعديا - ساعدني)، مرحيموا (المرحوم)، فاهموا (فهمت)، (وزارة الصحة) يقال لها (وزارة ياعافية) السجل التجاري (سجلي يابشارة) sigelewabechara.

تنظيم الجنازة من هذا المسجد (يقال بالسواحلية أوتراتيبو و جنازة هبا هبا مسكيتني)، القهوة kahawa (البن) bouni، السكر sucari، وكانت تكتب اللغة السواحلية بالحرف العربي مما جعل المبشرين الذين قدموا إلى الجزيرة يكتبون العبارات التبشيرية باللغة العربية بحسب صورة تذكارية لمبشرين مع أطفال محليين وجدت في قصر العجائب (المتحف الوطني) كما حافظت اللغة العربية على وجودها كتابة عند شريحة كبيرة عند أبناء زنجبار وإن لم ينطقوا بها كما يجيدون قراءة القرآن

والأحاديث النبوية الشريفة باللغة العربية ولعل الفضل يرجع في ذلك للمدارس القرآنية المنتشرة بكثرة في ربوع الجزيرة.

3 - العادات والتقاليد والثقافة:

لقد أرخت الثقافة العربية بذيولها على الحياة الاجتماعية والعادات التقاليد بالساحل الإفريقي سواء في المأكل والمشرب والملبس والحركة المعمارية وكذلك في المآتم والأعراس والولائم ولعل كان للدين الأثر الأكبر في طبع العادات والتقاليد بالطابع العربي بل حتى الموسيقى والفنون طبعت بالطابع العربي، حيث وأنت تسمع الموسيقى في زنجبار تخال نفسك أنك في اليمن أو عمان، أما الملبس لا يبتعد أهل زنجبار عن لباس أهل عمان والمتمثل في الجلباب العماني والكوفية وأما لباس المرأة فعباءة سوداء، وهناك لباس افريقي خاص يسمى boyboy وفي الجملة لا يخرج عن الزي الاسلامي.

رجوع الجزيرة إلى ربوع العربية والإسلام

رغم المخططات بعيدة المدى لطمس هوية زنجبار العربية الإسلامية فإنه سرعان ما تنفس المسلمون الصعداء بدأ ذلك بمقتل (عبيد أماني كرومي) واعتلاء (عبود جونبي) ذو الميول الإسلامية كرسي الحكم في زنجبار ليعيد المياه إلى مجاريها الطبيعية بعض الشيء وبعده جاء لسدة الحكم علي حسن مويني والذي في عهده تم الاتصال ببعض المنظمات الاسلامية كرابطة العالم الاسلامي ومنظمة الدعوة الاسلامية وبدأ العمل الدؤوب لإرجاع الأمور إلى ما كانت عليه، حيث أعيد تدريس مادة التربية الاسلامية إلزاميا كما أصبحت اللغة العربية تدرس ابتداءا من السنة الرابعة ابتدائي وحتى نهاية الدراسة فبادرت كل من منظمة الدعوة الاسلامية بالسودان والمنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة (ISSCO) إلى

وضع مناهج اسمتها (العربية لزنجبار) وأشرفت على طباعتها ولعل هذه المناهج والكتب تتعرض بين الفترة والأخرى للتنقيح والتعديل بمشاركة بعض شيوخ وأساتذة زنجبار، ولئن انتصرت اللغة الانجليزية والثقافة الغربية على بعض مظاهر الثقافة العربية فإن الثقافة الاسلامية ما تزال صخرة صامدة في وجه كل المحاولات ويكمن ذلك في الاتجاهين الآتيين:

1 - العمل الاسلامي المحلي:

كان للصراع بين المعسكرين الشرقي (الاتحاد السوفياتي) والغربي (الدول الأوروبية الغربية وأمريكا) وانتصار الثورة الإيرانية وما تلاه فيما بعد من سقوط المنظومة الشيوعية وانهيارها في عقر دارها، وبروز الصحوة الاسلامية عالميا دورا بارزا في انتشار العمل الاسلامي في جزيرة زنجبار، كما كان لتلك البعثات إلى الخارج سواء إلى الدول الغربية وأمريكا أو الدول العربية كالمملكة العربية السعودية والسودان أثر كبير في احتكاك شباب زنجبار بالثقافات الأخرى والأفكار الاسلامية ومن ثم نقل تلك التجارب إلى جزيرة زنجبار، كما لا ننكر دور الطرق الصوفية التي ترسخت منذ زمن بعيد في زنجبار في المحافظة على الهوية الاسلامية لمسلمي زنجبار.

حيث يوجد بالجزيرة عمل دعوي محلي متمثل في الجماعات الاسلامية بمختلف توجهاتها الفكرية والفقهية ولعل الظرف الذي مرت به الجزيرة في الستينات والسبعينات وحتى أواخر الثمانينات منع من ظهور أي تيار اسلامي سوى الطرق الصوفية بالقادرية و الدردناوية والشاذلية، وكان لها الفضل الكبير في الحفاظ على الهوية الاسلامية في زنجبار، ومع موجة التغيرات العالمية والسماح بالتعددية الحزبية والعمل الاسلامي برزت على الساحة عدة تيارات

منها جماعة التبليغ والسلفية والإخوان المسلمين، كما نشط الإباضيون من جديد من خلال جمعية الاستقامة ولها جهود مشكورة في التعليم ونشر الثقافة وبعض الخدمات الإجتماعية، كما نشطت بقية الجماعات في انشاء جمعيات ونوادي طلابية في المؤسسات الحكومية ولا ننسى العمل الاسلامي الرسمي والمتمثل في مكتب المفتي والذي يعتبر الواجهة الرسمية للمسلمين في زنجبار حيث يعنى بالأهلة وتنظيم الحج وغيرها من الشؤون الاسلامية وكذلك مكتب الأوقاف والشؤون الاسلامية ثم مكتب قاضي القضاة والذي يعنى بقضايا المسلمين في مجال الأحوال الشخصية والزكاة. ولا نغفل دور المعهد الإسلامي بزنجبار والذي تأسس عام 1953 وكان أول مدير له الشيخ محمود الدهان من جمهورية مصر العربية وبعد أحداث عام 1964م أغلق نهائيا واعيد افتتاحه مطلع السبعينات ليمارس دورا رائدا في نشر الثقافة العربية ولإسلامية. ومشكورة وزارة الأوقاف في جمهورية مصر على جهودها الطيبة حيث توفد في كل فترة كوكبة من أساتذة الأزهر الشريف ليسهموا من جديد في اعادة النفس العربي والإسلامي للجزيرة المسلمة

المنظمات الخيرية الطوعية

عملا بسنة التوازن والتكامل في الكون ولما رآه المسلمون في دول الخليج العربي وغيرها من فقر مدقع وجهل مركب ومرض فتاك يحيق بالمسلمين في افريقيا عموما وزنجبار خصوصا أنشأت لجان خيرية وجمعيات طوعية من باب نصرة المسلمين فجاءت لجنة مسلمي افريقيا ومؤسسة الحرمين الشريفين ومنظمة الدعوة الاسلامية ودار الإيمان بجدة وهيئة الإغاثة العالمية، لترفع الغبن والفقر عن هذه المجتمعات ففتحت لها مكاتب وفروع، ومن أهم منجزاتها كفالة الأيتام وحفر الأبار وبناء المستوصفات والمستشفيات

والمدارس والمساجد وكفالة الدعاة، ثم انتبهت لخطر داهم وهو حرمان المسلمين من التعليم الجامعي وبذلك عدم تمكنهم من التغلل في مرافق الدولة التي يسيطر عليها العلمانيون والنصارى ففتحت جامعات وكليات جامعية كجامعة زنجبار وكلية التربية بمختلف التخصصات العصرية وذلك لتمكين المسلمين من مواكبة العصر ومعايشة الواقع. وقد بدأت ثمار هذه الجامعات تأتي أكلها بإذن الله تعالى.

العوائق والأمال: هناك عوائق عدة تعترض العمل الاسلامي في زنجبار سواء المحلي أو الطوعي الخيري الخارجي.

عوائق العمل المحلي

1 - الفرقة بين المسلمين وعدم التعاون فيما بينهم.

2 - عدم وجود الكفاءات والطاقات البشرية.

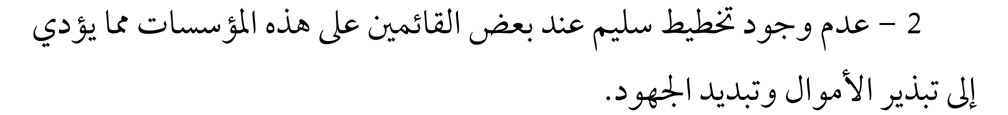
3 - الفقر وعدم وجود الموارد المالية الكافية لتنفيذ المشاريع الدعوية.

4 - الحزازات النفسية اتجاه كل ما هو عربي عند بعض العاملين وذلك نتيجة تشوه صورة الرجل العربي في ذهنية الرجل الزنجباري وهي المؤامرة التي حاكها الاستعمار الغربي.

5 - الاستعجال وتبني خيار العنف واستراتيجية المواجهة عند بعض العاملين ولعل هذا العائق أخطر العوائق جميعا لأن نتائجه وخيمة على المجتمع ككل وعلى الدعوة الاسلامية بشكل أخص

عوائق العمل الخيري الطوعي:

1 - عدم كفاءة العاملين بهذه اللجان بالقدر الذي يوجد عند العاملين بالمؤسسات التنصيرية خاصة في الأمور الإدارية.



2 – عدم وجود تخطيط سليم عند بعض القائمين على هذه المؤسسات مما يؤدي إلى تبذير الأموال وتبديد الجهود.

3 – الاستعجال والتهور عند بعض العاملين في المؤسسات مما يؤدي إلى غلقها

4 – عدم خضوعها إلى قوانين البلد العاملة فيه مما يسبب لها اشكالات قانونية

5 – عدم التعاون بين هذه المؤسسات بالقدر الكافي حيث يؤدي ذلك إلى تكرير ما تقوم به مؤسسات أخرى وعدم الإنطلاق في فضاءات معاصرة وتلمس حاجات المسلمين في مجالات أخرى.

6 – وهو ثالثة الأثافي –كما يقال – وهي الحملة الشرسة التي تبنتها الولايات المتحدة الأمريكية ضد كل عمل طوعي خيري باسم مكافحة الإرهاب وتجفيف منابعه، ولا شك أن ذلك ترك انعكاسات ونتائج سيئة على صعيد العمل الطوعي.

7 – العلاقات الاسرائيلية الافريقية حيث تعتبرهذه العلاقات حجر عثر في وجه المد الاسلامي، إذ أن اسرائيل تسعى لإيجاد أنظمة قابلة لوجودها في أوغندا في حالة عدم نجاحها في تكوين دولة في فلسطين، حيث سيلجأ اليهود إلــى أوغندا الوطن الذي اقترحت عليهم من قبل عصبة الأمم آنذاك(1916). ومن جهة أخرى ايجاد حلفاء سياسين وايجادأسواق لترويج منتجاتها التي كانت في يوم ما تعاني من كساد نتيجة الحصار وفي الوقت ذاته تتحقق لها السيطرة على منابع النيل والبحيرات والممرات المائية في المحيط الهندي.

الآمال

وخلاصة القول فإنه بالرغم من هذه العوائق فإن الأمل كبير وكبير جدا لرجوع هذه الجزيرة إلى ربوع العروبة والإسلام متجاوزة أخطاء الآخرين وأحقاد الماضي سيما إذا نظرنا

إلى المعطيات الكثيرة كوقوف هؤلاء المسلمين في زنجبار مع قضايا الأمة العادلة كقضية فلسطين والعراق وغيرها ورجوع اللغة العربية محادثة وفهما وكتابة في أوساط قطاعات كبيرة من الزنجباريين وإقبالهم على تعلمها في كل مؤسسة تعليمية تعنى باللغة العربية ككلية التربية أو المعهد الإسلامي وحلقات العلم المنتشرة بالمساجد في زنجبار المدينة أو بالقرى والثورة الهائلة في قطاع التعليم العالي حيث أنشئت جامعة زنجبار القومية وهي حكومية وهناك جامعة إيرانية مفتوحة على طريق الإنشاء والإنجاز وكل هذه الروافد العلمية والأكاديمية ترفع من مستوى المسلمين في هذه الجزيرة علميا وثقافيا تجعلهم في مستوى التحدي الثقافي الذين يعيشونه تعليمية وكذلك ظهور الصحوة الإسلامية بين أبناء المنطقة وسقوط القناع عن الأنظمة الغربية والمشروع الصهيوني الأمريكي كل هذا يصب في خانة الأمل. وهناك عامل آخر جعلني أتفاءل جدا بمستقبل الإسلام الواعد في الجزيرة وهو تصريح لمبشر انكليزي التقيت به في مطار نيروبي عام 2004 وأنا في طريق إلى القاهرة ثم الجزائر لقضاء العطلة السنوية حيث جمعنا الله على مائدة العشاء في مطعم الترانزيت وبعد حوار وكلام ودي أخبرني أنه مبشر وقد جاب أقطار أفريقية الشرقية والوسطى والجنوبية داعيا إلى الدين المسيحي وأخيرا سألته ببراءة تامة وهل زرت زنجبار؟

فقال: بالحرف الواحد لا، فأهلها لا يحبوننا وهم متدينون جدا فعلت محياي بسمة عريضة وانتابني شعور بالغبطة والرضا و الطمأنينة.

وفي خاتمة هذا البحث فإننا ندق ناقوس الخطر ونهمس في آذان الغيورين من حكام هذه الأمة وأغنيائها وعلمائها أن يتوجهوا توجها أكثر لهذه الجزيرة بتبني مشاريع الخير ودعم أهلها دعما مطلقا وفي كل المجالات وتوجيه استثماراتهم لهذه الجزيرة واحتضان القائمين على شؤون الناس من السياسيين حتى لا يرتموا في أحضان الغرب.

وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

فهرس المحتويات